القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الأسبوعي
Weekly
www.alquds.co.uk
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10383 الأحد 12 أيلول (سبتمبر) 2021 – 5 صفر 1443 هـ
Volume 33 - Issue 10383 Sunday 12 September 2021

ثروات أفغانستان: صراع روسي صيني غربي

الهوارية التونسية: موطن «أمير السماء»

كرة قدم: أحلام رونالدو وميسي في 2022

المغرب: أسباب هزيمة «العدالة والتنمية» 02
يترقبه العالم: أبرز مميزات «آيفون 13» 32
أنبوب الغاز يسمم العلاقات المغربية الجزائرية 35

نفق جلبوع: إرادة الحرية وهشاشة الاحتلال

أحرار فلسطين الستة الذين تمكنوا من اختراق واحد من أكثر سجون الاحتلال تحصيناً ضربوا مثالاً مضيئاً حول إرادة المقاومة وامتلاك الحق في الحرية، وفي الآن ذاته برهنوا على هشاشة الاحتلال رغم كل ما يسخّر من أجهزة القمع ووسائل التنصت وتقنيات التجسس. وكذلك أعطى الأحرار إلى الشعب الفلسطيني نموذجاً على إمكانية بلوغ مستوى عالٍ من التنسيق والوحدة الوطنية بصرف النظر عن الانتماءات العقائدية والفصائلية. ولا يغير من الجوهر أن سلطات الاحتلال أعادت احتجاز عدد من هؤلاء الأحرار، كما أنها ليست نكسة لهم بقدر ما هي دليل جديد على أن روح المقاومة حية وباقية، والاحتلال زائل طال الزمان أم قصر.

(حدث الأسبوع، ص 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

محللون مغاربة يفككون أسباب هزيمة «العدالة والتنمية» في الانتخابات التشريعية والبلدية

صوت الناس على الحزب، وحطم رقما قياسيا في عدد المقاعد، تراجع عن وعوده الانتخابية، وتواطأ مع باقي الأحزاب، لينقلب على إرادة المواطنين.

الرباط-«القدس العربي»:

خارج التعليقات المتشفية من الهزيمة المدوية لحزب «العدالة والتنمية» المغربي في الانتخابات التشريعية والبلدية التي جرت الأربعاء الماضي، وبعيدًا عن لغة القدح والتهكم والنعوت الجاهزة التي انتشرت عبر أكثر من وسيلة إعلامية أو صفحة افتراضية؛ حاول البعض تقديم تعليقات متأنية، سعيا لقراءة ما جرى للحزب الإسلامي الذي تولى رئاسة الحكومة مدة عشر سنوات، واستشراف آفاق المشهد السياسي في المغرب.

في هذا الصدد، يرى الناشط الحقوقي محمد زهاري أن مفهوم «التصويت العقابي» ردده سياسيون وأساتذة جامعيون. وتساءل في تدوينة له: «لكن من شغل وزيرا للفلاحة لمدة 14 سنة؟» في إشارة إلى عزيز أخنوش رئيس حزب «التجمع الوطني للأحرار» متصدر الانتخابات. وأضاف «ومن تحمل وزارتي المالية والتجارة والصناعة؟» (في إشارة إلى الوزيرين محمد بنشعبون وحفيظ العلمي المنتمين للحزب المذكور) واعتبر أن «المنطق السياسي يفرض معاقبة الجميع ليكون توصيف ما جرى بأنه عقاب لحزب معين».

وقال الباحث فؤاد بوعلي: «البعض فوجئ من حجم السقوط، وآخرون بدأوا يتشفون في التجربة برمتها، لكن الأكيد أن الحزب وقيادته يتحملان الجزء الأهم من المسؤولية. وككل سقوط لا بد له من مقدمات، ومقدماته الأساسية التفريط في الشرعية الشعبية والبحث الدائم عن تقديم شهادة حسن السلوك لأصحاب القرار».

وأشار في تدوينة له إلى أن أهم المقدمات التي جعلت الجمع ينفض عن حزب مثل آمال المغاربة هو التخلي عن الثوابت المؤسسة للفكرة، مستدلا على ذلك بـ«فرنسة» التعليم التي اعتبرها نقطة في مسار طويل من التراجعات المادية والمبدئية، لافتا الانتباه إلى أن النقطة التي جعلت قيادة الحزب تبني آمالا على الرمال هو غياب البديل الحزبي بعد ضياع بوصلة اليسار، إذ تحول بعضه إلى بوق للاستبداد باسم الحداثة والعصرنة يقتات على تجربة الإنصاف والمصالحة، وآخرون أضاعوا البوصلة نهائيا.

أما الباحث مصطفى بوكرن فيرى أنه حين صوت الناس على الحزب، وحطم رقما قياسيا في عدد المقاعد، تراجع الحزب عن وعوده الانتخابية، وتواطأ مع باقي الأحزاب، لانقلاب عن إرادة المواطنين.

وفي محاولة لاستقراء أسباب الفشل الأخرى، تحدث عن «طوفان المال الذي أغرق السوق الانتخابي، فاشترى بالكثير والقليل بعض أصوات المواطنين، تحت عين السلطة ومتابعتها لما يجري». وأضاف إلى ذلك التصدعات الداخلية لحزب «العدالة والتنمية» مؤكدا أن العامل الحوري في انهياره انتخابيا، هو موقف السلطة منه حين فاجأها بتصرفات غريبة لم تعتدها منه مطلقا. واستعاد شريط الأحداث ليشير إلى أن الحزب المذكور كان تحت السيطرة والمراقبة، ويقبل بالتنازلات، وكان بمثابة طالب نجيب في الاستماع لتعليمات وزارة الداخلية. ومع مجيء الربيع العربي، وتعديلات دستور 2011 اضطرت السلطة لتخفيف من التحكم في الانتخابات، لتؤكد للعالم أنها تقدم تجربة ديمقراطية نموذجية، وفي الآن نفسه تمتص غضب المحتجين في حركة «20 فبراير». فغاز «العدالة والتنمية» بـ107 مقاعد محتلا المرتبة الأولى.

وأضاف الباحث نفسه «هنا سيقع تحول كبير في علاقة الحزب بالسلطة بقيادة عبد الإله بن كيران، رئيس الحكومة آنذاك، حيث ظهر هذا الأخير بغير الوجه الذي اعتادته السلطة منذ 1990 إذ أصبح ثائرا بخطاباته، وإن كان عمليا يمرر مخططات الدولة، لكنه كان يخطط لكي لا يفقد شعبيته.

واستطرد بوكرن قائلا «بعد إزاحة بن كيران، جرى القيام بعملية جراحية بارعة، اختيار سعد الدين رئيسا للحكومة، هذا الوضع سيفرض على تيار بن كيران، أن يخضع للقبول بالعثماني أمينا عاما، فتمت العملية بنجاح، وأرسلت السلطة رسالة لمناضلي الحزب لطمأنتهم في المجلس الوطني، الدولة ما زالت في حاجة إليكم». لكنه ذكر أنه بعدما أصاب الحزب الغرور، وصار يُظهر عبر بن كيران نوعا من التمرد، غيرت السلطة أسلوب تعاملها معه، واعتبر أن ما حصل للحزب الإسلامي هو «تأديب لاختيار داخله، ظهر مع بن كيران، الذي انقلب في علاقته مع السلطة. أما سعد الدين العثماني ومن معه، فهم مجرد حطب في معركة ساحقة».

ما العمل؟

وكتب الصحافي نور الدين مفتاح في افتتاحية العدد الجديد من أسبوعية «الأيام»: «إنها نهاية مأساوية لحزب ملأ الدنيا وشغل الناس، وستمرّ جنازته في ثلاثة أيام، ليبقى الأهم بالنسبة للمغاربة هو ما العمل بعد طي صفحة الإسلاميين؟».

وأضاف «هذا هو السؤال الوحيد المنتج اليوم، أما لعبة التشفي أو التباكي، الزهو أو المظلومية، فإنها مضيعة لوقت مملكة مقبلة على جميع التحديات. واليوم يدخل حزب جديد امتحان قيادة حكومة في ظروف صعبة، وعليه أن يبرهن على أنه من مستوى وعوده وعهوده التي لن يقف أمامها على الأقل توجس من تغول ولا نزاعات الحكومة الثانية في منتصف طريقها بعد مرور سنتين ونصف على عملها، ويعيد ترتيب المشهد السياسي وفق رؤية أخرى تنبني على تقييم الاستقالة من رئاسة الحكومة، والدعوة إلى انتخابات مبكرة.

كما أشار الكاتب إلى سكوت الحزب عن «فضح» طبيعة العراقيل التي توضع على طريقه، وأسماء الفاعلين الأساسيين أو بالوكالة. بالإضافة إلى عجزه عن إيقاف مرور جملة من مشاريع القوانين رغم تعارضها مع هوية المغاربة وتقاليدهم وأعرافهم وأخلاقهم، وكذا استهدافه للطبقة الفقيرة والوسطى بإجراءات وتدابير قاتلة من أجل الحفاظ على استقرار البلاد وتوازنها الاقتصادي (وقد أفلح في ذلك) في الوقت الذي كان يجب عليه أن يقوم بالإجراءات ذاتها ولكن في حق طبقة الأغنياء والميسورين والفاسدين.

وأشار إلى وجود عوامل أخرى لا يمكن تهوينها أو التقليل من خطورتها، ومنها أن الاستثناء المغربي تمثل في عمل الدولة العميقة المضي (الممتد من واقعة العرقلة إلى اليوم) على استنبات كراهية الحزب في نفوس الناس وإقناعهم بأن الحزب أضر بهم، وأنه بات يشكل خطورة على حياتهم المعيشية ومستقبل أبنائهم، ثم ممارسة التضييق على قيادة الحزب وأعضائه قبل وأثناء الحملة الانتخابية، دون أن ننسى «هزلة» الصلاحيات الممنوحة دستوريا للحكومة.

وتساءل: هل ينجح الحزب في النهوض من سقوطه المدوي خلال انتخابات 2021 ويستعيد قوته من جديد، وبيني لنفسه تاريخا جديدا بمواقف تنتصر للشعب وليس لقضايا زائلة أو مؤقتة أو تكتيكية؟ ليجيب قائلا إننا نعتقد، والله أعلم، أن الحزب قادر بكل معنى الكلمة على العودة إلى الحياة السياسية المغربية بحجم أكبر: سياسيا وأخلاقيا وفكريا ووطنيا، لأنه لم يخسر الحرب، وإنما خسر معركة لا أقل ولا أكثر. معركة ينبغي عليه فيها (الآن) أن يكون قد كشف من خلالها حقيقة أصدقائه، ووجوه أعدائه، وهوية خصومه، وطبيعة أخطائه، وضعف مواقفه، وسوء اختياراته، وأن يعمل بالتالي على إنجاز مصالحة حقيقية مع شعبه وذاته وقاعدته وناخبيه، ثم تصحيح ما ينبغي تصحيحه وهو كثير ومعقد».

وشدد على أنه لربح معركته القادمة، لا بد لحزب العدالة والتنمية من تغيير قيادته، وتمكين شبابه من تسيير الحزب وتطويره والبحث عن آليات بنائه على أسس صلبة وفاعلة، ومن الخطأ القول بأن عودة عبد الإله بن كيران «واجبة» إلى زعامة الحزب وقيادته، لأنه حتى لو افترضنا حدوث هذه العودة، ونجاح الحزب في تصحيح أخطائه، فإن بن كيران ليس خالدا أولا. كما أن المرحلة ليست مرحلته ثانيا، وإنما المرحلة تقتضي تمكين طاقات داخل الحزب (من الصقور) تنتظر فرصتها لكونها تملك الأفكار والجرأة والمواقف».

تسعة عشر شهرا على اتفاق موسكو وعدم تطبيقه: إدلب إلى مصير مجهول

التصعيد باتجاه إدلب تزامن مع حشود لقوات النظام وزيارة لقائد الفرقة 25 إلى خطوط القتال في ريفي معرة النعمان وسراقب، واقتراب حل التوتر في درعا بما يرضي النظام وحلفائه.

منهل باريش

من قصف النظام لإدلب

في تطور غير مسبوق منذ توقيع اتفاق موسكو بين الرئيسين الروسي فلاديمير بوتين والتركي رجب طيب اردوغان في الخامس من آذار (مارس) 2020 قصفت مدفعية النظام السوري مدينة إدلب، المركز الرسمي للمحافظة التي سيطرت عليها فصائل المعارضة السورية ربيع 2015. وخلف القصف مقتل عدد من المدنيين وجرح آخرين. وأتى التصعيد بعد هجمات شبه يومية للقاذفات الروسية في منطقة جبل الزاوية، ومنطقة المخيمات بالقرب من مدينة معرة مصرين شمال إدلب. ويأتي التصعيد باتجاه مدينة إدلب تزامنا مع حشودات واضحة لقوات النظام السوري وزيارة معلنة لقائد الفرقة 25 – مهام خاصة، العميد سهيل الحسن إلى خطوط القتال الهادئة منذ 19 شهرا في ريفي معرة النعمان وسراقب شرقي المحافظة، إضافة إلى اقتراب حل التوتر في درعا جنوبي سوريا بما يرضي النظام وحلفائه.

سياسياً، تأسف وزير الخارجية الروسية، سيرغي لافروف «لعدم تمكن أنقرة من استكمال تنفيذ الاتفاقات الخاصة بفصل المعارضة عن الإرهابيين في إدلب». مشيراً إلى أن ممثلي وزارة الدفاع في غرفة أنقرة التي تجمع الجانبين لتنفيذ آليات اتفاقات استانة وسوتشي، يقترحون «سبلاً محددة يمكن أن تسهم في حل هذه القضية».

واعتبر لافروف في مؤتمر صحافي مشترك مع نظيره الإسرائيلي الخميس، في موسكو: «السبيل الوحيد لحل هذا الوضع وفقًا للقرار 2254 هو أن يستكمل زملاؤنا الأتراك تنفيذ الاتفاقات التي تم التوصل إليها بين الرئيسين فلاديمير بوتين ورجب طيب اردوغان منذ أكثر من عامين والتي تنص على فصل المعارضة العقلانية عن الإرهابيين، وبشكل أساسي عن هيئة تحرير الشام (محظورة في روسيا باعتبارها إرهابية)». واصفا عملية الفصل انها بدأت بالفعل «لكنها لم تكتمل على الإطلاق وما يزال هناك الكثير مما يجب القيام به». وشدد: «نحن نتحدث باستمرار عن هذا الأمر مع زملائنا الأتراك من خلال الجيش ونقدم طرقًا ملموسة من شأنها دعم شركائنا الأتراك في تنفيذ اتفاقيات الرئيسين. والعمل جار – لكن للأسف– فإن الاتفاق بعيد كل البعد عن الاستكمال».

وفي وقت سابق، أقر مولود جاويش أوغلو عبر قناة «NTV» التركية بوجود قناة تواصل بين بلاده والنظام السوري على المستوى الأمني «نتواصل مع دمشق حول القضايا الأمنية ولا نتحدث عن الحوار السياسي». واستدرك أوغلو حول قضية التواصل مع النظام «هناك نظام في سوريا غير معترف به من قبل العالم، لذلك لا شك في أننا نجري مفاوضات سياسية مباشرة معه، لكن في قضايا أمنية، ومحاربة الإرهاب». لافتا إلى أن «المفاوضات اللازمة جارية على مستوى الخدمات الخاصة والاستخبارات» ورأى الأمر «طبيعيا».

ونفت وزارة خارجية النظام السوري وجود أي محادثات مباشرة مع أنقرة، ونفت بشكل قاطع «وجود أي نوع من التواصل والمفاوضات مع النظام التركي وخاصة في مجال مكافحة الإرهاب».

ونقلت وكالة الانباء السورية «سانا» عن مصدر في الوزارة أنه «بات معروفاً للقاصي والداني بأن النظام الحاكم في أنقرة هو الداعم الرئيسي للإرهاب وجعل من تركيا خزاناً للتطرف الذي يشكل تهديداً للسلم والاستقرار في المنطقة والعالم ويخالف بشكل فاضح قرارات الشرعية الدولية حول مكافحة الإرهاب».

وتوعد عمر رحمون عضو هيئة المصالحة لدى النظام محافظة إدلب فكتب على حسابه الرسمي على موقع تويتر «بعد تحرير درعا بدأ التجهيز لتحرير إدلب مباشرة» لافتا الى عملية السيطرة على درعا استغرقت تسعين يوماً وسيكلف تحرير جنوب M4 أقل من ذلك. ما يعني ان هدف النظام الحالي في إدلب يتركز على منطقة جبل الزاوية ومديونية جسر الشغور واريحا باعتبارهما تنتشران على طريق حلب – اللاذقية /M4.

ميدانياً، وصف عبد الحميد القطيني، أحد المسؤولين الإعلاميين في الدفاع المدني السوري القصف المكثف من قوات النظام وروسيا بـ«التصعيد الخطير الذي يهدد حياة المدنيين في مناطق شمالي غرب سوريا وينذر بموجة نزوح جديدة إلى مخيمات الشمال التي تكتظ أساساً بالنازحين وسط ظروف معيشية قاسية». وحول أعمال الإنقاذ التي تقوم بها فرق «الخوذ البيضاء» قال في اتصال مع «القدس العربي» «استجابت فرق الدفاع المدني السوري منذ بداية الحملة العسكرية في بداية حزيران (يونيو) الماضي حتى الخميس، لأكثر من 475 هجوماً من قبل قوات النظام وروسيا على منازل المدنيين شمال غربي سوريا» وأحصى المسؤول الإعلامي نتائج التصعيد كالتالي، «تسببت تلك الهجمات بمقتل أكثر من 120 شخصاً، من بينهم 45 طفلاً و20 امرأة، بالإضافة إلى متطوعين اثنين في صفوف الدفاع المدني السوري، فيما انقذت الفرق خلال ذات الفترة أكثر من 280 شخصاً نتيجة لتلك الهجمات، من بينهم 74 طفلاً وطفلة تحت سن 14».

ولفت إلى أن «القصف تركز على المدنيين والمنشآت الحيوية وخلال الأيام الماضية استهدف مخيم مريم ومدجنة بالقرب من مدينة معرة مصرين شمالي إدلب من قبل الطائرات الحربية الروسية، كما دمرت المدفعية الروسية نقطة مرعيان بالليزر بقذائف مدفعية موجهة بالليزر، وقُتل أربعة مدنيين بينهم امرأة وطفل في قصف نظام على مدينة إدلب».

وحول التصعيد في مركز المحافظة، قال مدير منظمة «منسقو استجابة سوريا» محمد الحلاج لـ«القدس العربي»: «يشكل استهداف مدينة إدلب فارقا إلى تطور الوضع في شمال غرب سوريا والذي بدأ منذ مطلع شهر حزيران (يونيو)» وسجلت المنظمة 145 استهدافا للمراكز المدنية والمدارس ومحيط المخيمات، ووصف قصف إدلب «هو بمثابة الضغط على الأتراك من قبل الروس من أجل تنفيذ بعض التفاهمات، باعتبار إدلب مركز المنطقة الخارجة عن سيطرة النظام». ويترافق التصعيد الروسي في إدلب، مع انتشار كبير لمحور فيروس دلتا، حيث تعاني المستشفيات هناك من ضغط كبير على غرف العناية المركزة. وأشار منسق استجابة كوفيد–19 في مديرية الصحة بإدلب، الدكتور حسام قرة محمد إلى أن أعداد الإصابات بفيروس كوفيد–19 بلغ «نحو عشرة آلاف إصابة خلال الأسبوع الأخير فقط، تركزت في ريف منطقة حارم وسلقين وكفرتخاريم إضافة إلى مخيمات أطمة» عازيا أسباب الانتشار السريع إلى «نوع الفيروس الذي يشبه فيروس الجدري من حيث سرعة الانتشار، إضافة إلى أنه يصيب الأطفال وتظهر أعراضه عليهم». ووصف حملات التوعية التي تقوم بها المديرية والمنظمات الصحية والإنسانية والوعي لدى الناس انها «أسباب مخففة من الفتك بالسكان جميعاً».

وربط المنسق الطبي في اتصال مع «القدس العربي» بين الحملة العسكرية الروسية وسرعة انتشار الوباء «كون القصف سيضاعف موجات النزوح وبالتالي سيؤدي إلى كثافة سكانية كبيرة، تزيد من أعداد المصابين بالضرورة، كما يرتب التصعيد العسكري ضغطا شديدا على الكوادر الطبية».

ووجه قرة محمد نداء استغاثة للمنظمات الدولية الطبية للتدخل وإنقاذ القطاع الطبي من الانهيار في إدلب. واصفا التدخل الطبي الدولي «غير كافي. والدعم غير موجه بشكل جيد».

وختم «يوجد 124 سرير عناية مركزة في كل مستشفيات غرب سوريا. وهي غير كافية إطلاقاً».

ويبدو أن التأجيل المستمر لحل عقدة طريق الترانزيت M4 سيؤدي إلى كارثة جديدة في إدلب، يقوم النظام وحلفاؤه بعملية عسكرية تؤدي إلى قضم جبل الزاوية ومنطقة سهل الغاب الشمالي. فتمهل تركيا وعدم الضغط الحقيقي على هيئة «تحرير الشام» و«الجبهة الوطنية للتحرير» من أجل فتح الطريق سيؤدي إلى كارثة جديدة في إدلب، فدروس الماضي تشير إلى أن المعارضة السورية بأطيافها لا تجيد إلا الوقوع في الحفر.

لبنان: حكومة ميقاتي تجدّد التسوية السياسية والنفوذ الإيراني

القوى السيادية تلوّح بالمواجهة واستخدام ما لديها من أوراق من أجل عدم جعل لبنان عرضة للتسويات بل لطلب تسليم سلاح حزب الله الذي يشكّل الأداة الأساسية للنفوذ الإيراني في لبنان.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

لم يأت الاتفاق على تأليف الحكومة اللبنانية التي طال انتظارها بمعزل عن اتصالات دولية وإقليمية، بل جاء بعد اتصال بين الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون والرئيس الإيراني ابراهيم رئيسي تمّ في خلاله التشديد على ضرورة تأليف حكومة في لبنان تخرجه من أزمته. وبدا أن الرئيس الفرنسي كان بأمسّ الحاجة لعدم التأخير في ولادة حكومة في لبنان كيفما كان، بعدما تعطّلت مبادرته على مدى سنة منذ انفجار مرفأ بيروت في 4 آب/أغسطس حيث وعده المسؤولون اللبنانيون بتسهيل مبادرته ونكثوا بوعودهم.

وقد أعقب الاتصال الفرنسي الإيراني تسويق لأهمية دور طهران ولعدم وجود أي مطالب لها في لبنان، وحديث عن حرص العاصمة الفرنسية على التحاور مع وكيل إيران في بيروت حزب الله وامتناعها عن اعتباره إرهابيا كما فعلت ألمانيا وبريطانيا للإبقاء على نافذة التحاور معه، بدليل اجتماع الرئيس ماكرون مع ممثل الحزب في قصر الصنوبر النائب محمد رعد مع بقية رؤساء الأحزاب والكتل النيابية، وحرص باريس باستمرار على وضع الحزب في صورة ما تقوم به من تحركات مثلما حصل بعد زيارة السفيرتين الفرنسية والأمريكية في لبنان للسعودية.

ويشبه التسويق للدور الإيراني في لبنان حالياً التسويق سابقاً للدور السوري قبل عقود، وهذا ما يثير قلق أفرقاء في قوى 14 آذار/مارس سابقاً التي تعتبر ما حصل في موضوع الحكومة تجديداً للتسوية السياسية بشكل أو بآخر مع رئيس الجمهورية ميشال عون وحلول الرئيس نجيب ميقاتي مكان الرئيس سعد الحريري ومزيداً من الغلبة الإيرانية. ولا تخفي مصادر هذه القوى تساؤلاتها حول مغزى إعطاء صك براءة لطهران مما بلغته الأزمة في لبنان نتيجة سلاح حزب الله وفرض هيمنته على القرار اللبناني الحر بالوكالة عن الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وتعتبر أنه لطالما وقع لبنان ضحية تسويات خارجية بإسم النوايا الحسنة بدءاً بدخول الجيش السوري إلى الأراضي اللبنانية لوقف الحرب عام 1976 وإعادة الاستقرار بتغطية من الولايات المتحدة الأمريكية، ليتبيّن بعد سنوات أن نية المجتمع الدولي في مكان ونية سوريا في مكان آخر، إذ تحوّل الجيش السوري الذي دخل كقوة ردع عربية إلى قوة احتلال في نظر شريحة لبنانية واسعة. واليوم يأمل ما تبقّى من قوى 14 آذار السيادية ألا تقع فرنسا في الخطأ الأمريكي ذاته عام 1976 الذي سمح بتوسّع النفوذ السوري قبل أن يتغلغل في الداخل اللبناني ويخطف القرار اللبناني ويفرض وصايته بالتمديد لهذا الرئيس أو ذاك، ما أدى إلى استصدار القرار 1559 في مجلس الأمن الدولي وقانون محاسبة سوريا في الكونغرس الأمريكي وصولاً إلى اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري الذي قلب الأمور رأساً على عقب وجعل الرئيس الفرنسي الأسبق جاك شيراك يعيد نظرته من الوجود السوري في لبنان ويضغط لانسحابه.

ولا تعارض قوى 14 آذار أن تسعى فرنسا لتحسين علاقاتها بطهران وأن تحظى شركة «توتال» الفرنسية بأكبر استثمار في مشاريع النفط في العراق وأن يندفع الرئيس ماكرون لتحقيق إنجاز يصرفه في حساباته الداخلية، ولكن ليس على حساب لبنان وسيادته وأي إضرار بمصلحته، في ظل توجّس لدى بكركي من أي تسوية تكون على حساب البلد والدور المسيحي وأي مقايضة بين سلاح حزب الله والحصول على مكاسب في النظام السياسي قد تأتي على حساب المناصفة بين المسلمين والمسيحيين في السلطة.

وتسأل هذه القوى ألم تسمع باريس التصريحات الإيرانية بأنها باتت تسيطر على 4 عواصم عربية؟ وألم تدرك أن انهيار لبنان جاء نتيجة لسلاح حزب الله ولحروبه في الداخل وخارج الأراضي اللبنانية؟ وألم تتلقّ تقارير دبلوماسية عما آلت إليه علاقات لبنان العربية نتيجة الخطابات العلنية لأمين عام حزب الله السيد حسن نصرالله التي عكّرت صفو هذه العلاقات مع الدول الخليجية وأدّت إلى شبه عزلة لبنانية عن المحيط العربي؟

على خط آخر، لا ينوي ما تبقّى من هذه القوى الاستسلام للإرادة الخارجية بعدما لوحظ أن الطرف السني ارتضى التعامل بواقعية مع النفوذ الشيعي، ولا يعوّل هذا الفريق كثيراً على الخارج لفرض توازن على الساحة اللبنانية. وتعود بالذاكرة إلى ما سبق انتفاضة 14 آذار/مارس 2005 حيث لم تؤد القرارات الدولية على أهميتها إلى تغيير في المشهد اللبناني إلى أن تحقّقت الانتفاضة ورأت القوى الدولية والعربية المشهد المليوني في ساحة الشهداء الذي تحدّى الخوف ونظام الوصاية، مطالباً بإنسحاب الجيش السوري وهو ما تحقّق في 26 نيسان/إبريل من العام ذاته.

ويبدو أن القوى السيادية لا تنتظر هذه المرة تكريس الوصاية الإيرانية رسمياً لتتصدّى لها بل تلوّح بالمواجهة وباستخدام ما لديها من أوراق من أجل عدم جعل لبنان عرضة لتسويات بل الافادة من أي مفاوضات دولية مع إيران لطلب تسليم سلاح حزب الله الذي يشكّل الأداة الأساسية للنفوذ الإيراني في لبنان من دون أي مقايضة على هذا السلاح في النظام السياسي اللبناني أو غيرها من الأمور، ولاسيما أن إيران لن تتنازل بسهولة عن ورقة قوتها في لبنان.

من هنا تعوّل قوى 14 آذار على الانتخابات النيابية والرئاسية لمحاولة فرض توازن جديد، مستفيدة من تراجع شعبية التيار الوطني الحر الذي يشكّل سنداً لحزب الله وغطاء مسيحياً لسلاحه، على أن تفرض الأكثرية النيابية الجديدة واقعاً جديداً أو جبهة سياسية تلتزم ببرنامج موحّد وتدعو بشكل حازم إلى حوار ينهي أشكال الأزمة ويضع حداً للمساكنة مع سلاح حزب الله الخارج عن سلطة الدولة. وتسخر هذه القوى أخيراً من نظرية الجنرال عون الشهيرة «يستطيع العالم أن يسحقني لكنه لن يأخذ توقيعي» فتسأل هل تستحق هذه الحكومة وبعض وزرائها كل هذا التعطيل وهل تمّ فعلاً تحصيل حقوق المسيحيين من خلالها؟

يثير قلق ما تبقّى من 14 آذار

الرئيس عون ورئيس الوزراء الميقاتي

الملكية الأردنية لتحديث المنظومة: خطوات متقدمة رغم سؤال الإصلاح والتنفيذ وبصمات للرفاعي

قام الرفاعي ورفاقه بالواجب بصرف النظر عن التجاذبات والخلافات والتوقعات، فهل تستعد بقية المؤسسات لواجبها بالمقابل؟ هذا هو السؤال الحقيقي الآن.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

يمكن القول بالرغم من كل الانتقادات والملاحظات بأن اللجنة الملكية الأردنية لتحديث المنظومة السياسية وضعت أساسا بعد الآن لخطوات لا بل لقفزات في اتجاهات التنمية السياسية وإصلاح بعض التشريعات يمكن البناء عليها مستقبلا بصرف النظر عن عملية «النفخ» في التوقعات التي لا يمكن بحال من الأحوال تحميل مسؤوليتها لرجل دولة ولاعب أساسي من طراز رئيس اللجنة سمير الرفاعي.

أعضاء اللجنة بصورة أو بأخرى مسؤولون عن خياراتهم ليس أمام القيادة المرجعية والمطبخ الذي اختارهم لواحدة من أعرض وأهم اللجان والمهام، ولكن أيضا أمام الناس والشارع والمكونات التي يمثلونها.

بعيدا عن الضجيج وقريبا من الوقائع ثمة «منتجات نكرانها جحود» وتصنف باعتبارها إصلاحية بامتياز في تقييم عضو اللجنة النشط الحامي والبرلماني محمد الحجوج، الذي يكرر وعبر «القدس العربي» المطالبة بضرورة عدم الاستعجال والتقييم المنصف لإن بعض ما تحقق– حتى الآن– على صعيد قانوني الانتخاب والأحزاب والمرأة والشباب ليس أقل من «خطوات متقدمة جدا».

في عدة مجالسات مؤخرا ضم رئيس مجلس الأعيان المخضرم فيصل الفايز صوته لدعاة التقييم المتوازن مع التأشير على ان واحدة من أصعب المهام وأكثرها تعقيدا هي توفير توافق عام وأفقي على صيغة ما لقانون ونظام الانتخاب.

رغم ذلك ثمة توافقات حصلت حتى وإن تأخرت بتقدير الحجوج وثمة ما ستراقبه الأجيال المقبلة من منجزات إصلاحية يمكن البناء عليها وتطويرها.

على جبهة رئيس اللجنة سمير الرفاعي شارفت عملية ولادة الوثيقة المرجعية الأساسية باسم اللجنة التي كانت بلا منازع أعرض وأهم لجان التجربة السياسية في البلاد من عدة عقود ورغم انها عملية كانت صعبة وتخللها ولا يزال يتخللها الكثير من التشكيك الاستباقي إلا ان الرفاعي تمكن من العبور بملفات خلافية جدا إلى أقرب شاطئ توافق ممكن.

والأهم تمكن مع بعض رفاقه في اللجنة من إحتواء كل الأطراف والتأسيس لوثيقة قد يقبلها البعض ويرفضها البعض الآخر لكنها بكل حال أفضل من «البقاء في الوضع الراهن» حيث أحزاب هامشية بلا تأثير وصمود أسطوري لقاعدة «الصوت الواحد» وانتخابات مشكوك بنزاهتها جراء عمليات هندسة متواصلة قادت عميا إلى تشكيل اللجنة.

«المهمة» بالتأكيد صعبة ومعقدة. لكنها أنجزت بعد إرهاق بالكثير من التوافق وبالحد الأدنى من الخلاف الذي قد تظهر بعض ملامحه لاحقا عند الإنشغال بالتصويت على المقررات والتوصيات الأخيرة للجان الفرعية عبر اللجنة الأم وهي مرحلة قد يتخللها بعض التجاذب أيضا لكن الرفاعي أنجزها وأعلن أن التوصيات ستعرض الأسبوع المقبل على الهيئة العامة لتحديث المنظومة السياسية.

هل ستنطوي العملية على تحديث حقيقي للمنظومة السياسية مع الأخذ بالاعتبار ملاحظة النائب السابق طارق خوري بخصوص وجود فارق بين تحديث المنظومة وبين الإصلاح السياسي؟

هل سؤال يخطر في ذهن الجميع الآن وبتداوله بصفة خاصة الحريصون على المؤسسة والدولة وعلى أساس ان أي «انتكاسة أو هندسة» بعد الآن للحد الأدنى من الإصلاحات والتحديثات ستعني الكثير وستؤثر هذه المرة في عمق العلاقة بين الدولة والناس وهي علاقة اصلا تواجه في رأي السياسي مروان الفاعوري تحديات كبيرة من سنين قد يكون أقلها أهمية أزمة المصداقية وتراكم الإحباطات الناتجة عن «أزمة الأدوات».

كما حذر المخضرم طاهر المصري علنا في وقت سابق من تزايد أعداد «كاظمي الغيظ» في المجتمع يميل الفاعوري إلى التحذير من كلفة وفاتورة تراكم الإحباط خصوصا في مرحلة ما بعد توصيات «تحديث المنظومة».

ولا يعني ذلك طبعا وجود إجابة تلقائية على السؤال المثار إليه بخصوص جدية التحديث الإصلاحي ونفض النواب وهما الحكومة ومجلس الأعيان.

طبعا لا توجد صيغة محددة يمكن ان تقنع حكومة ما بالعمل والسهر على توصيات لجنة التحديث أو تقنع مجلس الأعيان بالطريقة نفسها، لكن الرفاعي يلفت النظر بالمقابل هنا لواجبات مؤسسات الدولة على أساس ان انتهاء العصف الذهني يعني ضمنيا تدشين المرحلة الأهم وهي «التنفيذ» والذوبان تنفيذيا في حالة تطبيق سريعة لتلك التوصيات.

قام الرفاعي ورفاقه بالواجب بصرف النظر عن التجاذبات والخلافات والتوقعات، فهل تستعد بقية المؤسسات لواجبها بالمقابل؟ هذا هو السؤال الحقيقي الآن.

سمير الرفاعي

تحذيرات الأمم المتحدة هل تردع مزوري الانتخابات العراقية؟

يتهم سياسيون مفوضية الانتخابات بارتكاب مخالفات أبرزها حرمان ملايين العراقيين في الخارج من المشاركة من دون سند قانوني، وعدم قيامها بتحديث كل بطاقات الناخبين، ومجاملة أحزاب السلطة.

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

جهود متسارعة يبذلها المجتمع الدولي لإصلاح الأوضاع في العراق، عبر انقاذ العملية الانتخابية فيه من محاولات التزوير والتلاعب التي بدأت معالمها تلوح بقوة ووضوح من القوى المهيمنة على العملية السياسية والإدارة الفاسدة والفاشلة للبلاد.

وادراكا من الأمم المتحدة لمخاطر وتداعيات عزوف الشعب عن المشاركة في الانتخابات المقررة بعد نحو شهر من الآن، وللحد من تحكم أحزاب السلطة، بنتائجها وتكرار التزوير الذي وقع في انتخابات 2018 فقد وجهت جنين بلاسخارت، مبعوثة الأمين العام للأمم المتحدة إلى العراق، تحذيرات من مقاطعة الانتخابات البرلمانية العراقية المبكرة، ومن محاولات تزوير نتائجها والتلاعب بإرادة الشعب.

وقالت بلاسخارت خلال مؤتمر صحافي في بغداد، إن «الأمم المتحدة تدعم إجراء انتخابات ذات مصداقية عالية، وأن المجتمع الدولي سيقوم بمحاسبة المزورين» مشددة: «لن نسمح بتكرار سيناريو 2018» في إشارة إلى الانتخابات السابقة التي شهدت تزويرا واسعا من أحزاب السلطة ومقاطعة شعبية واسعة وأسفرت عن احتجاجات وتظاهرات غاضبة وسقوط ضحايا.

وحذرت مبعوثة الأمين العام للأمم المتحدة العراقيين من «مقاطعة الانتخابات البرلمانية المبكرة، المقرر إجراؤها في الشهر المقبل» لأنها «ستبقي الأوضاع الحالية كما هي بدون تغيير» حسب قولها. فيما أشارت إلى اتخاذ العديد من الإجراءات لمنع التزوير أبرزها وجود مراقبين دوليين.

ولم يكن الاتحاد الأوروبي بعيدا عن الانتخابات، حيث وصل إلى العراق، نائب رئيسة المفوضية الأوروبية ومسؤول السياسة الخارجية والأمنية في الاتحاد جوزيب بوريل، الذي أجرى لقاءات مع المسؤولين في بغداد وأربيل لبحث الاستعدادات لانجاح الانتخابات، ومشاركة المراقبين الدوليين في متابعتها، إضافة إلى تقديم الخبرات والدعم المالي للعملية الانتخابية.

ومن جانبها كشفت المفوضية العليا للانتخابات في العراق، إن «76 منظمة ودولة عربية وأجنبية ستشارك في مراقبة الانتخابات البرلمانية» وأن 100 مراقب وصلوا بالفعل من دول الاتحاد الأوروبي، والتقوا مع المفوضية للإطلاع على سير التحضيرات للانتخابات. أما بخصوص مراقبي الأمم المتحدة، فقد ذكرت المفوضية إن 130 مراقباً دولياً سيتولون مراقبة عملية الاقتراع في جميع محافظات البلاد.

ورغم إعلان مفوضية الانتخابات، الاستقلالية وعدم السماح بالتزوير والتلاعب، إلا ان سياسيين اتهموها بارتكاب مخالفات أبرزها حرمان ملايين العراقيين في الخارج من المشاركة في الانتخابات من دون سند أو مبرر قانوني، وعدم قيامها بتحديث كل بطاقات الناخبين، مع اتهامات للمفوضية بمجاملة أحزاب السلطة. ويرى العراقيون ان الرقابة الدولية على الانتخابات، قد تساهم ولو جزئيا في تقليل التزوير والتلاعب الذي اعتادت عليه أحزاب السلطة، إلا انهم يعولون في هذا الصدد على المراقبة المحلية عبر الأحزاب والمرشحين المشاركين في الانتخابات والمعارضة ومنظمات المجتمع المدني المعنية بالأمر.

وكان إجراء الانتخابات العراقية المبكرة باشراف دولي، أبرز مطالب التظاهرات الغاضبة التي عمت مدن العراق منذ تشرين الأول/اكتوبر 2019 مطالبة بالإصلاح وتغيير رموز العملية السياسية الفاشلة، والتي سقط خلالها أكثر من 700 شهيد ونحو 25 ألف جريح.

ويعكس الاهتمام الدولي بالانتخابات العراقية، مخاوف جدية من نتائج فشل الانتخابات المقبلة في حالة عزوف الشعب عن المشاركة فيها، بسبب وجود مؤشرات تكرار استخدام أحزاب السلطة، مختلف الوسائل والسبل ومنها التزوير واستخدام المال السياسي بشكل واسع جدا إضافة إلى اللجوء للتهديد بالفصائل المسلحة التي تعجز الحكومة عن لجمها، وبالتالي فالخوف وارد من ان تؤدي نتائج الانتخابات المعاكسة لإرادة الشعب، إلى انهيار الأوضاع وانتشار النزاعات المسلحة بين القوى السياسية المتصارعة وربما عودة التنظيمات الإرهابية مثل القاعدة وداعش إلى العراق والمنطقة.

وفي المقابل تقوم الحكومة باستعدادات وإجراءات لإقناع الشعب والمجتمع الدولي، بجهودها لتهيئة الأجواء لإجراء انتخابات شفافة، حيث أكد رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي، الوصول إلى «الجاهزية التامة» لإقامة الانتخابات النيابية في موعدها. وشدّد الكاظمي خلال جلسة مجلس الوزراء الأخيرة، «أن الحكومة أوفت بالتزاماتها، وأنهت جميع متطلبات العملية الانتخابية الفنية والأمنية» داعياً القوى السياسية والإعلام والفعاليات الاجتماعية إلى الدفع باتجاه حثّ المواطنين على المشاركة الواسعة في الانتخابات.

ومن أجل حث نشطاء التظاهرات على المشاركة في الانتخابات، استقبل الكاظمي، جرحى الاحتجاجات في البلاد، مقرا «خرجتم من أجل مطالب واقعية، من أجل حياة كريمة، لكن للأسف تعرضتم لاعتداءات بسبب ابتعاد الحكام عن الإحساس بالمسؤولية تجاه بلدهم وشعبهم» داعيا المتظاهرين والناشطين إلى عدم الاستسلام للضغوط. وكانت معظم قوى تشرين هددت بعدم المشاركة في الانتخابات بسبب استخدام أحزاب السلطة المال السياسي والسلاح المنفلت والتزوير فيها.

والحقيقة ان موقف بعثة الأمم المتحدة «يونامي» من الانتخابات السابقة، كان محط انتقاد العراقيين الذين اتهموها بمجاملة الأحزاب الفاسدة ومنح الغطاء الشرعي لنتائج الانتخابات رغم وجود الكثير من الثغرات والمخالفات والتزوير، إضافة إلى تدني نسبة المشاركة الشعبية فيها، والتي بلغت في انتخابات 2018 أقل من 20 في المئة. ولذا يتفق المراقبون على ان إعلان «يونامي» نيتها حماية الانتخابات من التزوير وتهديد المزورين من الأحزاب السياسية، رغم انها رسالة دولية لا يجوز إهمالها من أحزاب السلطة في العراق، إلا انها تبقى محاولة سياسية وإعلامية أكثر من كونها ذات تأثير رادع حقيقي لتلك الأحزاب، التي اعتادت توجيه نتائج الانتخابات بما يخدم مصالحها عبر استخدام مختلف أدوات التزوير لحرف إرادة الشعب، مع إدراكها بعدم قدرة المجتمع الدولي على ردعها، لكونها تستقوي بأذرعها المسلحة وهيمنتها على أجهزة الدولة والدعم الإقليمي، وبالتالي فإن الإجراءات الحكومية والدولية، تبدو محدودة التأثير حتى الآن، عن ضبط العملية الانتخابية أو إعادة جسور الثقة المهدمة بين العراقيين والعملية السياسية والانتخابية التي أثبتت فشلها.

لقاء وزير خارجية العراق ممثل الاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10383 الأحد 12 أيلول (سبتمبر) 2021 – 5 صفر 1443 هـ

اليمن: مبعوث الأمم المتحدة الجديد يكشف عن توقف جهود احلال السلام منذ خمس سنوات

ربط مبعوث الأمم المتحدة إلى اليمن بين ثلاث قضايا إنسانية ملحّة وهي الحصار الحوثي على مدينة تعز، وحظر الرحلات الجوية التجارية إلى مطار صنعاء والقيود المفروضة على ميناء الحديدة.

القصف الحوثي لقاعدة العند الجوية شمال عدن

تعز- «القدس العربي»: خالد الحمادي

كشف المعبوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة الجديد إلى اليمن هانس غروندبرغ عن توقف جهود إحلال السلام في اليمن منذ خمس سنوات، في إشارة إلى فشل المبعوثين الأممين السابقين إلى اليمن في إدارة ملف الأزمة وعدم جدوى جهودهم الأممية في هذا الجانب وهو ما زاد القضية تعقيدا مع إطالة أمد النزاع المسلح في البلاد.

وقال في أول إحاطة له أمام مجلس الأمن الجمعة بعد تسلمه مهمته رسميا في اليمن بأربعة أيام ان «عملية السلام متوقفة منذ فترة طويلة، حيث لم تناقش أطراف النزاع تسوية شاملة منذ عام 2016. وقد ترك هذا التوقف اليمنيين عالقين في حالة حرب لأجل غير مسمى، دون أن يكون هناك سبيل واضح للمضي قدمًا نحو السلام». وشدد على أنه «يتحتم على أطراف النزاع أن تنخرط في حوار سلمي بتيسير من الأمم المتحدة بشأن بنود تسوية شاملة، بحسن نية وبدون شروط مسبقة».

وأضاف «لابد أن يشمل نهج الأمم المتحدة الجميع في إنهاء النزاع. ولتحديد أفضل السبل للمضي قدمًا، فإنني أعتزم تقييم الجهود السابقة وتحديد ما نجح منها وما لم ينجح والاستماع إلى أكبر عدد ممكن من الرجال والنساء اليمنيين. لابد أن يسترشد الطريق الذي سيتم اتباعه بتطلعات الشعب اليمني».

وأشار مبعوث الأمم المتحدة إلى تحوّر بؤر الصراع المسلح في اليمن خلال السنتين الماضيين، حيث انصب تركيز هجوم جماعة الحوثي خلالها على محافظة مأرب، التي تبعد نحو 170 كيلو مترا عن العاصمة صنعاء، في تأكيد على ان الحوثيين يحاولون الانقضاض على أهم معاقل الدولة الشرعية في الشمال.

وأوضح «لقد تغيرت بؤر المواجهة العسكرية على مدار الوقت، وتناوب المتقاتلون على اتخاذ الأدوار الهجومية. ومنذ أوائل عام 2020 كان التركيز منصبًا على الهجوم المستمر الذي تشنه أنصار الله (جماعة الحوثي) على محافظة مأرب». وفي الوقت الذي أوضح فيه أن هذا الهجوم الحوثي على مأرب «حصد أرواح الآلاف من الشباب اليمنيين» أكد أن «المدنيين هناك، بمن فيهم العديد من النازحين داخليًا الذين لجأوا إلى مأرب، في خوف مستمر من العنف ومن تجدد النزوح» موضحا أن الأمم المتحدة والمجتمع الدولي كانوا واضحين في رسالتهم في هذا الصدد بأنه يجب أن يتوقف هذا الهجوم الحوثي على محافظة مأرب.

وأضاف غروندبرغ «من الضروري أيضًا أن تعمل الجهات الخارجية الفاعلة على تشجيع خفض التصعيد. ولابد أن تستند مشاركتهم على دعم تسوية سياسية يقودها اليمن. إن استقرار اليمن وحلول السلام فيه هو ضرورة أساسية لاستقرار المنطقة بالكامل».

وأوضح أنه «من العنف المتواصل إلى نقص الوقود والكهرباء إلى ارتفاع أسعار الغذاء، ترتبط كل تفاصيل الحياة اليومية في اليمن بشكل أو بآخر بمسائل سياسية معقدة تتطلب حلاً شاملا. لقد انقسمت مؤسسات الدولة، الأمر الذي أدى إلى عرقلة الاقتصاد، وأجور المواطنين والشركات على التعامل مع متطلبات إدارية هائلة، بل ومتناقضة في كثير من الأحيان. وتؤسس الحرب الاقتصادية من جانب كافة الأطراف لعواقب طويلة المدى لها أثر مدمر على الدولة اليمنية وشعبها».

وربط مبعوث الأمم المتحدة الجديد إلى اليمن بين ثلاث قضايا إنسانية ملحّة يرى اعطاءها أولوية في مهمته الأممية وهي قضية الحصار الحوثي على مدينة تعز، قضية حظر الرحلات الجوية التجارية إلى مطار صنعاء الدولي والقيود المفروضة على ميناء الحديدة من قبل التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات، وقال «يجب أن يتم فتح الطرق للسماح بحركة الأفراد والسلع من وإلى تعز. ويجب أن يفتح مطار صنعاء أبوابه أمام الطيران التجاري. ولابد من تخفيف القيود المفروضة على استيراد الوقود والسلع عبر ميناء الحديدة. وهناك حاجة مستمرة إلى التنسيق الوثيق بين الهيئات في أسرة الأمم المتحدة، والمجتمع الدولي الأوسع نطاقًا، وأطراف النزاع للتعامل مع هذه القضايا بشكل مناسب».

وأوضح أن التزام الأمم المتحدة لا يتوقف عند جهودها للسعي لبناء سلام يضع نهاية للعنف فحسب «بل إننا ملتزمون أيضًا بالسعي نحو سلام مستدام يحمي كافة الحقوق على تنوعها بما يشمل الحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، سلام يضمن الحكم الرشيد ومؤسسات دولة تخدم المواطنين بإنصاف».

وذكر أن مشاوراته الأولى مع الجهات الفاعلة اليمنية والإقليمية والدولية، ستبدأ قريبا من الرياض، حيث سيدشن جهوده بلقاء الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي وأعضاء آخرين في الحكومة اليمنية، كما يتطلع إلى عقد اجتماع مع قيادات أنصار الله والجهات الفاعلة الأخرى في صنعاء، فضلاً عن لقاء الفاعلين السياسيين والقبليين في جميع أنحاء اليمن وفي بلدان الشتات مثل الرياض ومسقط وأبو ظبي والكويت وطهران والقاهرة وغيرها.

ودعا غروندبرغ إلى ضرورة استغلال بداية مهمته إلى اليمن لتقييم أداء جهود الأمم المتحدة لاحلال السلام في اليمن فقال «هناك مسؤولية مشتركة واقعة علينا جميعًا بصفاتنا المختلفة لإنهاء النزاع في اليمن. ولذلك، يجب أن نستغل بداية ولايتي كفرصة لإعادة تقييم المسؤوليات الواقعة على كل منا».

Volume 33 - Issue 10383 Sunday 12 September 2021

زيارة «ترطيب الأجواء» أجلت فتح الملفات الساخنة بين تونس وليبيا

نفى الليبيون ما تردد أخيرا من أن مئات الإرهابيين التونسيين موجودون حاليا في قاعدة الوطية الليبية، استعدادا لتنفيذ عمليات في بلدهم.

رشيد خشانة

بددت الزيارة التي أداها رئيس الحكومة الليبية المؤقتة عبد الحميد الدبيبة إلى تونس الخميس الأجواء القاتمة، التي أحاطت بالعلاقات الثنائية طيلة الأسابيع الماضية. إلا أنها لم تُتوج بأية إجراءات من شأنها معاودة فتح الحدود واستئناف حركة التجارة والمسافرين بين البلدين. مع ذلك تبقى تونس، في ظل وجود أزمات تُسمم العلاقات المغاربية، وخاصة بين الجزائر والمغرب، رئة التنفس الرئيسة للبيبين اجتماعيا واقتصاديا، وهو ما يُفسر المطالبات المُلحة بإلغاء قرار غلق الحدود.

أتى القرار في أعقاب تصريحات منسوبة للدبيبة تتهم تونس بتصدير الإرهـاب، وهـي تصريحات نفاها رئيس الحكومة الليبية بشدة، لا بل وأكد في جلسة لمجلس النواب الليبي بطبرق الأربعاء، أن تونس وليبيا «شعب واحد في دولتين». ويُعتبر ملف مكافحة الإرهاب حساسا، بالنظر لعدد الشبان التونسيين الذين سافروا إلى ليبيا، بعد ثورة 2011 وتلقوا تدريبات في معسكرات تابعة لميليشيات ليبية خارجة عن الدولة، قبل أن يعود بعضهم لتنفيذ عمليات إرهابية في تونس. إلا أن الليبيين نفوا ما تردد أخيرا من أن مئات الإرهابيين التونسيين موجودون حاليا في قاعدة الوطية الليبية، استعدادا لتنفيذ عمليات في بلدهم.

وبدا أن الجدل في الموضوع انتهى مع زيارة وزيرة الخارجية الليبية نجلاء المنقوش أواخر الشهر الماضي إلى تونس. لكن لم تُفتح الحدود مجددا، ما أدى إلى تجميد شريان التواصل بين البلدين، فقد ظلت 450 سيارة إسعاف مُتوقفة في المعبر الحدودي راس جدير، إلى جانب 400 شاحنة تحمل صادرات تونسية متجهة إلى السوق الليبية، ما يشكل مخاطر على صحة المرضى ويُسبب خسارة فادحة لمصانع تونسية في قطاعات مختلفة. وتشير إحصاءات غرفة الصناعة والتجارة التونسية الليبية إلى أن ليبيا كانت الشريك التجاري الأول، لتونس في العالم العربي، غير أنها فقدت هذه الرتبة بسبب تكرار غلق الحدود المشتركة وتداعيات جائحة كوفيد 19.

وتتسم العلاقات التونسية الليبية بخصائص فريدة، ظهر عمقها في ظروف المحن والعسر، إذ أن الرئيس هو الذي يُسمي رئيس الحكومة ويعزله، وبالتالي لن تكون الحكومة منبثقة من البرلمان، ولن تكون مسؤولة أمامه، كما أنه هو من يُعين نائب رئيس الجمهورية، ولن يكون نائبا منتخبا، مثلما هو الشأن في قوانين انتخابية مماثلة. وجرت مناقشات دقيقة في مجلس النواب بخصوص هذا القانون، بما فيه الشروط الخاصة بالترشح، إذ اقترح بعض الأعضاء إلغاء بند التزكية، وهو رأي قوبل بالرفض من الأعضاء الآخرين، الذين حضوا على زيادة عدد الناخبين المطلوبين لأجل التزكية، فيما اقترح نواب آخرون إجراء الانتخابات الرئاسية بناء على نظام القائمة، أي أن يُنتخب رئيس الدولة ونائبه ورئيس الوزراء معًا في قائمة واحدة.

ودعا بعض النواب إلى إجراء الانتخابات الرئاسية على أساس الدوائر الانتخابية الثلاث، في الغرب (طرابلس) والشرق (برقة) والجنوب (فزان)، فيما شدد نواب آخرون على ضرورة استكمال توحيد المؤسسة العسكرية باعتباره شرطا أساسيا لإنجاح الانتخابات.

تحذير من الحكم الفردي

أما المسألة التي أثارت نقاشا ساخنا في البرلمان، فهي الصلاحيات التي ستُمنح لرئيس الدولة، فقد اقترح بعض النواب منحه صلاحيات واسعة من بينها حل البرلمان والحكومة، فيما حذر آخرون من مخاطر التوسع في الصلاحيات، لأنه قد يؤدي إلى العودة إلى الحكم الفردي.

وفي أعقاب ذلك الجدل تم اعتماد النسخة النهائية، ولم يُعرف محتواها الكامل، إلا أن المستشار الإعلامي لرئاسة مجلس النواب فتحي المريمي، صرّح بأن المجلس أرسل القانون رقم 1 للعام 2021 الخاص بانتخاب رئيس الدولة وتحديد صلاحياته إلى المفوضية العليا للانتخابات وبعثة الأمم المتحدة للدعم لدى ليبيا وكل جهات الاختصاص الليبية.

مُخرجات اجتماع الجزائر

إلى هذه الجهود الرامية للاستعداد سياسيا وقانونيا للانتخابات، تستمر المحاولات الرامية لإقناع الدول التي لديها مرتزقة أو عسكريون نظاميون في الأراضي الليبية، بضرورة سحبها، وإن تدريجيا، قبل إجراء الانتخابات. وفي هذا الإطار برزت الدبلوماسية الجزائرية بمساعيها للتعريف بمخرجات اجتماع دول الجوار الليبي الأخير في العاصمة الجزائرية.

وطار وزير الخارجية رمطان العمامرة إلى كل من موريتانيا والنيجر ومصر، حيث دعا في اجتماعات مجلس الجامعة العربية إلى اعتماد «منهج عمل عربي مشترك، يعتمد على أسس مستحدثة» في حل الأزمة الليبية. وتابع العمامرة جولته الأفريقية المخصصة للملف الليبي، بزيارة الكونغو الديمقراطية، من أجل الملف مع الرئيس الحالي للاتحاد الأفريقي. ويختتم جولته في الكونغو برازافيل، التي تترأس اللجنة رفيعة المستوى حول ليبيا، بُغية مناقشة مخرجات اجتماع الجزائر وسبل تنفيذها.

وتتقاطع الجهود الجزائرية مع المساعي التي يبذلها الاتحـاد الأوروبـي للمساعدة في تحقيق الحل السياسي في ليبيا، وهي الرسالة التي حملها وزير خارجية الاتحاد جوزيب بوريل، خلال زيارته ليبيا الأربعاء. وأبدى بورال تأييد الدول الأوروبية لـ«مشروع المصالحة الوطنية الشاملة» الذي تقدم به رئيس المجلس الرئاسي محمد المنفي، في أعقاب الإفراج عن الساعدي القذّافي نجل معمر القذافي ومسؤولين آخرين من رموز النظام السابق.

وأكد المنفي أن المصالحة يجب أن تكون مسارا «يحدّده ويقوده الليبيون» لكنه شدد في الوقت نفسه على ضرورة المحاسبة عن انتهاكات القانون الدولي والاعتداءات على حقوق الإنسان، التي تبقى أولوية سياسية بالنسبة للاتحاد الأوروبي، على ما قال.

وتطرق بوريل في محادثاته مع الليبيين إلى مسألتين تستأثران باهتمام خاص لدى الأوروبيين، الأولى هي سحب جميع القوات الأجنبية المنتشرة في ليبيا، وأفاد أن الاتحاد الأوروبي يقوم باتصالات مع الدول المنخرطة عسكريا في الداخل الليبي. أما المسألة الثانية التي أكد عليها الممثل الأعلى للأمن والسياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، فهي طلب المساعدة في احتواء الهجرة غير النظامية. ويمكن القول إنه لم يحصل في هذا المضمار على تعهدات جديدة من البلدان المعنية التي ترفض أن تكون حارسة للسواحل الجنوبية لأوروبا.

هذا الموقف الأوروبي من المصالحة والمحاسبة، ليس بعيدا عن الموقف الأمريكي، إذ قال ممثل الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية في ليبيا جون بينيل، إنه لا يرى سببا تقنيا لعدم إجراء الانتخابات الليبية في موعدها، مؤكدا أن «المفوضية الوطنية العليا للانتخابات جاهزة، والشعب الليبي جاهز، والمجتمع الدولي جاهز».

في هذه الأجـواء التفاؤلية أسقط في أيدي كثير من الليبيين والتونسيين بعد صدور بيان إعلامي في ختام لقاء الرئيس سعيد ورئيس الحكومة الليبية المؤقتة الدبيبة، أظهر أن اللقاء لم يُسفر عن إجراءات عملية لمعاودة فتح الحدود، وتسوية كافة القضايا العالقة لتيسير تدفق الأشخاص والسلع عبر الحدود في الاتجاهين. واكتفى بيان نُشر على صفحة الرئاسة التونسية بالقول إن الجانبين اتفقا على إعداد بروتوكول موحد لعودة الحركة عبر الحدود البرية واستئناف الرحلات الجوية بين البلدين في أقرب وقت، من دون تحديد سقف زمني لاستئناف الحركة عبر البوابتين.

ولم يتطرق الوفد الزائر، على ما يبدو من التصريحات الشحيحة، إلى الملفات التي تُسمم العلاقات الثنائية بين الفينة والأخرى، فأهدر الجانبان فرصة أخرى لطي صفحة الخلافات وبناء شراكة طويلة المدى تكون مفيدة للطرفين.

المصالحات العربية التركية: تقدم سريع مع الإمارات

الصعوبات الاقتصادية التي عصفت بدول المنطقة والعالم بسبب جائحة كورونا من أبرز الأسباب التي دفعت الكثير من الدول للتغاضي عن الخلافات السياسية والبحث عن تحييدها إن تعذر حلها.

إسطنبول- «القدس العربي»: إسماعيل جمال

تتواصل منذ أشهر مساعي تحسين العلاقات بين تركيا وعدد من الدول العربية بعد سنوات من الجفاء والخلافات التي وصلت مراحل متقدمة ولامست خطر المواجهة العسكرية قبل أن تدفع حزمة كبيرة من التطورات المحلية والإقليمية والدولية جميع الأطراف لتحييد الخلافات والتعاون في ملفات الاتفاق لمواجهة التحديات المتعاظمة التي تمر بها المنطقة والعالم بشكل عام.

وعلى عكس المتوقع، وبينما شهدت مساعي تحسين العلاقات بين تركيا والإمارات تقدماً سريعاً فاجئ الجميع، تتقدم مساعي تحسين العلاقات بين تركيا ومصر بشكل إيجابي ولكن بطيء وحذر، في حين ما زالت هذه المساعي بين تركيا والسعودية تراوح مكانها وسط تقدم طفيف وصعوبات كبيرة يواجهها الجانبان في تجاوز آثار سنوات من الخلافات.

وتعتبر الصعوبات الاقتصادية التي عصفت بدول المنطقة والعالم بشكل عام بسبب انتشار جائحة كورونا من أبرز الأسباب التي دفعت الكثير من الدول للتغاضي عن الخلافات السياسية والبحث عن تحييدها إن تعذر حلها من أجل تحقيق مكاسب تساعد في تخفيف الأعباء الاقتصادية التي باتت تهدد استمرار الكثير من الحكومات. ومن أبرز الأسباب السياسية وصول إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن إلى البيت الأبيض ورحيل سلفه دونالد ترمب الذي غذى الانعكاسات الإيجابية للمصالحة الخليجية، وتراجع حدة الكثير من الخلافات العميقة بالمنطقة بعد موجة الربيع العربي التي ولدت خلافات عميقة كادت أن تقود تركيا وبعض الدول العربية حد الصدام العسكري في ساحات مختلفة منها ليبيا وشرق المتوسط.

وكما كانت تركيا تصنف على أنها أكبر داعم للثورات والمعارضات العربية، صنفت الإمارات على أنها الداعم الأول للثورات المضادة والأنظمة العربية السابقة، لكن المفاجأة كانت في أن مساعي تحسين العلاقات بين تركيا والإمارات كانت الأسرع والأكثر إيجابية حتى اليوم.

فعقب أشهر من الرسائل بين البلدين وربما الاتصالات السرية التي لم يعلن عنها، جرى لقاء مباشر بين الرئيس رجب طيب اردوغان ومستشار الأمن القومي الإمارات طحنون بن زايد في أنقرة، قبل اتصال هاتفي بين اردوغان وولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد، واتصالات أخرى على مستوى وزراء خارجية البلدين ومسؤولين آخرين، وسط تأكيدات على دخول العلاقات بين البلدين حقبة جديدة.

وأجمعت سلسلة بيانات من الجانبين على أن الاتصالات كانت «ودية وإيجابية» وأن الجانبين اتفقا على تطوير العلاقات بين البلدين وطي صفحة الخلافات، وجرى التركيز على التعاون الاقتصادي ونية الإمارات القيام باستثمارات كبيرة في تركيا قبل أن تبدأ تتكشف عن مشاريع إماراتية حقيقية للاستثمارات في تركيا كان أحدثها نية شركة إماراتية الاستحواذ على شركة إم أن جي للكارجو التركية مقابل مبلغ قد يصل إلى 500 مليون دولار.

وفي أحدث تقييم له للعلاقات مع الإمـارات، يقول وزير الخارجية التركي مولود جاوش اوغلو: «بالعلاقات الدولية لا يوجد صداقة أو عداء دائم، هذا لا يعني عدم وجود مبادئ. في حال الاقدام على خطوات متبادلة يمكن إعادة تطبيع العلاقات (مع الإمارات) أجريت لقاءات متبادلة وبالنتيجة هناك زخم ايجابي، إذا استمرت الأمور بهذا الاتجاه ستعود العلاقات لمسارها».

وعلى الجانب المـصري، ورغـم الزخم الإيجابي المشابه إلا أن التقدم يظهر التروي والحـذر من الجانبين بدرجة أعلى بكثير، حيث احـتاج الـبلدان لأشـهر طويلة من التلميحات والاشارات الإيجابية ليده عقد «مباحثات استكشافية» وهي درجة متدنية من الحوار الدبلوماسي بين الدول تهدف إلى استكشاف مدى إمكانية إعادة تأسيس العلاقات بين الجانبين.

وبعد أسابيع طويلة من جلسة مباحثات استكشافية وصفت بـ«الإيجابية» عقدت في القـاهـرة، جرى عقد الجـولـة الثانية من المباحثات الاستكشافية في أنقرة، ليؤكد بيان مشترك جديد أنه «جرى بحث العلاقات الثنائية وملفات إقليمية تتعلق بفلسطين وليبيا والعراق وسوريا وشرق المتوسط، وأن الجانبين جددا رغبتهما في اتخاذ خطوات إضافية من شأنها تعزيز مساعي تطبيع العـلاقـات واتـفـقـا على مواصلة المشاورات».

وعلى الرغم من العبارات الإيجابية التي تضمنها البيان، إلا أنه أظهر مـجـدداً أن التروي ما زال سيد الموقف وأن لا خطوات سريعة على طريق إعادة تطبيع العلاقات، كما أن الجانبين لم ينجحا حتى اليوم في الانتقال للخطوة المقبلة المتمثلة في إجراء لقاء مباشر وعلني بين وزيـري خارجية البلدين وهي الخطوة المتوقع أن تمهد لإعادة تعيين السفراء لأول مرة منذ سحبهم من القاهرة وأنقرة عقب الخلافات التي تفجرت على خلفية الإطاحة بالرئيس السابق محمد مرسي.

وفي هذا الإطـار، يقول وزير الخارجية التركي: «وفد تركي زار القاهرة (سابقا) ووفـد مـصـري يـجـري مـبـاحـثـات (مع المسؤولين الأتـراك بأنقرة). في المراحل المقبلة يمكن أن يجري تبادل تعيين السفراء، لـو تريد مصر، يمكن أن نبدأ مباحثات لترسيم الحدود البحرية. هذا أمر ممكن ولا بد منه ومفيد لمصر».

في المقابل، حافظ وزير الخارجية المصري سامح شكري مصري على تصريحاته الأكثر تحفظا من المسؤولين الأتراك، وقال في مقابلة مع بلومبرغ: «هذه هي المرحلة الثانية من المحادثات الاستكشافية بين مصر وتركيا، وهي تأتي بدعوة من الحكومة التركية، نحن حريصون على التوصل إلى قرار وإيجاد صيغة ضرورية لاستعادة العلاقات الطبيعية بين البلدين» واستدرك: «لكن في هذه المرحلة لا نزال بحاجة إلى تقييم نتائج المرحلة الثانية من المحادثات، وفي المقام الأول سياق العلاقات الثنائية. العلاقات الثنائية وبعض المواقف المتخذة من تركيا بحاجة إلى معالجة بشكل ما وعندما نكون راضين بأن هذه القضايا قد حُلّت فهذا سيفتح الباب أمام تقدّم أكبر».

أما على الجانب السعودي، فحتى اليوم لم تجر أي لقاءات أو اتصالات –علنية– على أي مستوى بهدف إعادة تحسين العلاقات بين البلدين، واكتفى البلدان بإطلاق بعض التصريحات الإيجابية التي تظهر رغبتهما في تحسين العلاقات بدون إخفاء حجم الخلافات.

وبينما انتفت كثير من أسباب الخلافات التي كانت عالقة بين تركيا ومصر والإمارات، ما زالت السعودية تتصدر عددا من ملفات الخلاف مع تركيا، كما أنها الوحيدة التي خاضت حملة مقاطعة اقتصادية كبيرة ضد تركيا على العكس من الإمارات ومصر اللتين تواصلت معهما التجارة بل وتوسعت طوال سنوات الخلاف بين الجانبين.

يقول وزير الخارجية التركي: «تستمر اللـقـاءات، كانت بـنـاءة، يمكن أن تعود علاقاتنا مع السعودية إلى مسارها من جديد. من طرفنا لا توجد مشكلة لكنهم (السعوديون) يضخمون بعض المسائل ويتخذون مواقف سلبية ضد تركيا» وهو ما يشير إلى أن لا خطوات حقيقية بعد ولا نجاح يذكر في مساعي تفكيك عقد الخلاف بينهما.

وبطيء مع مصر وصعب مع السعودية

حدث الأسبوع

فرار الأسرى من حصن الجلبوع يبعث المقاومة الفلسطينية من جديد

الناصرة – «القدس العربي»: وديع عواودة

فلسطينيون يتظاهرون مع الأسرى الفارين في القدس

بعدما قال مسؤولون سياسيون وأمنيون إسرائيليون إن نجاح عملية فرار الأسرى الستة من حصن الجلبوع ينم عن خطة محكمة ودقيقة، تتزايد في الأيام الأخيرة الشكوك حول مشاركة السجانين الإسرائيليين فيها، فيما يرى باحث بارز أن العملية ستؤجج المقاومة الفلسطينية. وتتصاعد عمليات البحث المحموم عن الأسرى وسط مداهمات لبلدات عربية داخل أراضي 48 فيما تتزايد مشاعر الغضب والإحباط لحد الهستيريا في الشارع وتستمر حالة الإرباك والحرج لدى المستويين السياسي والأمني في إسرائيل جراء هذه العملية الناجحة والمهينة للاحتلال. وكشفت صحيفة «يسرائيل هيوم» العبرية عن تزايد الشكوك حول مشاركة السجانين الإسرائيليين في سجن جلبوع في سهل بيسان في عملية تهريب الأسرى الفلسطينيين الستة. وقالت الصحيفة العبرية إنه بالإضافة إلى وجود سجانة كانت نائمة في برج مراقبة في السجن يطل على فتحة النفق الذي فر منه الأسرى الستة، فهناك برج مراقبة آخر، توجد تحته غرفة مراقبة تحتوي على تسع شاشات كاملة تراقب جدران السجن، ولم يشاهدها السجان طيلة الـ 21 دقيقة، زمن دخول الأسير الفلسطيني الأول إلى النفق الذي هرب منه الأسرى وحتى خروجهم منه. وأضافت الصحيفة أن «الحديث لا يدور حول رشوة مادية، وإنما حول استجابة غير مألوفة لطلبات تحت التحذير، وبينهم قائد سجن الجلبوع وضابطة استخبارات السجن وسجانون وسجانات آخرون. وحققت وحدة التحقيقات مع 14 مسؤولا في السجن، وسيطالب قائد المنطقة الشمالية في سلطة السجون بالإدلاء بإفادة حول ضلوعه وضلوع منطقته في فرار الأسرى.

ترجيحات إسرائيلية

ونقلت إذاعة جيش الاحتلال عن مصدر في المخابرات العامة قوله إن أنه يتوقع اتخاذ قرار، في بداية الأسبوع المقبل، بشأن المسؤولين الذين سيتم استدعاؤهم للتحقيق تحت التحذير، وبينهم قائد سجن الجلبوع وضابطة استخبارات السجن وسجانون وسجانات آخرون. وأشارت إلى أن الانطباع «يتعزز بحدوث انتهاك صارخ لأحد الإجراءات الذي كان من شأنه منع فرار الأسرى، يتواجد في السجن فريق مهني يفترض أن يدخل إلى الزنازين أسبوعيا وفحص بنائها، أي أرضية الزنازين وجدرانها». كما نقلت الصحيفة عن مصدر رفيع في مصلحة السجون الإسرائيلية قوله إنه «لو عمل الفريق بموجب الأوامر والتعليمات لتم اكتشاف فتحة النفق وتم منع فرار الأسرى». ونوهت إلى ملاحقة الأسرى الستة قد تستمر لأيام وربما أسابيع وذلك على خلفية كونهم محنكين ويعرفون المنطقة. موضحة أن تقديرات «الشاباك» تفيد بأن قسما من الأسرى باتوا داخل الضفة الغربية وأن جميع الأسرى الستة وصلوا بعد فرارهم من السجن إلى قرية الناعورة الفلسطينية داخل أراضي 48 القريبة من السجن في مرج بن عامر حيث استحموا واستبدلوا ملابسهم واقتنوا طعاما وحاولوا البحث عن توصيلة. وطبقا لصحيفة «معاريف» فإن الأسرى الفارين الستة ممن وثقت دخولهم كاميرات الحراسة افترقوا أزواجا. وترجح سلطات الأمن الإسرائيلية أن الأسرى افترقوا بكل تأكيد، وقسم منهم دخل إلى الضفة الغربية وأن الأسرى يحصلون «بكل تأكيد» على «مساعدة من عرب فلسطينيين على طرفي الخط الأخضر وبعضهم على الأقل يتلقون مساعدة وهم ليسوا لوحدهم الآن». وكشفت أن قوات الاحتلال غيّرت شكل انتشارها الميداني، في أعقاب تقييمات للوضع، وجرى تعزيز هذه القوات وتقرر عدم خروج الجنود والضباط إلى إجازات في جميع الوحدات العسكرية في الضفة الغربية علاوة على تعزيزها. وقالت «معاريف» إن القوات الإسرائيلية في أنحاء الضفة الغربية تلقت تعليمات بإحباط عمليات مسلحة واعتقال منفذي عمليات محتملة، ومنع تسلل فلسطينيين، والدفاع عن البلدات الواقعة عند خط التماس، التي تعتبر «الأكثر تهديدا لاستهدافها». وقالت الصحيفة إنه «في جهاز الأمن مستعدون بشكل كامل لتصعيد». مرجحة أن تكون هناك اعتقالات، أسرى أو أعمال شغب يضاف لهم 50 معتقلا من الداخل ينتظرون محاكماتهم ومئات من السجناء الإداريين ممن اعتقلوا دون محاكمة كما يؤكد لـ «القدس العربي» منير منصور الأسير المحرر ومدير جمعية أنصار السجين. وأوضح منصور أنّ إدارة سجون السجن بنقله منذ اليوم الأول. وأضاف أن الأسرى الذين تم نقلهم إلى سجن عوفر وعددهم 34 أسيرًا، تم عزلهم في قسم 18. وتهدد إدارة السجن بتفريغ أربعة غرف في قسم 22 في عوفر، ويقبع فيها أسرى الجهاد الإسلامي، بتوزيعهم على بقية الغرف، الأمر الذي رفضه الأسرى ليس فقط في عوفر وإنما في كافة السجون. يُشار إلى أن إدارة السجون وبعد أن حرر ستة أسرى أنفسهم من سجن جلبوع، أقدمت على فرض جملة من الإجراءات، تمثلت بعمليات قمع ونقل وتفتيش خاصّة في سجن جلبوع، وإغلاق كافة أقسام الأسرى في السجون، وتقليص مدة الفورة، وإغلاق السجن

وأكّد نادي الأسير الفلسطيني أنّ الأسرى وفي كافة السجون أبلغوا إدارة السجون، أنه وفي حال استمرت الإجراءات العقابية بحقهم، سيكون خيارهم المواجهة المفتوحة معها. يشار أن هناك اليوم 4500 أسير فلسطيني داخل عشرات السجون الإسرائيلية منهم نحو 70 من الداخل الفلسطيني يضاف لهم 50 معتقلا من الداخل ينتظرون محاكماتهم ومئات من السجناء الإداريين ممن اعتقلوا دون محاكمة كما يؤكد لـ «القدس العربي» منير منصور الأسير المحرر ومدير جمعية أنصار السجين. وأوضح منصور أنّ إدارة سجون

وكشفت صحيفة «يسرائيل هيوم» نقلًا عن مسؤولين في المخابرات وقوات الأمن الأردنية قولهم إنه على الرغم من التقديرات الإسرائيلية التي تشير إلى أن بعض المعتقلين الفلسطينيين الستة عبروا الحدود إلى الأردن بعد فترة وجيزة من فرارهم من سجن جلبوع، إلا أنه لم يعبر أي منهم الحدود أو موجود حاليًا في الأراضي السيادية للبلاد. وقال مصدر رفيع في مؤسسة الدفاع الأردنية إنه إذا عبر الأسرى أو بعضهم الحدود إلى المملكة، فستتصرف السلطات كما يقتضي القانون في الأردن فيما يتعلق بالأشخاص المطلوبين الذين يتم ملاحقتهم، وأضاف أنه ليس من المستحيل تسليمهم إلى إسرائيل رغم عدم وجود اتفاقية تسليم رسمية ودائمة بين الدولتين. من جانبه، قال مصدر رفيع في جهاز الأمن الأردني للصحيفة: «ليس لدينا حاليًا أي مؤشرات تشير إلى أن الأسرى الذين فروا أو بعضهم عبروا الحدود أو أنهم متواجدون في منطقة سيادة المملكة» وأضاف المصدر أن «إسرائيل طلبت من السلطات الأردنية المساعدة في تحديد مكان الأسرى في حال تمكن ستة هاربين أو بعضهم من عبور الحدود». وأشار المسؤول في جهاز الأمن الأردني إلى أنه «رغم الحساسية، وعلى أن الفلسطينيين إخواننا في كل شيء، فإن الأردن لن يكون مدينة ملجأ للأسرى الذين فروا من السجن، بغض النظر عن هويتهم أو تحت أي ظروف فروا من السجن، القانون الأردني واضح جدا بشأن هذا الموضوع وإذا كان أي منهم في الأراضي الأردنية، فسيتم عرضه على المحكمة التي ستبت في قضيته» موضحًا أنه «إذا قررت المحكمة تسليمهم لإسرائيل أو لدولة ثالثة فليكن ذلك». وشدد المسؤول الأردني على أنه في ضوء العلاقات الجيدة بين الأردن وإسرائيل منذ تغيير الحكومة الإسرائيلية وحقيقة أن العلاقات بين البلدين اتخذت مسارًا إيجابيًا، فإن السلطات الأردنية «تعمل جاهدة لمعرفة ما إذا كان السجناء الستة أو بعضهم في المملكة ويتلقون المساعدة من السكان المحليين لمساعدتهم على الاختباء». ونوه إلى أن «نظام إنفاذ القانون الأردني يأخذ مثل هذه الأعمال على محمل الجد، وإذا نجح الأسرى الهاربون في عبور الحدود إلى الأردن وتلقوا المساعدة من السكان المحليين، فإن هؤلاء المساعدين يدركون خطورة الإجراءات، لذلك نحن على يقين من أنهم ليسوا في الأردن وبالتأكيد لم يتلقوا المساعدة من المواطنين الأردنيين».

عنقاء الرماد

على المستوى التحليلي قال باحث بارز في معهد دراسات الأمن القومي في جامعة تل أبيب إن فرار الأسرى من حصن الجلبوع سيعزّز روح المقاومة الفلسطينية من جديد. في مقال قصير يوضح دكتور كوبي ميخائيل أن ما لم تسببه أحداث كثيرة طيلة السنوات الأخيرة نجح به فرار ستة أسرى الذي سيضاف لهيكل الوطنية الفلسطينية كقصة نجاح في النضال العنيد ضد الاحتلال. ويرى هو الآخر أن حادثة فرار الأسرى ارتقى لحدث استراتيجي ولشعل يشعل النار في الهشيم ويؤجج فكرة المقاومة وبالتأكيد لدى «الجهاد الإسلامي» الأكثر راديكالية بين التنظيمات الفلسطينية ولدى أسراه داخل السجون الإسرائيلية. ويتابع «اجتاز هؤلاء حاجز الخوف إن كان أصلا موجودا مقابل سلطات السجون وهم يهددون اليوم بتمرد من شأنه أن يجر معه أسرى من منظمات أخرى وحرق غرف السجون وإيقاع حالة عصيان عنيفة». ويقول ميخائيل إن الشعور الواضح هو أن الفرار من الجلبوع عبارة عن صب الزيت في عظام وعروق المقاومة الفلسطينية ومن شأن ذلك إثارة الشارع الفلسطيني والمساهمة في القفز عن الفوارق والخصومات وتوحيد الجماهير في دعم الأسرى الفارين وبالذات بالأسرى الباقين خلف القضبان. وينوه أن الأسرى طالما كانوا دائما وأبدا قاعدة لإجماع وطني فلسطيني ويحظون باحترام وتقدي كبيرين في الشارع الفلسطيني وقيادته. ويضيف «لذا ليس صدفة أن الرئيس عباس ومعه بقية القيادات مصممين على تأمين رواتب الأسرى وعائلاتهم والآن تنضج الأجواء والشروط لتصعيد في غزة وخارجها تتم المبادرة له. قيادة حماس ستستصعب السيطرة على ارتفاع ألسن اللهب ولجم الجهاد الإسلامي ومنعه من المبادرة للاحتكاك والاستفزاز على طول الشريط الحدودي وما خلفه كردّ على حملة الملاحقة الإسرائيلية للأسرى الفارين». ويقول إن كل اعتقال لأقارب الأسرى الفارين وكل إعاقة إضافية تراكمها إسرائيل على حرية الحركة داخل الضفة الغربية وسكانها سيتضح أنها سبب مبرر لرد وفق معايير منظمة الجهاد الإسلامي الراغبة أصلا بتصعيد الأوضاع. ويرى أنه بحال تمّ إلقاء القبض على الأسرى الفارين أو يتعرضون للأذى خلال ملاحقتهم من المرجح أن يؤدي ذلك لانفجارات منظمة وعفوية في قطاع غزة والضفة الغربية التي ستستصعب قوات الأمن الفلسطينية استيعابها أو قمعها. ولا يستبعد الباحث الإسرائيلي أن يشكّل حدث الفرار من الجلبوع محفزا لانفجار عنيف ولجولة عسكرية جديدة داخل قطاع غزة أو يحدد موعدها وربما يقرّبها. ويخلص كوبي ميخائيل لتحذير الفلسطينيين من دون تقديم شروحات وتفاصيل: «صحيح أن الأسرى الستة بنجاحهم في الفرار من حصن الجلبوع قد أججوا من جديد فكرة المقاومة وبعثوها كطير الفينيق، لكن هذا المشعل يحرق أيضا حقلا عملاقا من الأشواك لكن لهيبه يهّدد بالذات الإجهاز على فكرة المقاومة الفلسطينية التي تستيقظ الآن ودفع الفلسطينيين بالتالي عقودا للخلف».

بعد سماء فلسطين الأخيرة

صبحي حديدي

كان الراحل الفلسطيني الكبير إدوارد سعيد مفتوناً بقصيدة «تضيق بنا الأرض» لابن بلده الشاعر الفلسطيني الراحل الكبير محمود درويش، واعتاد اقتباسها على سبيل تمثيل أنساق المنفى المختلفة، داخل فلسطين وخارجها؛ وكان يحلو له اختيار هذه السطور منها على نحو خاصّ:

«إلى أين نذهب بعد الحدود الأخيرة؟

أين تطير العصافير بعد السماء الأخيرة؟

أين تنام النباتات بعد الهواء الأخير؟».

وفي هذا «الأخير» وتلك «الأخيرة» لم يكن سعيد، اقتداءً بما كان درويش يضمره أغلب الظنّ، يقصد سوى فلسطين التاريخ والجغرافيا والبلد والأهل؛ الكبرى، أيضاً، بمعنى آخر حدودها ونهايات سمائها واحتباس هوائها، والتي لا يلوح أنّ ضمير الجمع في الأبيات، المتكلم مثل الغائب، يملك ما بعدها أو ما قبلها أصلاً!

ليس من الواضح، حتى الساعة على الأقلّ، ما إذا كان أحرار فلسطين الستة، الذين كسروا قيود الاحتلال الإسرائيلي في سجن جلبوع، قد اتخذوا قرار مغادرة تضاريس فلسطين الكبرى إلى حدود أخرى تختلف في سماء وهواء، كأن يعبروا إلى الأردن أو إلى لبنان أو حتى إلى الجولان السوري المحتل؛ أم تعمدوا البقاء في الداخل، لغايات شتى. فهؤلاء الذي حفروا النفق، بدأب وصبر وبراعة واحتراف، وغالبوا تكنولوجيات الاحتلال الأمنية الشهيرة التي تتكالب على اقتنائها أنظمة العالم شرقاً وغرباً؛ هل كان صعباً عليهم استكمال التخطيط الأوّل المعقد، بآخر (أقلّ تعقيداً؟) يمكن أن يجعلهم بمنأى عن أجهزة المطاردة الإسرائيلية؟

الثابت، مع ذلك، أنّ واقعة سجن جلبوع قدّمت للإسرائيلي (الواغب في الاستماع والإبصار، وليس ذاك المنتمي إلى فئة الأصمّ الأبكم الأعمى) دليلاً جديداً على أنّ هذا الكيان بدأ اغتصاباً ويتواصل احتلالاً استيطانياً عنصرياً، ويغرق أكثر فأكثر في أحد أنظمة الأبارتيد الأبشع على مدار التاريخ. وبالتالي، لا اعتبار يمكن أن يطرأ بعد 73 سنة أعقبت النكبة، فيفكك العداء المستعصي الذي يحكم علاقته بفلسطين أو الفلسطينيين؛ ولا تطبيع مع هذا أو ذاك من حكّام العرب يمكن أن يبدّل المعادلة، أو حتى يؤجّل احتقاناتها وانفجاراتها وانتفاضاتها.

وليست حقائق وجود 70 أسيراً في سجون الاحتلال من فلسطينيي الداخل، و200 من الأسرى الأطفال، و40 أسيرة امرأة، و520 من فئة «المعتقل الإداري»... سوى مظهر أوّل دالّ على انتفاء الصلة بين كيان الاحتلال وأصحاب الأرض؛ فضلاً، بالطبع، عن حقيقة امتناع التعايش مع الفلسطيني أياً كانت إقامته (هنالك 240 من أسرى قطاع غزّة المحاصر)، أو كانت شريحته العمرية، أو تركيبته الطبقية، أو انتماؤه الإيديولوجي. وإذْ تقوّض هذه الخلاصة مجمل، وربما كامل، الأضاليل الصهيونية التأسيسية حول «الواحة الديمقراطية» في الشرق الأوسط؛ فإنها في الآن ذاته ترفع معدّلات التشقق داخل المجتمع الإسرائيلي ذاته، ليس بين «غوييم» و«أشكنازي» و«سفارديم» هذه المرّة، بل أكثر من أيّ وقت مضى بين «يهودي أصيل» (نموذجه الحاخام كاهانا، دون سواه)، و«يهودي ضالّ» أكل لحم الخنزير (نموذجه الصهاينة أبناء وأحفاد دافيد بن غوريون، حسب الحاخام نفسه).

ولعلّ من المبكر، استطراداً، اتضاح طبائع الخيارات التي انتهى إليها أحرار فلسطين الستة بعد الخروج من النفق، وما إذا كان البقاء أو العبور أو اجتراح فعل مقاومة ما، في صلب مداولاتهم قبل النفق وبعده؛ أو... ما إذا كانت أسئلة قصيدة درويش قد راودتهم هم أنفسهم في نهاية المطاف، فاقتبسوا منها هذه السطور:

«سنكتب أسماءنا بالبخار الملوّن بالقرمزي

سنقطع كفّ النشيد ليكمله لحمُنا

هنا سنموت. هنا في الممرّ الأخير.

هنا أو هنا سوف يغرس زيتونَه

دمُنا».

السلطة الفلسطينية و«أسرى جلبوع» أي مأزق وأي فرصة؟

رام الله ـ «القدس العربي»:
سعيد أبو معلا

ظلت مسألة موقف السلطة الفلسطينية من تمكن ستة فلسطينيين أسرى من انتزاع حريتهم من سجن جلبوع الإسرائيلي تحت السيطرة عبر تصريحات قدمها رئيس الحكومة الفلسطينية محمد اشتيه يوم الثلاثاء الماضي خلال لقاء عقده مع الصحافيين الفلسطينيين وخصص لمناقشة ملفات وقضايا محلية.

قال اشتيه في اللقاء المغلق مع الصحافيين في مدينة رام الله إنه يشيد «بتمكن ستة أسرى فلسطينيين من الفرار من سجن جلبوع الإسرائيلي بعدما حفروا نفقا من داخل زنزانتهم».

وأضاف: «أن لكل أسير فلسطيني يريد الحرية الحق في البحث عن كل الطرق لينالها».

جاءت التصريحات بعد نحو 24 ساعة على الهروب الكبير للأسرى الستة من سجن جلبوع المقام شمال فلسطين، لكن السؤال الأصعب والمعقد في ضوء الحالة الفلسطينية وجه من الإعلام الإسرائيلي إلى الكاتب أشرف العجرمي، وزير سابق لوزارة الأسرى، حيث سأل المذيع الإسرائيلي العجرمي: ماذا لو لجأ الأسرى الستة إلى السلطة الفلسطينية بهدف حمايتهم من إسرائيل، فكيف ستتصرف السلطة الفلسطينية؟

جدل الوزير السابق

رد العجرمي كان أن «السلطة ستقوم باعتقالهم ووضعهم في السجون الفلسطينية، كما حدث سابقا، ومن ثم سيتحدثون مع إسرائيل والمجتمع الدولي للوصول إلى حل، وفي نهاية الأمر لا اعتقد أن السلطة ستسلمهم لإسرائيل، بل ستدخلهم لسجون السلطة».

العجرمي الذي يتقن العبرية بطلاقة، وقد شغل منصب وزير لشؤون الأسرى والمحررين، ووزير للشباب والرياضة في حكومة سلام فياض حتى عام 2009 سألته المذيعة في صحيفة «يديعوت أحرنوت» في اللقاء المتلفز نفسه في 9 ايلول/سبتمبر: «هل ما زالوا في إسرائيل، هل يمكن أن ينفذوا عمليات إرهابية فيها؟».

رد العجرمي: «أعتقد ان هدفهم الهروب وأن يكونوا في أمان، ربما ينجحون باجتياز الحدود إلى عمان أو لبنان وهذا يجعل السلطة وإسرائيل تتخلصان من هذه المشكلة».

مقطع الفيديو الذي انتشر بسرعة لم يتجاوز 1:22 ثانية، وهو ليس جميع المقابلة الصحافية، لكنه كان كافيا لإثارة الشارع الفلسطيني وحركة فتح أيضا، لكونه تضمن ما يريد الشارع الفلسطيني تجاهله أو عدم التفكير فيه أمام حالة الانتشاء والنصر العامة. وبطبيعة الحال لن يكون هذا النوع من الأسئلة مرحبا به لمسؤولين فلسطينيين من وسائل إعلامية فلسطينية أو عربية لكونه يضع الأمور في نطاقها الحقيقي والمؤلم أيضا.

رد حركة فتح جاء سريعا على العجرمي حيث قال المتحدث باسم الحركة، كايد ميعاري، إن التصريحات المنشورة لأشرف العجرمي، وزير الأسرى السابق، «غير مسؤولة، وطعنة في ظهر الحركة الأسيرة».

وأضاف ميعاري في بيان صحافي صدر عنه الخميس الماضي ووصلت «القدس العربي» نسخة منه أن تصريحات العجرمي لا تعبر عن الحركة الوطنية والحركة الأسيرة التي تتعرض لأبشع صور التنكيل.

وشدد البيان على موقف اللجنة المركزية لحركة فتح، التي حيت الأسرى الذين انتزعوا حريتهم، وصفعوا منظومة السجان وانتصروا لكرامة الشعب الفلسطيني.

العالول: سنحمي الأسرى

آخر موقف عبر عن حركة فتح صدر عن نائب رئيس اللجنة المركزية لحركة فتح، محمود العالول الذي قال «إن الحركة جماهير الشعب الفلسطيني لنصرة الأسرى، ودعم نضالهم، مؤكدة على أهمية رص الصفوف والوحدة الوطنية، وعدم الانجرار للشائعات الهادفة إلى ضرب وحدة الصف الوطني خلف الحركة الأسيرة.

كما حيّا المجلس الثوري لحركة فتح، في بيان صحافي صدر قبل يومين عضو المجلس الثوري زكريا الزبيدي ورفاقه الأسرى، وحمل المجلس الثوري لحركة فتح، حكومة الاحتلال الإسرائيلي وأجهزتها المسؤولية الكاملة عن حياة الزبيدي ورفاقه.

لكن نشطاء انتقدوا لغة الخلط بين موقف فتح الواضح والداعم مباشرة للأسرى، وموقف السلطة الفلسطينية، واعتبروا أن جعل أي «نقد للسلطة هو بالضرورة موجها لفتح خلط متعمد بقصد شيطنة كل من ينتقد سلوك السلطة وأجهزتها الأمنية».

فلسطينيون يتظاهرون مع الأسرى الفارين في رام الله

من جانبه قال محافظ جنين أكرم الرجوب لموقع «ميكوريشون» العبري: «لا أظن أن الأسرى الستة في أراضي السلطة الفلسطينية» وأكد الرجوب أن السلطة: «لن تسلم معلومات عن الأسرى، فهذه ليست مسؤوليتنا والأسرى خط أحمر».

وأضاف: «لا أعتقد أن اعتقالهم سيؤدي لاندلاع انتفاضة ولكن اعتقالهم قد يفاقم الأوضاع». معتبرا أن أي تصعيد قادم يتوقف على سلوك إسرائيل وكيفية تعاملها مع الأسرى، مؤكدا «أننا ندعم الأسرى الذين هربوا والذين داخل السجون ولن ندير لهم ظهرنا».

ويبدو أن قضية الأسرى تحمل فرصة كبيرة للسلطة ولحركة فتح وتحديدا وأن أحد أبرز قياداتها العسكرية وهو زكريا الزبيدي الأسرى الذين انتزعوا حريتهم، وهو أمر يمكن استثماره لحصد مزيد من التأييد في الشارع الفلسطيني.

فالقضية، بحد ذاتها، تعتبر حدثا وحد الفصائل الفلسطينية جميعها، وجعلها تعود للميدان الذي يبدو أن حركة فتح تديره بالضفة الغربية لصالحها، فهي تشترك ميدانيا في مظاهر الإسناد للأسرى في السجون الإسرائيلية وهو ما يعطي فرصة لإعادة اللحمة السياسية والميدانية للفصائل الفلسطينية وبقيادة الحركة أيضا.

أسئلة محرجة

الحرج السياسي الذي يمكن ان تصاب به السلطة الفلسطينية وأجهزتها الأمنية مرتبط بسؤال فيما لو علمت إسرائيل بمكان الأسرى جميعهم أو بعضهم وطالبت السلطة الفلسطينية باعتقالهم بالمرحلة الأولى؟ وماذا لو اعتقلتهم السلطة، وهو أمر يصعب تنفيذه في ضوء طبيعة القضية وحجم الموقف الشعبي فلسطينيا، ومن ثم طالبت إسرائيل بتسليمهم لها في ضوء أن القضية إسرائيليا أصبحت مسألة هيبة وقضية ردع؟

تأتي هذه الأسئلة الصعبة والتي تمتلك في داخلها معطيات تدفع بالتصعيد العسكري والشعبي وهو أمر يتوافق مع حالة من الهدوء واللقاءات الثنائية ومحاولة بذل جهود إعادة الثقة بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

وتعتبر إحدى المطالب الفلسطينية التي قدمها محمود عباس في اجتماعه الأخير مع وزير الجيش الإسرائيلي بيني غانتس إيقاف الاقتحامات الإسرائيلية لمدن الضفة أو تلك التي تقع في مناطق ألف، وهو أمر مرتبط بتعهد فلسطيني بتنفيذ كل ما تطلبه إسرائيل من الأجهزة الأمنية الفلسطينية.

وبحسب البند (15) من اتفاقية بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل حمل اسم «اوسلو 2» أو ما يعرف بـ«اتفاقية طابا» نسبة إلى طابا في شبه جزيرة سيناء المصرية بتاريخ 24 أيلول/سبتمبر 1995 وينص البند الذي يحمل اسم «منع الأعمال العدوانية» على أن «يأخذ الطرفان الإجراءات الضرورية لمنع أعمال الإرهاب، الجريمة، والأعمال العدوانية الموجهة ضد الطرف الآخر أو ضد أفراد واقعين تحت سلطة الطرف الآخر وضد ممتلكاتهم وسوف تؤخذ الإجراءات القانونية ضد مرتكبي هذه الأعمال».

وتتمسك السلطة الفلسطينية بكل ما أفضى به اتفاق أوسلو وهو ما لا تعترف به ولا تمارسه السلطات الإسرائيلية وهو أمر عمل دوما على تدني أسهم السلطة شعبيا لكونها مصرة على المضي بالاتفاقيات الموقعة.

بدوره نفي الناطق باسم المؤسسة الأمنية الفلسطينية اللواء طلال دويكات في تصريحات صحافية وجود «أي تواصل بين الأمن الفلسطيني وإسرائيل بشأن الأسرى الستة».

واعتبر دويكات أن «كل ما يشاع عن ذلك عارٍ عن الصحة، ويهدف إلى خلق فجوة بينَ السلطة الفلسطينية وشعبها».

وكانت قد انتشرت أخبار نسبت لصحيفة لبنانية نقل عنها موقع إسرائيلي عبري عن أن السلطة مستعدة للقيام بجهود مع إسرائيل في ملف الأسرى الستة شريطة ألا تتم تصفيتهم، وهو ما لم يتم التحقق منه.

وأوضح دويكات أن السلطة الفلسطينية «لا يمكن أن تضع نفسها في صورة من يتعاون لتسليم أسرى تمكنوا من انتزاع حريتهم من سجون الاحتلال الإسرائيلي». بدوره تمنى دويكات «السلامة للأسرى الستة» مؤكدا أن «القيادة الفلسطينية تضع كل إمكانياتها للإفراج عن بقية الأسرى من السجون الإسرائيلية».

تقديرات أمنية إسرائيلية

يتعمق المأزق في ظل أن التقديرات الأمنية الإسرائيلية تشير إلى أن جزءا من الأسرى الفارين دخل الضفة الغربية، وهنا تكون الخيارات أمام قوات الاحتلال الإسرائيلي إما دخول الجيش للضفة الغربية للبحث عن الأسرى، وهو ما سيقود لمواجهات مع فلسطينيين مسلحين سيحاولون الدفاع عن الأسرى.

ذلك السيناريو يجعل المسألة تتدحرج لتصبح مواجهة مفتوحة مع الفصائل الفلسطينية التي تعهدت بحماية الأسرى بالسلاح، أما الخيار الثاني فهو أن تقوم السلطات الإسرائيلية بالعمل على الطلب من السلطة فعل ذلك تنفيذا لاتفاقيات دولية وهو ما يجعل السلطة في موقف صعب للغاية وفي خانة الحرج الشديد بحسب المحلل السياسي عريب الرنتاوي.

أما في حال رفضت التجاوب مع الطلبات الإسرائيلية يرى الرنتاوي أنه أمر يعمل على خسارة حزمة التسهيلات الاقتصادية الإسرائيلية ضمن إجراءات بناء الثقة التي أعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس استعداده لقبولها مؤخرا في القمة الثلاثية في القاهرة.

الهروب من «انفاق الحرية» أو بـ «صفقة تبادل» هكذا يتحرر أسرى «مدى الحياة» من سجون إسرائيل

غزة ـ «القدس العربي»:
أشرف الهور

تثبت عملية هروب الأسرى الفلسطينيين الستة من «نفق الحرية» الذي اخترق التحصينات الأمنية، لأعتى سجون الاحتلال «جلبوع» والمفاوضات التي تقودها المقاومة الفلسطينية، في هذا الوقت، من خلال الوسطاء، لإطلاق سراح أعداد كبيرة من الأسرى، أن الشعب الفلسطيني يرفض القيود والسلاسل، وأن شبابه خلقوا للحرية، ولن يكتب عليهم البقاء أبد الدهر خلف الزنازين المعتمة.

وقد حملت عملية الهروب، العديد من الرسائل، كان أبرزها «كسر منظومة الأمن» التي تتغنى بها إسرائيل، وتعتبرها الأقوى في العالم، حيث تروج لذلك من خلال التعاقد مع دول كبرى وأخرى عربية انضمت لتلك القافلة، التي تستورد التكنولوجيا الأمنية من تل أبيب، علاوة على حملها رسالة، أكدت أن أولئك الأسرى، رغم قلة الإمكانيات وفقدان أبسط أنواع أجهزة التكنولوجيا، تمكنوا من التغلب على كافة أجهزة استخبارات الاحتلال، التي تنشط في السجون، بل وتفوقت عقولهم على أجهزة الاستشعار والمراقبة.

فمن ذلك السجن «جلبوع» الذي يعد الأكثر تحصينا وتشديدا في إجراءات الأمن، فر الأسرى الستة، وتمكنوا من حفر النفق، وإخفاء الرمال طوال فترة الحفر التي امتدت لعدة أشهر، بدون أن يشعر السجان وضباط الأمن بأي تغير، حتى أن يوم الهروب، اختير بدقة بالغة، ما يثبت عزيمة الفلسطينيين، وتوقهم للحرية.

فاختيار أبطال عملية الهروب، دخول «الأعياد اليهودية» التي تكثر فيها إجازات الجنود، كما اختاروا ليلة لم يتجل فيها القمر بكامل هيئته، مستغلين الظلام للحركة من خارج أسوار السجن، حيث فتحة النفق، حتى مسافة بعيدة، أوصلتهم إلى منطقة تبعد عدة كيلو مترات، ليختفوا من هناك عن رقابة الاحتلال الذي فشل من خلال كاميرات المراقبة المنتشرة في الشوارع وطائرات الاستطلاع والدراون وأجهزة التجسس الأخرى من الوصول إليهم.

ويرتدد أنه لولا إبلاغ مزارعين يقطنون على مسافة بعيدة نسبيا من السجن، عن وجود حركة غريبة لبعض الأشخاص، لما اكتشف السجان أمر الفرار فجر اليوم التالي من الهروب، ولبقي أمر كشف فرارهم حتى ساعات الصباح الأولى، حين يخضع السجان الأسرى للعد اليومي.

ولأن عملية الهروب، عبرت عن كل الشعب الفلسطيني، فإن خبرها أثلج قلوب الفلسطينيين من منطقة سكناهم في مدينة جنين شمال الضفة الغربية، حتى مدينة آخر نقطة في قطاع غزة، حيث يمثل إطلاق سراح الأسرى مطلبا وطنيا، لا يختلف عليه اثنان سواء في القيادة التي أبرمت اتفاق سلام، ينص على إطلاق سراحهم، لم تنفذ بنوده إسرائيل، أو في صفوف المعارضة، التي سعت عبر أسر الجنود الإسرائيليين لإطلاق سراحهم.

فعمت الأفراح وخرجت المسيرات الشعبية، ووزعت في شوارع فلسطين الحلوى، كما أطلقت النساء الزغاريد، فيما توعدت المقاومة بالرد بكل الطرق الممكنة على الاحتلال، وأنذرته من المس بحياتهم، بعد أن نشر الاحتلال وحدات عسكرية كبيرة، يخشى أن تقدم على تصفيتهم.

وفي عملية الهروب التي ستصبح إحدى الحكايات التي ستذكرها «قصص النضال» كونها تمثلت على أرض الواقع، لم ترد في قصة فيلم هوليوودي، ضرب أبطال العملية الستة، نظرية الأمن الإسرائيلي في مقتل، وأوصلوا للعالم أجمع رسالة أن الشباب الفلسطيني لم يخلق ليمضي حياته خلف قصبان السجون، ليس لذنب اقترفه، وإنما لمقاومة الاحتلال، وفق ما أقرته القوانين الدولية.

فبإرادة من حديد، تكمن هؤلاء الأسرى باستخدام أدوات بسيطة جدا «ملعقة صدأة» وأيديهم، بالاستعانة بهممهم التي تلين أمامها الجبال، تمكنوا من حفر «نفق الحرية» لينقلهم من عتمة الزنازين وضيقها إلى رحب الدنيا وشمسها، وليأخذهم من ظلم السجان وجبروته، إلى أرض فلسطين بحنانها وأشجارها وحجارتها ومائها وسمائها.

وأراد هؤلاء الأسرى، أن يثبتوا للعالم أنهم ليسوا أرقاما، كما أرادت إسرائيل، وأنهم أسرى حرية، يرفضون الواقع المرير، ويتطلعون لليوم الذي تزول فيه قيود السجان وظلم الاحتلال.

وقد وصف الجنرال احتياط افي بن ياهو، الهرب من نفق حفره ستة سجناء، بانه يمثل «إخفاقا كبيرا جدا يكشف عن أوجه قصور خطيرة للغاية في المخابرات والأمن بالمنشأة» فيما نقلت تقارير عبرية عن مسؤول كبير في الشرطة الإسرائيلية وصفه لحادثة الهروب بأنها «أحد أخطر الحوادث الأمنية بشكل عام».

عقوبات إسرائيلية

ومن أجل التغطية على الفشل العسكري والأمني الذريع على حادثة فرار الأسرى الستة من سجن جلبوع أكثر سجون الاحتلال حماية، شددت إدارة السجون الصهيونية من إجراءاتها في مختلف السجون، وقالت هيئة شؤون الأسرى إنه وفقا للمتابعة المستمرة لأوضاع السجون والمعتقلات بعد هروب الأسرى كثفت إدارة السجون طواقمها، بعد أن أفرغت سجن جلبوع من الأسرى ونقلتهم إلى جهات غير معلومة.

وأضافت بأن أسرى قسم 2 في سجن جلبوع المحكومين بالسجن المؤبد، وزعوا على سجون «ريمون ونفحة والنقب» وأن حركة تنقلات كبيرة حدثت في صفوف أسرى حركة الجهاد الإسلامي في السجون حيث حول عدد كبير منهم إلى الزنازين، كما تم تحويل قيادة الحركة وعدد من عناصرها إلى تحقيق الجلمة، وأوضحت الفلسطينية في غزة باللجوء لكل الخيارات لحمايتهم، بما فيها العسكرية، فيما طالب نادي الأسير المؤسسات الحقوقية الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة والصليب الأحمر الدولي بفرض رقابة وحماية دولية على الأسرى، وبتكثيف الجهود لمتابعة أوضاعهم، وطمأنة عائلاتهم، كما حمّل الاحتلال المسؤولية الكاملة عن حياتهم، وحذر رئيس النادي قدورة فارس، من أن الضغط على الأسرى قد يؤدي إلى انفجار الوضع داخل وخارج السجون.

ومنذ الكشف عن عملية الهروب المدبرة، شرعت قوات إسرائيلية كبيرة بعملية البحث، باستخدام أعتى الوسائل التقنية، ووحدات عسكرية كبيرة، حيث نشرت قوات الاحتلال أكثر من 260 حاجزا عسكريا، وهو ما يثير مخاوف من قيام الاحتلال بتصفيتهم، وقد كافة السجون نتيجة إجراءات عقابية يفرضها الاحتلال على الأسرى، لافتا إلى أن السجون «مقبلة على موجة تصعيد خطيرة» في ظل الإجراءات العقابية.

ومع إعلان الأسرى «حالة النفير العام» رفضا للعقوبات ضدهم، قام بعضهم بإلقاء الماء الساخن تجاه قوات القمع الإسرائيلية التي داهمت زنازينهم، فيما قام آخرون بحرق غرفهم رفضا لقرارات نقلهم إلى سجون أخرى.

وكان مسؤولون في مصلحة سجون الاحتلال هددوا باتخاذ إجراءات مواجهات عنيفة مع الأسرى وبتفكيك ما وصفوه بـ«مراكز القوة» لدى قيادة الأسرى، عبر حركة تنقلات واسعة داخل السجون.

وبسبب الخشية من تعرض الأسرى للخطر، حذرت الفصائل الفلسطينية في غزة باللجوء لكل الخيارات لحمايتهم، بما فيها العسكرية، فيما طالب نادي الأسير المؤسسات الحقوقية الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة والصليب الأحمر الدولي بفرض رقابة وحماية دولية على الأسرى، وبتكثيف الجهود لمتابعة أوضاعهم، وطمأنة عائلاتهم، كما حمّل الاحتلال المسؤولية الكاملة عن حياتهم، وحذر رئيس النادي قدورة فارس، من أن الضغط على الأسرى قد يؤدي إلى انفجار الوضع داخل وخارج السجون.

ومنذ الكشف عن عملية الهروب المدبرة، شرعت قوات إسرائيلية كبيرة بعملية البحث، باستخدام أعتى الوسائل التقنية، ووحدات عسكرية كبيرة، حيث نشرت قوات الاحتلال أكثر من 260 حاجزا عسكريا، وهو ما يثير مخاوف من قيام الاحتلال بتصفيتهم، وقد دفع ذلك بحركة الجهاد الإسلامي التي ينتمي لها خمسة من الأسرى الستة، إلى توجيه رسائل تحذير، وقال القيادي في الحركة خالد البطش «إن اغتيال الأسرى الستة الفارين من سجن جلبوع في شمال إسرائيل، سيدفع الاحتلال ثمنه غاليًا» وأضاف «يجب أن تكون الرسالة واضحة بدون التباس ونحذر العدو من الفتك بهم أو اغتيالهم».

ومن المؤكد أن عملية الهروب، ستمثل دافعا قويا لأسرى آخرين، يتوقون لليوم الذي يرون فيه شمس الحرية، بعد أن قضت ضدهم محاكم الاحتلال العسكرية بالسجن مدى الحياة، على غرار أبطال عملية الهروب الستة، وحينها سيتمكن هؤلاء رغم الإجراءات الأمنية التي ستضاعفها سلطات الاحتلال، من الوصول إلى الطريقة التي يكسرون فيها قيد السجان، إذ أثبت الكثير ذلك، من خلال تهريب «النطف» التي زرعت في أرحام نسائهم، ليبصر لهم إطفال خارج السجن النور، ويسموا «سفراء الحرية».

مواطنون يوزعون الحلى في غزة

صفقة تبادل

وفي دلالة على أهمية قضية الأسرى، توافقت عملية الهروب مع أنباء ترددت حول جولة مفاوضات واتصالات جديدة قادها الوسيط المصري، بشأن انجاز صفقة تبادل الأسرى، ما بين المقاومة وإسرائيل، حيث زار وفد أمني إسرائيلي مطلع الأسبوع الماضي العاصمة المصرية القاهرة، وكان ملف التبادل أبرز الملفات التي جرى بحثها.

ومن المقرر أن يقوم وفد أمني مصري بجولة تشمل غزة وتل أبيب، لبحث مستقبل الصفقة، التي تدار بعيدا عن الإعلام، حيث كشف النقاب قبل أكثر من أسبوعين، أن الوسطاء قدموا مقترحا جديدا، طلب من الطرفين المقاومة وإسرائيل الرد عليه، ويشمل إبرام الصفقة على عدة مراحل.

والمعروف أن الجناح العسكري لحركة حماس يأسر أربعة إسرائيليين، بينهم جنديان أسرهم خلال الحرب التي شنتها إسرائيل صيف العام 2014 وتطلب حركة حماس مقابل إطلاق سراحهم، أن تقوم إسرائيل بإطلاق سراح أعداد كبيرة من الأسرى الفلسطينيين المحكومين بأحكام عالية، على غرار صفقة تبادل الأسرى التي أبرمت عام 2011 وأطلقت بموجبها الحركة سراح الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليط، مقابل 1027 أسيرا، نصفهم من ذوي المحكوميات العالية (المؤبد ومدى الحياة).

وفي سجون إسرائيل هناك أكثر من 500 أسير محكومون بالمؤبد «مدى الحياة» من بينهم حاليا أكثر من 90 أسيرا مضى على اعتقالهم أكثر من 20 عاما، وبينهم عدد من الأسرى مضى على اعتقاله أكثر من 30 عاما، أبرزهم الأسرى كريم يونس والأسير نائل البرغوثي، حيث يقترب الأول من عامة الأربعين، فيما أمضى الثاني أكثر من 40 عاما في الاعتقال.

وهؤلاء الأسرى لا خلاص لهم من ظلمة الزنزانة الإسرائيلية سوى كسر قيودها، أو الهروب من خلال نفق، أو التحرر من خلال صفقة تبادل، خاصة وأن عددا منهم قضى بسبب المرض الذي أصابهم خلال الأسر، ورغم خطورة وضعهم الصحي رفض الاحتلال إطلاق سراحهم، حتى أن الاحتلال لا يزال يحتفظ بجثامين شهداء أسرى قضوا في السجون، ممن كانوا يقضون أحكاما مدى الحياة.

غزة: تضامن شعبي واسع مع أسرى جلبوع الفارين ودعوات للتشويش على عمليات البحث الإسرائيلية

إسماعيل عبدالهادي

يحظى الأسرى الفلسطينيون المعتقلون في سجون الاحتلال الإسرائيلي، بمنزلة كبيرة في وجدان الشعب الفلسطيني، لما تمثله قضيتهم من قيمة معنوية ونضالية وتعتبر من أبرز اهتمامات الفلسطينيين، كما أن قصة صمودهم ومقاومتهم للمحتل، تعتبر نموذجاً يقتدى به على الرغم من المعاناة التي يواجهونها من قبل إسرائيل، من خلال تعذيبهم والتنكيل بهم للنيل من عزيمتهم.

ووفق هيئة شؤون الأسرى والمحررين، فقد بلغ عدد الأسرى الفلسطينيين القابعين داخل السجون الإسرائيلية نحو 4 آلاف أسير، من بينهم 225 أسيراً من الأطفال، و43 أسيرة فلسطينية و540 أسيراً يواجهون الاعتقال الإداري لم تصدر بحقهم السلطات الإسرائيلية أي لائحة اتهام ولم يتم تقديمهم للمحاكمات العسكرية، فيما يقضي 547 أسيراً أحكاماً بالسجن المؤبد مدى الحياة.

وفي ظل المعاناة القاسية التي يواجهها الأسرى الفلسطينيون داخل المعتقلات الإسرائيلية، وصمت المجتمع الدولي والعربي على ممارسات إسرائيل التعسفية بحقهم، فرض الأسرى داخل السجون العديد من الخطوات التصعيدية لمواجهة مخططات إدارة السجون، حيث شرعوا بالضغط على الاحتلال من خلال الدخول في معركة الأمعاء الخاوية، والتي خاضها وما زال يخوضها عدد من الأسرى كرد على إجراءات إدارة السجون التعسفية بحقهم، حيث لاقت هذه المعركة دعماً وإسناداً ومناصرة من قبل الشعب الفلسطيني، ونجحت في تحقيق مطالب العديد ممن خاضوا هذه المعركة.

هروب نوعي

وتشهد فلسطين استنفارا شعبياً واسعاً تضامناً مع حراك حافل للأسرى داخل السجون الإسرائيلية، وإلى جانب ذلك عم الفرح والسرور الشارع الفلسطيني، ووزع المواطنون الحلوى ابتهاجاً بانتزاع ستة من الأسرى الفلسطينيين حريتهم من داخل سجن جلبوع الإسرائيلي الأكثر تحصيناً، بعد أن تمكنوا من حفر نفق أسفل السجن والهروب في عملية نوعية، تمثل تحدياً واضحاً للتعقيدات الأمنية الإسرائيلية وتؤكد توق الفلسطينيين الأبدي للحرية. ومن هنا لم يكن مستغرباً توجه الاحتلال للانتقام من السجناء الفلسطينيين للتغطية على فشله في العثور على خيوط توصله بالأسرى، ولذلك تشهد سجون الاحتلال حالة تمرد من قبل الأسرى الفلسطينيين، انتصاراً للأسرى الستة الفارين ورفضاً لإجراءات الاحتلال الانتقامية ضد الحركة الأسيرة، حيث أشعل أسرى سجن النقب الصحراوي النار في الزنازين، فيما أشعل أسرى سجن ريمون النيران في عدة أقسام داخل السجن، وذلك احتجاجاً على حملة القمع الشرسة التي يتعرضون لها.

ويعد سجن جلبوع الإسرائيلي، قلعةً حصينة أقيمت من الأسمنت المسلح والفولاذ، ويحاط السجن بجدار ارتفاعه تسعة أمتار ويوجد في أعلاه صاج مطلي، وذلك كبديل عن الأسلاك الشائكة التي توجد عادة في جميع السجون، وقد نصب على جميع نوافذ السجن قضبان مصنوعة من الحديد والإسمنت، فيما تم إدخال عنصر سري تحت أرضية السجن كي لا يسمح بالحفر، ومع بداية افتتاحه تم نقل مجموعة من الذين يعتبرون من النواة الصلبة للأسرى، كما يخضع لإجراءات أمنية مشددة ومعقدة.

ونتيجة لحالة الهستيريا التي تنتاب أجهزة الأمن الإسرائيلي، أقدم الجيش على سلسلة إجراءات عقابية بحق عائلات الأسرى الستة، حيث يواصل شن حملة اعتقالات واسعة بحق أقرباء وأصدقاء الأسرى الفارين، إلى جانب الاعتداء على منازل ذوي الأسرى، ونتيجة لذلك يواصل المواطنين في الضفة الغربية التصدي لممارسات الاحتلال بحق أهالي الأسرى والاقتحامات المتكررة للقرى والمدن الفلسطينية، حيث دعت القوى الوطنية والإسلامية المواطنين في قطاع غزة والضفة الغربية، للخروج الجمعة الماضية في مظاهرات حاشدة على كافة نقاط الاحتكاك مع إسرائيل، اسناداً للأسرى وللتشويش على محاولات الجيش البحث والعثور عليهم.

وقالت صحيفة «إسرائيل اليوم» العبرية، إن المؤسسة الأمنية متخوفة من التطورات الميدانية الصاحبة لعمليات البحث المتواصلة عن الأسرى الستة الفارين، والخوف يزداد من فقدان السيطرة على الأوضاع الأمنية في الضفة الغربية، فإسرائيل باتت تعي بأن السلطة الفلسطينية لا يمكنها أن تعبر على الموضوع، لأن ملف السجناء يجمع عليه الشارع الفلسطيني، ولكن مصلحتها هي الحفاظ على الهدوء خوفاً من عنف محتمل يوجه ضدها أيضاً، ولكن حالة الاستعداد في مخيم جنين من قبل المواطنين وفصائل المقاومة لمواجهة اقتحامات الجيش، تنذر بتفجر الأوضاع الأمنية.

إهانة ثانية لإسرائيل

وأشارت الصحيفة إلى أن الجمهور الفلسطيني يعرف هرب الفلسطينيين الستة كإهانة ثانية لإسرائيل، بعد نشر صور الحادثة التي قتل فيها القناص برئيل شموئيلي على حدود غزة، فحالة التضامن الواسعة من قبل الشارع الفلسطيني مع الأسرى زادت من إحباط الجيش الإسرائيلي، فهذا التضامن يرفع من معنويات الأسرى داخل السجون، ويجعلهم يفكرون بالانتقام من السجانين، كما أن ذلك يدفعهم للتفكير في كيفية انتزاع الحرية أسوة بالأسرى الفارين.

واعتبر مواطنون في قطاع غزة، أن تمكن الأسرى من تحرير أنفسهم بطريقة غير متوقعة رغم كل الإجراءات والتعقيدات الأمنية، هو عمل بطولي شجاع وانتصار لإرادة وعزيمة أسرانا الأبطال، في حين إن انتزاع الحرية بهذه الطريقة المذهلة، شكل عملاً بطولياً كبيراً وأحدث هزة شديدة للمنظومة الأمنية الإسرائيلية التي تتباها بقوتها الأمنية والعسكرية.

في سياق ذلك، أشاد المواطن محسن أبو كرش بعملية الهروب العظيم التي نفذها الأسرى الفلسطينيون الستة في معتقل جلبوع، مشيراً إلى أن ما جرى يؤكد على صلابة الإرادة الفلسطينية وتحديداً لدى الأسرى الذين يعبرون بشكل يومي عن صمودهم في وجه الإجراءات التعسفية التي تنتهجها مصلحة السجون بحقهم، وهو مؤشر على أن الشعب الفلسطيني مستعد أن يتجاوز كافة المعيقات في سبيل الحرية وكسر القيود الإسرائيلية.

وقال لـ«القدس العربي»: «إن ما حدث هو حق وليس هروبا» في حين شكل انتزاع الأسرى لحريتهم بهذه الطريقة البطولية صفعة كبيرة وموجعة لمصلحة السجون الصهيونية، وذلك لفشلها الذريع في الكشف عن هذه العملية، رغم عمليات التفتيش المستمرة واليومية لزنازين الأسرى، بالإضافة إلى الحراسة المشددة وكاميرات المراقبة الدقيقة التي تغطي مساحات واسعة، ورغم كل هذه الإجراءات والتعقيدات نجح الأسرى من الفرار.

أما المواطن محمود الأشقر فقد عبر عن فرحته بانتزاع الأسرى حريتهم، من خلال توزيع الحلوى على المركبات والمحال التجارية المجاورة لمنزله، داعياً في حديثه لـ«القدس العربي» المواطنين وكل الأحرار في الضفة الغربية، للتشويش على محاولات البحث من قبل الجيش الإسرائيلي عن الأسرى، والعمل على احتضانهم وتوفير الحماية اللازمة لهم، باعتبار ذلك واجب وطني على كل فلسطيني في ظل التعاون الأمني بين السلطة والاحتلال، والذي من شأنه التأثير على الحاضنة الشعبية الفلسطينية.

تطورات خطيرة

وبين الكاتب والمختص في شؤون الأسرى شريف الحلبي أن المرحلة الحالية تشهد تطورات خطيرة، تكاد تكون من أخطر المراحل التي يمر بها الأسرى في السجون، بسبب إجراءات الاحتلال الانتقامية بحقهم في كافة السجون، مع انه لم يعهد من قبل أن رفع الأسرى الراية البيضاء، فهم على الدوام يواجهون مخططات الاحتلال ويتخذون خطوات تصعيدية، تصل أحياناً إلى الإضراب العام والعصيان المدني داخل السجون لانتزاع حقوقهم.

وقال الحلبي لـ«القدس العربي»: «إن عملية الهروب الكبير ستكون لها تداعيات على الشارع الفلسطيني، كما أن العملية لها ارتدادات على المؤسسة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية، والتاريخ سيكتب أن هذه العملية لها ما بعدها، حيث أدخلت الاحتلال في حرب نفسية منذ اللحظة الأولى لاكتشاف الأمر، وأدرك فشله في الحصول على معلومات حول الأسرى أنه في مأزق أمني غير مسبوق».

وأوضح الحلبي أن ما حدث في سجن جلبوع، كان له وقع إيجابي على الجميع سواء الأسرى في السجون أو المواطنين في الخارج، وأسهم في رفع المعنويات، في حين إن عملية الفرار التي قام بها الأسرى الأبطال، ستفتح المجال أمام باقي الأسرى للتفكير بطرق تمكنهم من الانتصار على السجان، لافتاً إلى أن الاحتلال لن يدخل تكنولوجيا جديدة إلى السجون فيما يتعلق بالبناء، فهي محصنة جيداً ولكن عزيمة الأسرى منحتهم الفرصة في الخروج رغم القيود والتحصينات المشددة.

ويتعرض الأسرى الفلسطينيون لأبشع صور التعذيب داخل السجون في أعقاب عملية جلبوع، وتتجه الأمور نحو المزيد من العمل العنصري الانتقامي بتوجيهات ودعم سياسي وعسكري إسرائيلي، للتغطية على الانكسار أمام بطولة وعزيمة ستة أسرى كسروا المنظومة الأمنية الإسرائيلية الأكثر تحصيناً.

تفاصيل ليلة زرعت الغصة في قلوب الفلسطينيين

«اعتقال الأسرى الأربعة» الاحتلال عندما يرمم صورته ويحطم مقاوميه

رام الله – «القدس العربي»:

جيش الاحتلال في عملية تفتيش عن الأسرى

لم يعد الأمر بالنسبة للاحتلال الإسرائيلي الإمساك بأربعة من أصل ستة أسرى فلسطينيين فروا قبل خمسة أيام من سجن جلبوع شمال الضفة الغربية، بل أصبح عملية كبيرة لصناعة الرأي العام داخليا بعد أن تهشمت صورة الأمن والقبضة الأمنية الإسرائيلية، وخارجيا في علاقة هذا الاحتلال وممارساته مع الشعب الفلسطيني الذي يرزح تحت هذا الاحتلال.

وهو ما جعل إعلاميين وسياسيين وخبراء في الشأن الإسرائيلي يرون في كل ما يخرج من وسائل الإعلام الإسرائيلية التي لا تنشر إلا بموافقة أمنية من جهاز الأمن الداخلي «الشاباك» بإنه جزء من معركة صناعة الوعي والدعاية السياسية والأمنية الإسرائيلية، وهي كلها محاولة لترميم صورة الاحتلال وتحطيم صورة الذين يقاومونه.

وكان خبر اعتقال قوات الاحتلال لأربعة أسرى من أصل ستة صدمة كبيرة وغصة عاشها قلب كل فلسطيني. فقد أعلنت شرطة الاحتلال اعتقال الأسيرين محمود العارضة ويعقوب القادري، أثناء وجودهما في مدينة الناصرة، قبل منتصف الليل وبعد ساعات قليلة في ساعات الفجر الأولى تم الإعلان عن اعتقال محمد العارضة وزكريا الزبيدي في قرية «أم البقر» بالقرب من مدينة أم الفحم التي تقع بمحاذاه الخط الأخضر الفاصل بين الضفة الغربية وفلسطين 48.

رواية وخطاب إسرائيلي

المحلل السياسي والخبير في الشأن الإسرائيلي إيهاب جبارين قال في تصريحات صحافية أن كل ما يصل عن عملية الاعتقال هو من المصادر الإسرائيلية، وكل ما يخرج يأتي ليكون جانبا أو جزءا من خطاب الرواية الإسرائيلية، فنحن لا نعرف ما هو حقيقي في مسألة الهروب ولا ما هو حقيقي في مسألة الإمساك بهم، وهو أمر يصعب التحقق منه إلا بعد سنوات، فالجهات الإسرائيلية تبث ما تريده هي أن يصل للفلسطينيين والإسرائيليين على السواء بهدف تحقيق مصالحها.

وكانت مواقع إعلامية إسرائيلية نشرت أخبارا تفيد أن عائلة عربية من الناصرة هي التي وشت باثنين من الأسرى عبر اتصالها بالشرطة، وهو خبر انتشر كـ«النار في الهشيم» خالقا غضبا وتبادلا كبيرا للاتهامات والشتائم على المنصات الاجتماعية. عن ذلك يؤكد جبارين: «أي سيناريو حدث بالضبط؟ أظن أن الاحتلال الذي أنزعج من مسألة الوحدة بين شقي الوطن خلال أحداث هبة القدس رغب استثمار هذه الحادثة في تعميق الشرخ بين الداخل المحتل والضفة الغربية عبر ترويج هذه الأخبار».

ويؤكد جبارين أن ما نشهد هو عملية إخراج متقنة لحدث لا نملك جميعنا أي معلومات عنه، هل فعلا عائلة من الناصرة بلغت الشرطة؟ وهل عندما بلغت (على افتراض ذلك) كانت تعرف أن الشابين هما من الأسرى الهاربين من جلبوع؟ كل ذلك لا نعرفه بدقة، والشاباك يدير العملية باحتراف ونحن نتلقف الصور والفيديوهات والأخبار وننشرها.

وتابع جبارين: «إذا نظرنا لسيناريو الإعلام الإسرائيلي فإنه يحاول أن يظهر الأسرى وكأنهم بلا حاضنة شعبية، يريد إظهارهم على أنهم جوعى في محاولة لتحقيق أكبر قدر من الإهانة الوطنية وبث الرهبة في نفوس الفلسطينيين».

عملية إغراق

وبعد بث الصور شكك فلسطينيون برواية الإعلام الإسرائيلي، حيث بدى الأسيرين الذين اعتقلا في مدينة الناصرة حليفي الوجه وبثياب جديدة وهو ما يدلل على أنهم تلقوا مساعدة من جهات فلسطينية هناك. وكانت قوات الاحتلال قد أغرقت وسائل الإعلام الإسرائيلية ومن ثم الفلسطينية تباعا بفيديوهات وصور للأسرى، على غير عادتها في مثل هذه الملفات الأمنية، لتحقيق غاية دعائية محددة.

والأمر في رأي جبارين إخراج متقن هدفه التغطية على الفشل الإسرائيلي الذريع، حيث يريدون أن يظهروا بصورة الإسرائيلي القوي الذي عاد إلى الواجهة وها هو وفي الميدان يعتقل بقوة وهدوء وتمكن، وكل ذلك لخدمة الرأي العام الإسرائيلي ولتحطيم الرأي العام الفلسطيني.

وكانت منصة «تيقن» الفلسطينية المتخصصة بالتحقق في عالم الأخبار قد نشرت تعميما تطالب بعدم التسرع في نشر الأخبار الصادرة عن جهات أمنية إسرائيلية، حيث انتشر، مساء أمس، كم هائل من الأخبار المضللة والشائعات سواء من ناحية أسم الضرطي الذي قام بالوشاية بالأسرى، أو فيديو اعتقال الأسرى، أو إحراق منازل في الناصرة، أو أن الشابان يقول أن المعلومة الذهبية التي دلت على الأسيرين كانت عند اكتشاف اتصال بينهما مع قيادي كبير في غزة... الخ من الأخبار المضللة.

وبحسب «تيقن» فإن «الإعلام العبري حين يتناقل روايات معينة لا يعني ذلك أنها روايات حقيقية، والحقيقة الوحيدة الثابتة في هذه الحكاية أن الأسرى الستة حققوا إنجازًا يفوق التصور البشري وانتزعوا حريتهم بعد أن حفروا باطن الأرض».

الإعلامي في راديو «الشمس» جاكي خوري أكد أيضا على أن «الحقائق في هذا الملف ليست كثيرة، هناك كم هائل من الأخبار المزيفة التي يتم تداولها مع خبر اعتقال أربعة من الأسرى الهاربين، وهي أخبار وشائعات كلها تهدف إلى توجيه الموضوع لرؤية إسرائيلية خالصة، وهو ما خلق أزمة حقيقية، وخلط الأوراق وأحدث نوعا من البلبلة وتبادل الاتهامات».

أستاذ القانون في جامعة الاستقلال د. نظام صلاحات اعتبر أنه رغم «كل الألم والغصّة التي نشعر بها جميعاً، ورغم مرارة الخذلان التي انهت قصة بطولية فلسطينية، كل ذلك ليس مبررا أن تتحول تلك القصة إلى مثار للعنصرية والتخوين بين أبناء الشعب الواحد، فهذه نتيجه أسوأ من إعادة اعتقال أسرى نفق الحرية».

وطالب صلاحات: «بتذكر هبة أيار التي انتفض فيها شعبنا في كل مكان من فلسطين، ودعونا نتذكر مواكب الشهداء والمناضلين والشعراء الوطنيين والقادة السياسيين الكبار الذين يعج بهم شعب النكبة».

لا عودة للخلف

وبالنسبة لخوري فإن السيناريو الأفضل لإسرائيل هو أن تنتهي العملية مع الأسيرين الآخرين وفق ما جرى مع الأسرى الأربعة، فهذا هو الأفضل في الرؤية العسكرية الأمنية الإسرائيلية، هذا يحقق لهم كسب النقاط لكن الفشل في منظومة الأمن الإسرائيلية كبير جدا.

المختص بالشأن الإسرائيلي عصمت منصور يقول إنه «لا شيء يمكن أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء، ومهما فعلت إسرائيل، لن تمحو من تاريخها، ذل ما فعله بها وبمنظومتها ستة أبطال».

ويضيف: «لن تستطيع إعادة حبس ملايين الصرخات الفرحة التي أطلقناها، نشوة بما حققوه من معجزات، ولا لجم خيالنا الجماعي في مساءلة رحلتهم الأسطورية التي بدأت من لا شيء وصنعت أسطورة».

وأكد منصور: «هذه الأيام الخمسة ستكتب عنها أغاني وأشعار وقصص، سنتذكرها بفخر كبير، ونتذكر معها انه لا مستحيل أمام الإرادة، وان هذه المنظومة يمكن كسرها وإذلالها، وان الإنسان الفلسطيني قادر على صنع انتصاره من العدم، حتى المطاردة القصيرة وفي مثل هذه الظروف غير المؤاتية التي وجدوا أنفسهم بها تستحق ان تسجل كأسطورة».

والعقلانية في رأي صلاحات تقول انه «لا بد ويجدوهم يوماً ما، فهذه فلسطين الكانتونات المغلقة، والسجن الكبير الذي تديره دولة الابارتهايد، وعلينا أن نتذكر أننا لا نملك غابات فيتنام ولا جبال أفغانستان، ولا جبال الأوراس والأطلس التي آوت ثوار الجزائر، عزاؤنا انهم بقوا سالمين».

أما أكثر الخيارات حلاوةً مرٌّ بحسب الكاتب محمود أبو هشهش، سواء بتمكنهم من الهرب بعيداً عن ذويهم، أو بالاختفاء تماماً، أو بالاشتباك حتى النهاية، أو في الوقوع مجدداً في قبضة السجّان الفاشي المجروح في كبريائه حتى الصميم.

ويضيف: «في اللحظة التي اخترنا فيها أن نرى المسألة مثل فيلم أمريكي، فقد قررنا أن نكون مجرد مشاهدين، وليس الفرق كبيراً بين من قرر المشاهدة وهو يتناول البوب كورن، أو من قرر المشاهدة بصمت واهتمام أكثر».

والسؤال الجوهري في رأي أبو هشهش هو: «ما الذي (كان) يمكن أن نفعله لنساهم في صنع نهاية، أو ربما بداية، مغايرة؟!».

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10383 الأحد 12 أيلول (سبتمبر) 2021 – 5 صفر 1443 هـ

أسرى الحرية في فلسطين والقانون الدولي

نيويورك ـ «القدس العربي»: عبد الحميد صيام

جاءت حادثة فرار الأسرى الفلسطينيين الستة من سجن جلبوع في منطقة بيسان لتسلط الأضواء على مأساة آلاف الأسرى والمعتقلين في سجون الكيان الصهيوني المحتل للأرض الفلسطينية ظلما وقهرا من دون أي سند قانوني أو شرعي، إلا ما يصدر من قوانين عن منظومة الاحتلال نفسه. الكيان هو القاضي وهو الحاكم وهو السجان. والفلسطيني متهم بالإرهاب ومعاداة السامية إن لم ينثر الورد على رؤوس جنود الاحتلال ويتغزل في عدالة القتلة ويديح الخطب البليغة في يهودية الدولة.

لقد سطر أبطال السجون، من تمكن منهم من الهرب، حتى ولو أعيد اعتقاله، أو أعلن الإضراب عن الطعام أو قام بالتمرد على سجانيه سِفرا جديدا في ديوان مقاومة الظلم والقهر والعنصرية لشعب يجترح المعجزات وهو يواجه كل هذا الظلم العالمي والعربي والصهيوني. فكيف لهذا الشعب المحاصر أن ينتصر على كل حلقات الأعداء لولا تلك الإرادة الحديدية التي تحفر الصخر وتنتصر على السجان وتفتح طريقا عريضا تحت السجون في اتجاه واحد نحو مشاعل الحرية ونحو المجد؟

من هو أسير الحرب؟

تفرق كل اللغات بين أسير الحرب وبين السجين، وإن كانت اللغات لا تفرق بين مكان الأسر ومكان السجن فكلها سجون أو معتقلات. لكن الأسير كلمة رفيعة المعنى ذات دلالة نضالية واضحة ترفع صاحبها فوق مستوى المناضلين العاديين ولا تعادلها منزلة إلا كلمة الشهيد. فالشهداء والأسرى هم من صنعوا تاريخ النضال والحرية والتخلص من الاستبداد وطرد المحتلين والتخلص من الطغاة والعملاء والخونة على مرّ العصور. وأينما سافرت في هذا الكون تجد تماثيل وصور المناضلين من أسرى وشهداء منتشرة في كل مكان، وتجد الشوارع والساحات والحدائق والمدارس والجامعات تحمل أسماء المناضلين والشرفاء والأسرى والشهداء.

في فلسطين يمنع إطلاق أسماء الشهداء والمناضلين على المواقع والساحات والشوارع.

وحسب القانون الدولي فمصطلح أسير معرف بالتفاصيل في اتفاقية جنيف الثالثة (1949) هو «كل من وقع في أيدي العدو وهو جندي في جيش دولة معترف بها، أو في كيان سياسي يدير دولة حتى ولو لم يكن معترفا بها، أو مقاتل في ميليشيا تابعة لكيان يحمل شعارا خاصا وأزياء مميزة ويحمل السلاح علنا، أو أي مدني هب ليدافع عن بلده أثناء تقدم جيش نحوها لاحتلالها».

أما اتفاقية جنيف الرابعة (1949) فتنص على أن الأطراف السامية المتعاقدة وفي حال قيام نزاع مسلح يلتزم كل طرف في النزاع بحماية «الأشخاص الذين لا يشتركون في الأعمال العدائية ممن يجدون أنفسهم وتحت أي ظرف من الظروف وفي لحظة ما تحت الاحتلال وهم ليسوا رعايا الدولة القائمة على الاحتلال، بمن فيهم أفراد القوات المسلحة الذين ألقوا سلاحهم أو العاجزون عن القتال بسبب مرض أو جرح أو احتجاز أو لأي سبب آخر». ومن الواضح حسب التعريفات السابقة أن الفلسطينيين في الضفة الغربية بما فيها القدس وقطاع غزة قد وجدوا أنفسهم في لحظة ما، من دون إرادة من لدنهم، واقعين تحت الاحتلال الإسرائيلي عام 1967 أثناء عمليات عسكرية بين القوات الإسرائيلية من جهة والقوات الأردنية والمصرية من جهة أخرى يصبحون مشمولين بالحماية التي توفرها الاتفاقية.

فحقيقة الأوضاع الناشئة عن احتلال الضفة الغربية، بما فيها القدس، وقطاع غزة تجعل اتفاقية جنيف الرابعة (1949) المتعلقة بمعاملة المدنيين الواقعين تحت الاحتلال أقرب إلى وصف الحالة الفلسطينية. فالغالبية الساحقة من هؤلاء المعتقلين هم مدنيون ينتمون إلى فئات الطلاب والعمال والفلاحين والأساتذة. ومن بينهم برلمانيون منتخبون ورؤساء بلديات وممرضات ونشطاء سياسيون ومدافعون عن حقوق الإنسان ونشطاء مجتمع مدني. الكثير من هؤلاء المعتقلين والأسرى مختطفون من بيوتهم ومدارسهم وكلياتهم وأعمالهم. يعتقل الفلسطيني لأي سبب يخترعه المحتل ويعتقل أحيانا بدون سبب. يعتقل الفلسطيني لأنه يقاوم الاحتلال أو يرفضه أو يتظاهر ضده أو يغني أغنية تبث روح المقاومة ضد الاحتلال. وهذا الرفض ومقارعة الاحتلال حق شرعي وقانوني وأخلاقي، كما نصت على ذلك حرفيا الفقرة الخامسة من قرار الجمعية العامة 3236 الصادر بتاريخ 22 تشرين الثاني/نوفمبر 1974 والتي تقول: «إضافة، تعترف (الجمعية العامة) بحق الشعب الفلسطيني في استرداد حقوقه بكافة الوسائل بما يتلاءم مع أغراض ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة».

فهل يعد ما يقوم به هؤلاء الأبطال من رفض للاحتلال والعمل على كنسه من وطنهم انتهاكا لأي قانون أم أن وضعهم في السجون والمعتقلات هو الانتهاك للقانون الدولي لأن الاحتلال باطل وما بني على باطل فهو باطل؟

انتهاكات حقوق الأسرى

أن السلطة الفلسطينية، وتحت الضغط الشعبي، وبعد أن أقرت المحكمة الجنائية الدولية أهليتها للتحقيق في جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية في فلسطين وإسرائيل، أحالت ثلاثة ملفات أمام المحكمة وهي ملف الاستيطان وملف الأسرى والمعتقلين وملف حرب غزة 2014 وما بعدها، بما في ذلك حرب أيار/مايو الماضي. فملف الأسرى إذن يتضمن انتهاكات ترقى إلى مستوى جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية. وبما أن فلسطين عضو في المحكمة منذ عام 2015 وبما أن إسرائيل موقعة على اتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة والاتفاقية الدولية لمناهضة التعذيب والمعاهدة الدولية لحقوق الطفل، فيمكن إذن للمحكمة الجنائية أن تجمع الأدلة حول العديد من الجرائم المتعلقة بالأسرى والمعتقلين والتي ترتقي إلى مستوى جريمة حرب أو جريمة ضد الإنسانية نذكر منها غيضا من فيض:

– إسرائيل قتلت من الأطفال الفلسطينيين المئات من دون أن يشكلوا أي خطر على جنود الاحتلال أو الحواجز أو نقاط التفتيش. وقد أثبتت الكاميرات والاعترافات والدلائل بأن عشرات الأطفال الذين جندلوا بالرصاص الحي قتلوا بصورة متعمدة. وفي عدوان أيار/مايو وخلال 11 يوما قتلت إسرائيل 67 طفلا، ومنذ 21 أيار/مايو وإلى اليوم أضافت 11 طفلا في الضفة الغربية. ومسلسل قتل الأطفال بل وحرقهم لم يتوقف، وهذه ممارسة ما من شك أنها جريمة ضد الإنسانية.

– إسرائيل، خلافا عن العالم بأسره لديها محاكم عسكرية لمحاكمة الأطفال. وقد أصدرت الأمر العسكري «132» الذي يعتبر طفلا من هو دون سن 16 سنة وهو مخالف صراحة للقانون الدولي وقانون عنصري في ذاته لأن الطفل الإسرائيلي يظل طفلا إلى أن يصل سن الثامنة عشرة. يصل الأطفال المحكمة مكبلي الأيدي ومعصوبي الأعين ويعطون أحكاما طويلة من الأسرى نتيجة لهذه السياسة. ومن بين نحو 5000 أسير مع نهاية 2020 هناك 700 مريض من بينهم عشرة مصابون بالسرطان. وقد وصل عدد شهداء الأسرى 218 شهيدا تعرضوا للتعذيب والتنكيل والإهمال الطبي المتعمد، بينهم 78 نتيجة القتل العمد و 7 معتقلين استشهدوا داخل السجون والمعتقلات نتيجة إطلاق النار عليهم مباشرة، و 60 نتيجة الإهمال الطبي و 73 نتيجة التعذيب.

– الحرمان من الحقوق التي يكفلها القانون الدولي مثل عدم الاعتقال التعسفي أو تجديد الاعتقال الإداري مرات ومرات. وللأسير الحق في معرفة أسباب الاعتقال وتحديد مدة الاعتقال وتوفير محام للدفاع عن المعتقل وإعلام الأسرة عن مكان وجوده والحق في الاعتراض على التهمة والظهور أمام القاضي والحق في زيارات الأهل والأقارب والحق في الاتصالات الهاتفية واستلام الرسائل البريدية. ولا يجوز لسلطات الاعتقال الحط من كرامة الأسير أو تعريضه للتحرش الجنسي أو المخدرات أو أي مواد قد تؤثر عليه جسميا أو نفسيا.

ونحن نشاهد نضال الأسرى يوميا والذين يؤكدون لنا أن المقاومة بكافة أشكالها هي التي تعيد الحقوق وتحطم عنجهية العدو نود أن نؤكد على ما يلي:

– إن التعاون الأمني بين أجهزة السلطة الفلسطينية وسلطات الاحتلال يهزم منطق العمل على إطلاق سراح الأسرى ويكشف إزدواجية الخطاب. فمن جهة تساهم في الاعتقال ومن جهة أخرى تدعي أنها تعمل على إطلاق المعتقلين.

– إن مسألة الأسرى يجب أن توضع في الإطار الصحيح كجزء من نضال الشعب الفلسطيني والعربي ضد الكيان، وحتى لو أطلقت إسرائيل كافة المعتقلين لما انتهى النضال لأن جوهر الصراع ليس الأسرى بل الأرض والشعب المهجر أو المسجون في وطنه.

Volume 33 - Issue 10383 Sunday 12 September 2021

الهروب الكبير من الجليل: عندما يسجل المحررون بطولتهم ثلاث مرات ويكشفون عن هشاشة الاحتلال

إبراهيم درويش

بعد عدد من الأيام في الحرية بدأت التقارير الإسرائيلية تتحدث عن إلقاء القبض على المحررين الستة الذين نجحوا بتحرير أنفسهم عبر عملية أشعلت حماس الناس في فلسطين والعالم العربي، وأشغلت مستخدمي منصات التواصل الإجتماعي.

وهي قصة فريدة في محاولات الخروج من عبودية الأسر، خاصة في سجون الاحتلال الإسرائيلي، وهي ليست الأولى، فهناك محاولات أخرى مثل تلك التي حرر فيها سجناء للجهاد الإسلامي أنفسهم في عام 1987 وقبل فترة قصيرة من اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

ولكن العملية الأخيرة استثنائية من ناحية الطريقة وتمت في إطار السجون داخل إسرائيل المعروفة بإجراءاتها الأمنية العالية، كما وذكرت الطريقة بأفلام ومسلسلات عن محاولات الخروج من السجن، ولعل اشهرها الفيلم الذي لعب فيه تيم روبن ومورغان فريمان دور البطولة «ذي شوشانك ريديميشين» (الخلاص من شوشانك) و«بريزن بريك» المسلسل الدرامي الأمريكي المعروف. وفي العام الماضي عرض فيلم عن محاولات الهروب من نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، وهو «الهروب من بريتوريا» من بطولة دانيال رادكليف، الذي لعب دور هاري بوتر في السلسلة المعروفة. وهي أفلام تكشف عن توق السجناء للحرية وتحديهم المستحيل وتجاوزهم عقبات الرقابة والقمع والعزل الإنفرادي للخروج والتركيز على المهمة، ويبدو من الصور التي بثتها السلطات الإسرائيلية الأخيرة أن السجناء استغلوا ثغرات في بناء السجن وحفروا على مدى أشهر بدون أن يثيروا انتباه حرس سجن جلبوع، الذي صممه مهندسون أيرلنديون وبدأ باستقبال السجناء في عام 2004 وترك الستة الفارين الذي أعيد أربعة منهم، لخيالنا أن يعرف طريقة الحفر. ففيلم الخلاص من شوشانك قائم على قصة كتبها الروائي الأمريكي صاحب كتب الإثارة والرعب ستيفن كينغ، والهروب من بريتوريا قائم على مذكرات «داخل وخارج» الفرار من سجن بريتوريا» من تأليف تيم جنكين، أحد الفارين الثلاثة من سجن الظل العنصري السابق، والمشاهد للفيلم لا يجد فرقا بين سجون ذلك النظام والسجون الإسرائيلية. وفي معظم الأفلام عن الهروب تجد نهايات جيدة حيث يخرج الفارون للحرية ويبدأون حياة جديدة أو يعودون لعائلهم ويحتمون بالجبال، كما في حالة إل تشابو رئيس عصابات تهريب المخدرات الذي حفر له نفقا من الخارج وجهزت له دراجة نارية فر عليها إلى مناطق الغابات قبل القبض عليه وترحيله إلى أمريكا وسجنه، حيث لا فرار أبدا منها. لكن الحالة الفلسطينية تظل على جرأتها مهمة صعبة فلا مجال للحماية. مع أن وزير الأمن العام عومير بارلي حاول الإشارة إلى أن المحررين الستة خططوا للعملية طويلا وتلقوا على الأغلب مساعدة من الخارج، وحقيقة الكشف عن اثنين منهم في الناصرة واثنين في مرج بن عامر تعطي صورة أنهم حاولوا التوزع، ولا نعرف أي شيء عن خططهم بعد الخروج، فقد اقترح البعض أنهم ربما كانوا يخططون الفرار إلى الأردن أو غزة، وهي أمور مستحيلة في ظل الإجراءات الأمنية الإسرائيلية. وما تم هو أن سلطات السجن الإسرائيلية حاولت التغطية على فشلها عبر منع السجناء من الخروج إلى الفسحة اليومية ما أدى تمرد وإشعال النار في عدد من الزنازين. وكانت مديرة مصلحة السجون كاتي بيري قد أمرت بعد الهروب السهل للستة بتفريق سجناء الجهاد على الزنازين والتأكد من أن سجينا واحدا من الحركة في الزنزانة الواحدة. ذلك أن السجناء الستة كانوا في زنزانة واحدة، مما دفع بيبري أيضا إلى التفكير بتوزيع سجناء الجهاد على السجون الأمنية الأخرى في إسرائيل، لكنها تراجعت بعد تهديد السجناء بمزيد من أعمال الشغب. ونقل موقع «والا» الإسرائيلي عن مسؤول بارز في مصلحة السجون الإسرائيلية قوله أن المعنويات عالية بين السجناء بعد هروب سجن جلبوع. وأجرت سلطات السجن تحقيقات مع حرسه خشية أن يكونوا ساعدوا المحررين، وتم التحقيق مع 14 موظفا يوم الأربعاء بشأن «الهروب العظيم من الجليل» حيث يقع سجن جلبوع. وأشار موقع «ديلي بيست» (2021/9/8) إلى أن صاحب بقالة في قرية بشمال إسرائيل تحدث عن دخول زكريا الزبيدي، أشهر المحررين إلى محله وطلب خبزا ووسيلة نقل، ولم يستجب صاحب المحل للطلب، وخرج.

لا للعقاب الجماعي

وفي هذا السياق أشارت صحيفة «هآرتس» (2021/9/10) في افتتاحيتها التي جاءت بعنوان «لا للعقاب الجماعي» قائلة: « في مصلحة السجون، وجدوا طريقة سهلة، لا ناجعة ولا عادلة، لطمس فشل الجهاز الذريع في منع فرار ستة أسرى فلسطينيين من سجن جلبوع». وذكرت أن «الحل الذي يلوح في الأفق، هو تشديد الظروف المعيشية لعموم الأسرى الفلسطينيين، نقل المئات من أسرى الجهاد الإسلامي من سجونهم، وتوزيعهم على سجون أخرى، منع زيارات العائلات حتى نهاية الشهر على الأقل لعموم الأسرى، وغيرها من الإجراءات التي ترمي إلى تكدير حياتهم داخل السجون». وأشارت إلى أنه «يوجد نحو 4500 أسير فلسطيني في السجون الإسرائيلية يعيشون في ظلم بسبب ظروفهم مقارنة مع باقي السجناء، من بينهم نحو 2500 يقضون عقوبة السجن لـ474 لم تصدر عليهم أحكام بعد ونحو 500 هم أسرى بدون محاكمة وبدون لائحة اتهام وبدون قدرة على الدفاع عن أنفسهم، وهذا أمر لا يطاق بحد ذاته».

وأضافت: «واحد من آلاف الأسرى، لم يمنح الحق في الخروج في إجازة، رغم مرور عشرات السنين في السجن، وحتى المكالمات الهاتفية لعائلاتهم محظورة عليهم بالإجمال». ولفتت إلى أن «الأحكام الصادرة عليهم تقرر في الجهاز القضائي العسكري الذي يؤدي مهامه بشكل عام كذراع تنفيذي لسلطات الاحتلال ويفرض عليهم عقوبات متشددة على نحو خاص، غير متوازنة، والدليل أن نسبة التبرئة، هي معدومة للمتهمين الفلسطينيين». وقالت: «ولهذا يجب أن يضاف موقف منظمات حقوق الإنسان، في إسرائيل وفي العالم، الذي يقضي بأن اعتقال آلاف الأسرى الفلسطينيين في إسرائيل، هو خرق للقانون الدولي، الذي يحظر إخراج (اختطاف) الأسرى والمعتقلين من الأراضي المحتلة». ونوهت إلى أنه: «يوجد سجن إسرائيلي واحد فقط في المناطق هو سجن عوفر، وباقي الأسرى يقضون فترة حكمهم داخل إسرائيل». وأكدت أن «الدعوة للعقاب بشكل جماعي لكل الأسرى وعائلاتهم، وفرض المزيد من التشدد على ظروف حبسهم القاسية، تثير الخواطر وقد تحرف النقاش الجماهيري عن القصور الذي سهل الهروب، وتستجيب لمشاعر الثأر من الأسرى الستة، وهي غير عادلة ومن شأنها أن تزيد التوتر وخطر الانفجار العنيف، داخل السجون وخارجها». وحذرت «هآرتس» مصلحة السجون الإسرائيلية من الأخذ بهذه المبادرة، وقالت: «على سلطات مصلحة السجون أن تترك هذه المبادرة، وألا تعاقب كل الأسرى دون ذنب اقترفوه». وتسود أجواء التوتر بعد عمليات القمع والتفتيش في سجون أخرى مثل عسقلان، وتحذير نادي الأسير الفلسطيني من أي إجراءات عقابية ضد السجناء الفلسطينيين. وفي محاولة للمدارة على الفشل والإحراج، فقد نقلت صحيفة «يديعوت أحرونوت» عن نائب مفوض السجون المتقاعد مكلب طاباش قوله إن عملية الفرار «هي حادث مخجل وأسوأ حادث منذ عقود».

التحدي

ويعتقد الصحافي البريطاني جوناثان كوك المقيم في الناصرة منذ عام 2001 بمقال نشره موقع «ميدل إيست آي» (2021/9/10) أن عملية الفرار تمثل تحديا لهيبة إسرائيل وتعطي صورة أن الاحتلال ليس منيعا كما تعتقد. وأضاف أن من المستحيل على أي فلسطيني ألا يشعر بالفرح لعملية الفرار من أكثر السجون الإسرائيلية حراسة وقيودا أمنية، في وقت خصصت فيه إسرائيل مزيدا من الجهود لشيطنة الستة ووصفهم بالإرهابيين، مع أن الفلسطينيين يعتبرونهم من أحسن جنودهم جرأة. وهم سجناء حرب، بعضهم يقضي سجنا مدى الحياة لقتلهم مستوطنين أو جنودا إسرائيليين الذين ينفذون الاحتلال الإسرائيلي المفروض على مناطقهم منذ عقود. وأضاف أن كل الفلسطينيين يتعاطفون ويعرفون أنفسهم من خلال محنة هؤلاء الرجال، فالسجن هو ظلس الرجولة للفلسطينيين، وعبر منه مئات الآلاف على مدى العقود الخمسة الماضية. وقال إن هناك الكثيرين منهم ينتظرون المحاكمة وغيرهم في السجن الإداري– محتجزون بدون توجيه اتهامات أو معرفة جرمهم الذي ارتكبوه. ويتم انتهاك حقوق السجناء بشكل دائم، ويتم احتجازهم في زنازين مكتظة ولا يسمح بالتواصل مع عائلاتهم ويتعرضون للضرب أو التعذيب.

روتين عادي

وفي الصيف ظهرت أشرطة فيديو– تذكر بانتهاكات الجيش الأمريكي في سجن أبو غريب– عن ضرب جماعي لسجناء فلسطينيين في سجن كتسعيوت في جنوب إسرائيل عام 2019 ولم يتم اتخاذ أي إجراءات حتى بعد تسريب اللقطات ما يقترح أن هذا الأمر عادي ويؤكد ما يقوله السجناء الفلسطينيون منذ وقت. ويضيف أن معظم السجناء السياسيين الفلسطينيين محتجزون في سجون داخل إسرائيل– كما الستة الذين فروا من جلبوع، في شمال إسرائيل. ويعد هذا انتهاكا صارخا لميثاق جنيف والتزامات إسرائيل حسب قوانين الحرب، وهذا يعني عدم زيارة العائلات لأبنائها.

إهانة إسرائيل

ويقول كوك إن كل فلسطيني يشعر بالفرح لإهانة إسرائيل، من فشل الحرس الكشف عن الحفرة التي كانت تكبر في نظام المصارف الصحية وفرار الستة أثناء نوم حارسة السجن والطريقة الدقيقة للهروب التي أفشلت ولفترة ملاحقات الشرطة لهم. ويعتقد أن الاحتفال الفلسطيني وفي كل المنطقة يذهب أبعد من مجرد الهروب، فكلما ظل السجناء بعيدا عن يد الاحتلال كلما تلقى ضربة قوية لكرامته وقوته. وبهذه الطريقة ينظر الإسرائيليون والرأي العام في إسرائيل للأمر وليس الفلسطينيون فقط. فلم يهرب الستة من سجن عالي الأمنية، وفروا من مقلاة على النار، بل خرجوا من سجن صغير إلى السجن الأكبر وهو الوطن المحتل. وفي كل دقيقة بقوا فيها أحرارا فإنهم يتحدون الاحتلال. وكل دقيقة ظلوا فيها خارج السجن فإنهم هزموا نظام السيطرة والتحكم الإسرائيلي على حياتهم. وهو يهم ذكر الفلسطينيين أن الحرية ممكنة وأن الاحتلال ليس منيعا. ولهذا تحرص إسرائيل على إعادتهم خلف القضبان لأن معنى السجن والاحتلال هو قتل أي أمل أو حس بالحرية لدى كل فلسطيني.

جهنم بطبقات

وفي الحقيقة فقد أنشأت إسرائيل غرف/ طبقات في جهنم على غرار ما تخيله دانتي في «الكوميديا الإلهية» فكلما زادت مقاومة الفلسطينيين وتحديهم للاحتلال كلما زادت القيود ووضعوها في منازل دنيا من الجحيم الإسرائيلي. والسجن هو أعلى درجات العقاب لكن غزة هي أكبر سجن مفتوح في العالم، محاطة بسياج إلكتروني وبجيوش وبحرية من كل الجوانب. وفي الضفة الغربية حصلت السلطة ورئيسها محمود عباس على بعض التنازلات التي خففت من حدة السجن وقيوده، ولكن بعد أن أثبت حسن سلوكه، وواصل التنسيق الأمني «المقدس» وهذا قوله، مع إسرائيل. وعندما حرر السجناء أنفسهم، ردت إسرائيل بشدة وأغلقت باب الزنزانة في الضفة الغربية، وهو ما يكشف عن واقع الاحتلال الذي لا يفرق بين الفلسطينيين عندما يقرر المحتل العقاب. ولأن المحررين الستة هم من جينين، التي لو وصلوها لوجدوا مخبأ، فقد عاقبت إسرائيل عائلاتهم «جريمة حرب». وحتى لو كانوا يفكرون بالاختفاء في الضفة فمن السهل ملاحقتهم نظرا للتنسيق والرقابة الإسرائيلية التي وصفها عاموس هرئيل من «هآرتس» بأنها الأشد كثافة من أي منطقة في العالم. ويؤكد الكاتب ان حديث الصحافة الإسرائيلية عن تحقيقات داخل السجن هي محاولة للبحث عن كبش فداء في حرس السجن وهم عادة من الدروز العرب. وفي النهاية فإن الرجال الستة سجلوا بطولتهم ثلاث مرات: الأولى عندما ضحوا بحريتهم وانضموا إلى المقاومة المسلحة ضد الاحتلال. الثانية عندما دبروا عملية هروب جريئة تحت سمع ونظر السلطات الإسرائيلية. الثالثة عندما فروا عدة أيام رغم ما يتوفر لدى إسرائيل من قدرات عسكرية وأمنية. وبهذه المثابة تحولوا إلى رمز لمحنة كل الفلسطينيين وما يتطلع إليه كل واحد منهم وهو التحدي. وسجل كل من زكريا الزبيدي، ومحمود ومحمد العارضة وأيهم كممجي ويعقوب القادري ومناضل نفيعات أسماءهم في سجل التحدي الفلسطيني.

حوار

وكيل وزارة الصناعة والمعادن الليبية منصف محمود الشلوي:
لن تتمكن أي شركة من التنقيب عن الذهب من دون موافقة مجلس الوزراء

حاورته: نسرين سليمان

الوضع الاقتصادي الصعب الذي تعاني منه الدولة الليبية من سنوات واعتمادها على النفط كمصدر وحيد للدخل، جعل الأعين تتوجه حاليا نحو البدائل والمؤسسات التي تقف على رأسها كوزارة الصناعة، والتي حملت على عاتقها مشروع النهضة بالإنتاج المحلي الإجمالي من خلال خطط واقعية.

ورغم أن وزارة الصناعة في ليبيا استحدثت حديثا مع قيام حكومة الوحدة الوطنية، إلا أنها نجحت في وضع سياسات ورؤى وخطط للمراحل المقبلة وفي تحقيق شراكات مع القطاع الخاص وفي التشجيع نحو الاستثمار.

كما أثير الجدل خلال الأيام الماضية حول قضايا تخصها كالتنقيب عن الذهب في ليبيا، وتصدير الخردة أو الاستفادة منها.

«القدس العربي» حاورت وكيل وزارة الصناعة والمعادن في الحكومة منصف محمود الشلوي، وفي ما يأتي نص الحوار.

○ بداية نريد أن تحدثنا عن مهام الوزارة بشكل عام وما هي الجهات التابعة لها؟

● تتولى وزارة الصناعة والمعادن في حكومة الوحدة الوطنية وضع السياسات وتحديد الاستراتيجيات وإعداد الخطط والبرامج وإجراء البحوث والدراسات واقتراح وتعديل اللوائح والتشريعات وإصدار القرارات المتعلقة بتنظيم ونهضة قطاع الصناعة والمعادن، وكذلك العمل على تأسيس وتنويع ثقافة مزاولة المشروعات الصناعية الصغرى والمتوسطة ذات الجدوى الاقتصادية لتساهم في خلق فرص عمل ودعم الاقتصاد الوطني ورفع معدلات المساهمة في الناتج المحلي الليبي الإجمالي. ويمكن تحقيق ذلك من خلال أكثر من وسيلة، أولها تنفيذ التشريعات الصادرة في مجال الصناعة والمعادن والمرتبطة بالاستراتيجيات والأهداف والسياسات والرؤى والخطط والبرامج التنموية والعمل على تحديث وتطوير القوانين واللوائح والتشريعات النافذة المتعلقة بالقطاع فضلا عن اقتراح مشاريع قوانين جديدة والتي تساعد على تحسين العمل على البرلمان لإصدارها، ومتابعة تنفيذ الاتفاقيات الثنائية والمعاهدات الإقليمية والدولية والمشاركة في المؤتمرات والندوات والبرامج والمعارض التي لها علاقة بعمل الوزارة والعمل على تخطيط وتنفيذ واستثمار المناطق الصناعية وتوزيعها جغرافيا على كافة ربوع ليبيا وأخيرا إعادة هيكلة القطاع باستخدام أحدث نظم الجودة.

وتتولى الوزارة إنشاء مراكز تدريب صناعية وتنظيم الدعم الفني والمادي للمشروعات الصناعية الصغرى والمتوسطة، وتوجيه المشروعات الضخمة ذات الجدوى الاقتصادية الكبيرة والإشراف عليها وتحديد مواقع السماح بإنشائها.

وتتبع الوزارة مجموعة من الجهات ذات ذمة مالية وإدارية مستقلة، أولها مركز الدراسات والبحوث الصناعية والمؤسسة الوطنية للتعدين والهيئة العامة للمناطق الصناعية وهيئة النهوض بالصناعة الوطنية ومركز المعلومات والتوثيق الصناعي، فضلا عن مجموعة شركات كالشركة العامة للصناعات الكيميائية والشركة الليبية للحديد والصلب وشركة الخردة وشركة المقطورات الوطنية وشركة الشاحنات والحافلات وشركة الجرارات وشركة طرابلس للمياه الصحية والشركة الوطنية للمطاحن والأعلاف ومجموعة متنوعة من الشركات ذات التخصصات الصناعية المختلفة.

○ تسعون لأن تكون هناك صناعة فعلية في البلاد فما هي الخطوات التي نفذتها الوزارة في هذا الاتجاه؟

● عملت الوزارة منذ بداية استلام مهامها على السعي لأن تكون هناك صناعة فعلية في البلاد رغم استحداثها حديثا، وتتكون الوزارة من شقين رئيسيين وهو الشق الصناعي والشق التعديني.

وبصفة عامة قامت الوزارة بتوحيد هيئة المناطق الصناعية والتي من خلالها سيتم تجهيز وإعداد المخططات للمناطق الصناعية بمعرفة الوزارة عن طريقة هذه الهيئة، لغرض إنشاء مناطق صناعية جديدة كليا ببنيتها التحتية وبتخصيصها لأصحاب الأنشطة وخاصة الشباب الذين يواجهون مشاكل في إيجاد أماكن لممارسة نشاطاتهم الصناعية.

كما قامت الوزارة عن طريق مركز البحوث الصناعية بإعداد البحوث والدراسات لتكون جاهزة وفي متناول يد كل من يريد الولوج في هذا القطاع. وعملت على الاهتمام بمجال الصناعة من خلال البحث عن مستثمرين جيدين وجادين لخلق شراكات ومشاركات جديدة معهم في المصانع التابعة للوزارة بشكل رسمي.

○ مجال الاستثمار بالنسبة للوزارة كالصناعة مهم جدا، لو تحدثنا عن أبرز الخطوات التي اتخذتها الوزارة في إطار فتح آفاق الاستثمار داخليا وخارجيا؟

● مجال الاستثمار بالفعل هو مهم جدا للوزارة الصناعة وأهم الخطوات التي تم الشروع فيها لفتح آفاق الاستثمار هي استحداث إدارة باسم التنمية الصناعية والاستثمار فضلا عن تحديد كافة الوحدات الصناعية المستهدفة بالاستثمار من حيث تقييمها فنيا وماليا وتحديث المعلومات بشأنها بحيث تكون جاهزة للمستثمر وستعلن عنها الوزارة في الفترة القريبة القادمة على وسائل الإعلام بحيث يقوم كافة المستثمرين بتقديم طلباتهم للاستثمار وتقوم الوزارة باختيار الأفضل ماليا وفنيا وفق اللوائح الخاصة بالدولة.

○ ظهرت على السطح خلال هذه الأيام قضية أثارت جدلا واسعا وهي منح الإذن لشركة من قبل وزارة الاقتصاد بالتنقيب عن الذهب فما هي خلفيات هذه القضية؟

● بالنسبة لقرار وزير الاقتصاد والتجارة بالتنقيب عن الذهب من خلال مشروع استثماري، فيملك الوزير الحق في ان يصدر قرار الإذن لأي مشروع استثماري يراد أن يستفاد به من مميزات قانون رقم تسعة لسنة 2010 وبنود الاستثمار الأجنبي.

فهناك مجموعة من الإجراءات التي من المفترض أن تقوم بها الشركة في هيئة تشجيع الاستثمار وبناء عليه يصدر كتاب يطلب من وزير الاقتصاد إصدار قرار بمنح الإذن بتنفيذ المشروع الاستثماري وفقا لهذا القانون.

لكن في المقابل هذا إذن ورقي لن يكون نافذا سواء كانت هذه الشركة تحت هيئة تشجيع الاستثمار ومستفيدة من القانون أو لا، إلا بعقد وترخيص من المؤسسة الوطنية للتعدين التابعة للوزارة، والمؤسسة لا تمنح هذا الترخيص أو التعاقد إلا لعناصر الفلزات مثل الحجر الجيري والطين والسليكا والبوتاسيوم. أما عن المعادن الثمينة كالفضة والذهب والنادرة كاليورانيوم فلا تملك المؤسسة الوطنية للتعدين أو وزارة الاقتصاد أو وزارة الصناعة أو رئيس الوزراء منح هذا الترخيص.

حيث توضع خريطة مبدئية لأبعاد عملية التعدين ويتم تنفيذ الإجراءات المطلوبة ويجري التعاقد وأخذ الموافقات اللازمة ثم يحال إلى رئيس الوزراء ومنها رئيس الوزراء يأخذ الموافقة من مجلس الوزراء، حيث أن التنقيب عن المعادن الثمينة يجب أن يتم بموافقة مجلس الوزراء ويتخذ القرار من قبلهم بشكل نهائي. وقرار مجلس الوزراء يجب أن يكون وفقا لقانون رقم 2 لسنة 1972 والذي يحدد قيمة الأتاوة والإيجارات للدولة الليبية ومن الضروري ان تسبقه عملية تنقيب واستكشاف من قبل مركز بحوث ودراسات أو شركة معنية بالاستكشاف.

أما الشركة التي طلبت منح إذن بالتنقيب تستوجب قرارا من مجلس الوزراء بناء على عرض من وزير الصناعة والذي أتاه بناء على عرض من المؤسسة الوطنية للتعدين. ولكن هناك مادة في ذات القانون تنص على أن لا عملية تنقيب تتم إلا بعد عمليات استكشاف توضح حجم المادة ووفرتها وبالتالي تتم عملية السماح بالاستثمار.

الرأي العام يظن ان الإذن الصادر من وزارة الاقتصاد يسمح للشركة بالبدء في التنقيب وهذا غير صحيح، والقرار هو إذن فقط ولكن الشركة يجب ان تحصل على التراخيص والعقود اللازمة والإذن من مجلس الوزراء حتى تستطيع ان تباشر مهامها والإجراءات كبيرة ومعقدة.

وما يهمنا كوزارة أن تكون الإجراءات سليمة ووفق القانون ولا يهمنا لمن تتبع الشركة، والمتداول على وسائل التواصل الاجتماعي هو النظر إلى ما سرب من أوراق على انه جرم وهذا غير صحيح وفق القانون.

شركة الحديد والصلب في ليبيا

○ الشراكة مع القطاع الخاص وخاصة في مجال الصناعات ناجحة جدا، فهل فكرتم في إطلاق برنامج الشراكة معه؟

● بالنسبة للشراكة مع القطاع الخاص في مجال الصناعات هي ناجحة جدا، ووزارة الصناعة وفي إطار السياسة الصناعية في الدولة الليبية تحاول أن تتوجه نحو القطاع الخاص والشراكة معه، وكانت لدينا تجربة ناجحة دائما نشير لها وهي أحد المصانع التي كانت متوقفة في مدينة طرابلس وكان وضعها سيئا جدا، ولكن عندما دخل عليها المستثمر تم تطوير المصنع ومرتبات العاملين بدأت تصرف بانتظام، والمصنع من ضمن الشركات التابعة للوزارة ولكن جرى تعاقد مع مستثمر وهي شركة طرابلس لتعبئة المياه مطروحة للاستثمار والشراكة عدا الحديد والصلب.

○ ما سبب رغبتكم في إنشاء مراقبات صناعة في المناطق الليبية المختلفة؟ وما الخطوات التي اتخذتموها في الخصوص؟

● هي ليست رغبة. ففي الأصل يوجد العديد من المراقبات فكل بلدية تتبعها مراقبة صناعة ولكن هذا الأمر غير معقول فلدينا أكثر من مئة مراقبة صناعة وهناك بلديات لا تحتوي على أي مصانع حتى مصانع خاصة، فليس هناك مبرر لوجود مراقبات صناعة في كل منطقة.

وشكل الوزير لجنة برئاسة وكيل الوزارة وعضوية مجموعة من مدراء الإدارات لاقتراح هيكلية جديدة لمراقبات الصناعة بحيث تكون مجدية وفعالة وأقل من ناحية التكاليف، وفعلا نحن أنجزنا المهمة واقترحنا هيكلية وافق عليها الوزير وأتوقع أن يصدر قرار بشأنها قريبا.

ونحن لم ننشئ مراقبات صناعة فقط وانما حددنا صلاحيات المراقبات؛ ومكاتب الصناعة في إطار اللامركزية وتوسيع قاعدة المشاركة على مستوى البلديات بشكل مسؤول.

○ ما هي مجالات الصناعة الأكثر خصوبة في ليبيا ويمكن العمل على تطويرها؟

● أي دولة في العالم تنجح في الصناعات التي تعتمد على مواد خام محلية أكثر من غيرها، وعلى سبيل المثال مصانع الأسمنت والتي تعتمد على مادتي الطين والحجر الجيري المتوفرة في ليبيا بشكل كبير، بالإضافة إلى الجبس والحديد فبالتأكيد ستكون ناجحة جدا.

وأيضا صناعة الزجاج، وخلايا الطاقة الشمسية فهناك مجالات عديدة متاحة للصناعة في ليبيا تعتمد على مواد خام موجودة فعليا في البلاد وتعمل الوزارة على تطوير هذه النوعية من الصناعات من خلال إعطاء الإذونات وتنظيم ورش العمل للتعريف بأهمية هذه الصناعات ومنح التراخيص والتشجيع والبحث عن مستثمرين أجانب بتطويع وإيعاز من مركز البحوث الصناعية ومؤسسة التعدين لدعم هذا المجال.

ومجالات الصناعة عديدة منها ما يعتمد على الحديد أو السليكا أو الحجر الجيري أو الجبس أو الرخام ولله الحمد ليبيا غنية بكل هذه الموارد.

○ صناعة الحديد ركزت عليها الوزارة بشكل خاص وعلى المشاكل التي تواجهها، فما السبب، وهل فعلا قامت وزارة الاقتصاد بإصدار قرارات عطلت عملكم؟

● وزارة الاقتصاد والصناعة تعمل في منظومة واحدة وهي حكومة الوحدة الوطنية وليبيا تمتلك في صناعة الحديد أكبر الشركات على مستوى أفريقيا وهي الشركة الوطنية للحديد والصلب وهي ناجحة جدا وتتبع لوزارة الصناعة وتعتمد على المادة الخام الموجودة في البلاد في براك الشاطئ ومناطق مختلفة في ليبيا.

وقد شكلت الوزارة لجنة خاصة بالحديد برئاسة مدير المؤسسة الوطنية للتعدين ومركز البحوث الصناعية وشركة الحديد والصلب ومناط بها دراسة كيفية الاستثمار الأمثل للحديد الموجود على الأرض الليبية.

وزارة الاقتصاد سمحت في فترة معينة بتصدير الخردة ولكن اعتقد انها قامت بتعديل القرار وكل الخردة الموجودة في ليبيا ستورد لشركة الحديد والصلب باعتبار ان هناك شركة خردة مناط بها تجميع الخردة وتوريدها للشركة الليبية للحديد والصلب.

○ مع اقتراب أجل انتهاء الحكومة، هل هناك خريطة طريق من قبلكم للسلطات التي تليكم، ليكون العمل تكامليا؟

● نعم.. ان أجل انتهاء الحكومة قريب وحسب خريطة الطريق، لكن الوزارة باقية وكل ما يتم إنجازه والانتهاء منه سنسلمه لمن يأتي بعدنا في هذه الوزارة وأيضا المشاريع التي لم تستكمل سنعطي مفاتيحها لاستكمالها بشكل تكاملي وهي دولة مؤسسات وليست مرهونة بمؤسسة أو حكومة معينة وسياتي دائما من يكمل العمل ويطوره.

حريات

«القدس العربي» في مطار بيروت الدولي: يغادرون الوطن لعلهم يجدون فرصة للحياة

عبد معروف

مر لبنان خلال العقود الماضية بمحطات أمنية وسياسية واقتصادية كثيرة أوصلته إلى حافة الانهيار، وأدت إلى هجرة قطاعات واسعة من اللبنانيين هربا من ويلات الحروب أو من أجل البحث عن فرصة للعمل.

وكان مطار بيروت الدولي «مطار رفيق الحريري الدولي» ممرا شرعيا للمهاجرين اللبنانيين إلى دول المهجر، وشهد خلال السنوات الماضية ازدحاما خانقا، كانت تؤدي في الكثير من الأحيان إلى تدافع وخلافات بين المسافرين أنفسهم أو بين المسافرين والقوى الأمنية اللبنانية داخل المطار خلال محاولتها تنظيم طوابير السفر.

وما كان لافتا بعد الانهيار الاقتصادي والمالي في لبنان وبعد انفجار مرفأ بيروت في 4 آب/أغسطس 2020 هو ارتفاع عدد المهاجرين بصورة غير مسبوقة، وهذا ما برز ليس فقط في الطوابير في مطار بيروت، بل يظهر أيضا من خلال ازدحام طالبي الهجرة أمام أبواب السفارات العربية والأجنبية في بيروت وفي مكاتب وكالات السفر إلى جانب مكاتب الأمن العام اللبناني حيث يتم تقديم طلبات الحصول على جوازات السفر.

المختار في مدينة صيدا ابراهيم عنتر، كشف لـ«القدس العربي» أن الطلب على معاملات الحصول على جوازات السفر ارتفعت بصورة غير مسبوقة في تاريخ لبنان، لافتا إلى أن عدد طالبي الأوراق الثبوتية للحصول على جواز السفر ارتفع أربع مرات عما كان عليه قبل عام أو عامين.

وحول رأيه عن سبب هذا الارتفاع في الطلبات رد المختار، يمكن القول إن الانهيار الاقتصادي والمالي والذي أدى إلى ارتفاع جنوني بأسعار المواد الغذائية وارتفاع نسبة البطالة إلى جانب حالة الإحباط التي عمت بعد انفجار مرفأ بيروت بالإضافة إلى انقطاع التيار الكهربائي وفقدان مادة البنزين.

وقال المختار عنتر، الازدحام الحاصل أمام مراكز الأمن العام يعود إلى تهافت المواطنين غير المسبوق على تقديم طلبات جوازات سفر، ارتفاع غير مسبوق في عدد الطلبات على جوازات السفر في دوائر الأمن العام اللبناني، في السابق كان عدد الطلبات لا يتجاوز الـ 300 في اليوم، أما عدد الطلبات في الآونة الأخيرة فقد تجاوز سبعة آلاف في اليوم الواحد، وهو رقم كبير لم يعرفه لبنان في تاريخه.

ازدحام حجوزات السفر

وتشهد المؤسسات والمكاتب المعنية بمعاملات السفر على امتداد الأراضي اللبنانية ازدحاما طلبا لأوراق خاصة أو لحجز أماكن على متن الرحلات المغادرة.

وقد أكدت ليلى عقيل، وهي موظفة في شركة البزري للسياحة والسفر، أن مكتب الشركة يشهد ازدحاما في طلب حجوزات للسفر لم يشهده منذ افتتاحه قبل أربعين عاما، وأضافت أن مكاتب السفر في لبنان لم تشهد إقبالا وازدحاما على الحجز وشراء بطاقات السفر لمغادرة لبنان كما تشهد اليوم. ورفضت عقيل الحديث عن سبب هذا الازدحام، لكنها قالت «لا أدري ماذا يجري في لبنان، حالة من الفوضى لم نرلها مثيلا حتى خلال سنوات الحرب الماضية، ربما يكون انهيار البلد وانقطاع التيار الكهربائي وفقدان مادة البنزين والنفط وانهيار العملة الوطنية سببا في هذه الهجرة الجماعية للبنانيين من بلدهم إلى الخارج».

من جهته، أعلن نقيب مكاتب السفر والسياحة في لبنان، جان عبود، أن حركة المطار شهدت ارتفاعا بمعدل ستة أضعاف في عدد المسافرين مقارنة بالفترة ذاتها من العام الماضي الذي كان بين 800 شخص و1200 شخص، واليوم تجاوز العدد الـ 4800 و5000 شخص في اليوم.

وسُجّل هذا الارتفاع رغم القدرة التشغيلية للمطار ولشركات الطيران المحددة بـ30 في المئة.

طوابير المغادرين

وداخل قاعات مطار بيروت الدولي، وأمام مكاتب شركات الطيران وبوابات الأمن العام اللبناني، يصطف المغادرون في طوابير طويلة بانتظار تخليص معاملاتهم قبيل السفر. تدافع وخلافات وصرخات وضجيج، يحاول كل مسافر ان يقف مكانه أو تجاوزه للإسراع في تأمين إجراءات المغادرة ما يسبب خلافا مع الآخرين. حالة من الفوضى، يحاول رجال الأمن في المطار تنظيم طوابير وحركة المسافرين لكن الشرطة كانت عاجزة عن ضبط الأمور بسبب الازدحام الهائل.

لماذا كل هذا الازدحام؟ «القدس العربي» سألت أحد المسافرين إلى كندا وبجانبه عائلته أجاب: «من الواضح أن الشعب اللبناني قرر الهجرة من وطنه، لقد تعبنا ولم يعد باستطاعتنا تحمل حياة يغمرها القهر والذل والغلاء وفقدان الأدوية وحليب الأطفال والبنزين وغلاء فاحش».

ولكن إلى أين؟ رد قائلا: لم يعد مهما إلى أين نهاجر، المهم اليوم أن نهاجر الوطن بحثا عن حياة كريمة، حياة خالية من القهر والذل والموت اليومي.

قاطعته زوجته وقالت: لم يعد في مقدورنا العيش في بلد تحول إلى جحيم. نقف منذ الصباح ساعات طويلة أمام محطات الوقود، لا كهرباء ولا دواء ولا حكومة ولا عمل، ارتفعت نسبة البطالة وأقفلت المؤسسات التجارية أبوابها وسرحت موظفيها.

وتساءلت بصوت مرتفع: هل تريد أن تعلم ما الذي أجبر زوجي على الهجرة؟ وتابعت، أبحث لطفلي عن حليب أطفال منذ 10 أيام ولم أجد علبة واحدة، مافيات وتجار ومهربون يتحكمون بسوق وقود السيارات والأدوية.

ماذا نقول؟

«القدس العربي» تجولت بين طوابير المسافرين، نحاول التحدث مع أحدهم، يرفض الرد على أسئلتنا، التعب والارهاق يمنعهم عن الحديث، أو كما قال أحدهم: ماذا نقول؟ لكن رغم تعبه يتابع: نغادر وطننا بحثا عن مدارس لتعليم أولادنا، بحثا عن لقمة عيش حرمنا منها في لبنان، عن وقود لسياراتنا، نهاجر وطننا نريد العيش بعيدا عن العنتريات والصراعات السياسية والمزاحمات الطائفية، وصرخ قائلا: هنا الموت ، نريد الحياة .. نريد الحياة.

مسافر آخر مع زوجته تمكن من إنجاز إجراءات السفر والتوجه إلى دوائر الأمن العام لختم المغادرة، استوقفناه قليلا، هل مغادرتك نهائية أم أن سفرك لأيام؟ قال مبتسما، إنه وطني وكرامتي، لكن يبدو أن واقع الحال في هذا الوطن، قتل أحلامنا وآمالنا وطموحنا، وأضاف، عندما يتعرض الوطن للانهيار الشامل ويتحكم بمفاصل حياته مجموعة من الفاسدين والمهربين واللصوص، عندها تصبح الهجرة ضرورية حتى نحمي أنفسنا وعائلاتنا وأطفالنا من الموت والقهر والحرمان. لم أعد أتمكن من شراء رغيف خبز لأطفالي، طردت من عملي منذ عام، بلد بدون كهرباء وبدون حياة، كيف يمكن لنا العيش فيه؟

لكنه الوطن، أجاب، طبعا وطن، لكن لم يعد باستطاعتي العيش فيه ولم يعد في مقدوري تأمين الحياة لأطفالي.

كثيرون هم الذين رفضوا الحديث والرد، لكن عيونهم كانت تروي حكايات الذل والقهر خلال الخروج اليومي من البيت بحثا عن وقود لسيارته أو علبة دواء أو رغيف خبز لعائلته. يحملون اليوم أمتعتهم مهاجرين حيث يجدون الاستقرار والأمن الاجتماعي والإنساني، هاجروا بعد أن عجزوا عن مواجهة حياة بلا كهرباء ولا دواء بل أصبحت ملوثة بالقهر والاذلال أمام محطات الوقود والأفران.

تقارير وإحصائيات محلية أكدت ارتفاع نسب المهاجرين من لبنان خلال العام الحالي 2021

إلى أرقام قياسية غير مسبوقة، لكونها تعد اليوم رغبة عارمة لدى العدد الأكبر من اللبنانيين، لاسيما الفئات الشابة، «في حين أن كافة العوامل المؤدية إلى الهجرة من أزمة اقتصادية واجتماعية وأمنية لا تزال واقعاً يتجه نحو الأسوأ في الستة المقبلة بحسب مؤشرات الوضع الحالي».

وتشرح التقارير أنه «في عام 2018 كان عدد المهاجرين 33 ألفاً، تضاعف العدد عام 2019 ليصبح 66 ألفاً، في حين لم يتم التأكد من الرقم النهائي للمهاجرين عام 2020 لكنه يقارب الـ25 ألفا بحسب التقديرات، وهذا الانخفاض سببه إغلاق البلاد الأوروبية والركود الاقتصادي العالمي وعدم توفر الوظائف في الخارج. ولكن بعد تفاقم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وحالة الاستعصاء السياسي والأمني التي تمر بها البلاد تشهد ارتفاعاً كبيراً لهذه الأرقام في العام 2021.

وتكشف عن أن 90 في المئة من اللبنانيين لديهم الرغبة في الهجرة والسفر، لكن القدرة قد لا تكون متوفرة لأن الهجرة مرتبطة أولا بمدى تسهيل الدول إعطاء التأشيرات، وثانيا توفر فرصة عمل في الخارج وثالثاً مدى إمكانية توافر الأموال اللازمة.

بدوره، يؤكد المحامي سلام عبد الصمد الخبير في شؤون الهجرة على «ازدياد نسبة طلبات الهجرة في مكتبنا المتخصص بشؤون الهجرة بشكل كبير جداً عن المرحلة السابقة لا سيما بعد تفاقم الأزمة الاقتصادية وانهيار الليرة اللبنانية وأزمة البطالة وما يحصل في البلد من أحداث سياسية».

ويلفت عبد الصمد إلى أن المؤسف بالموضوع أن طلبات الهجرة كانت محصورة بالمتخرجين الجدد، أما اليوم فهي من كل الفئات والأعمار من صغار، وكبار، نساء، ورجال، الجميع يريدون ترك البلد والعمل في الخارج بغض النظر عن المدخول لأننا نعاني من مشكلة اجتماعية في البلد.

وأشار عبد الصمد إلى أن كندا وأستراليا في الطليعة كدولتين تستقبلان المهاجرين، مؤكدا أن الدول لم تسهل إجراءات الهجرة لديها، السفارة الكندية لم تصدر بياناً عن فتحها باب الهجرة أمام اللبنانيين ولا السفارة الأسترالية، وشروط الهجرة لا تزال كما هي.

اقتباسات

كتب

الشاعر المصري عبد المنعم رمضان في «الشهيق والزفير»: نظرات نقدية تتوخى مطاردة الشعر

عادل ضرغام

في كتابه في نسخته الثانية «الشهيق والزفير– مريض بالشعر» يقدم الشاعر المصري عبد المنعم رمضان رؤيته الخاصة لمجايليه من الشعراء المصريين والعرب، وللآباء والأبناء الذين يشكلون توجها فنيا ذا خصوصية من حيث الاختيار والانتماء للفن في تصاعته وحركته وابتعاده عن الثبات، وكأنه يقدم لنا في هذا الكتاب سيرة شعرية لذات مبدعة مشيرا إلى تاريخها الفني وارتباطاتها، وإلى اختياراتها وانحيازاتها الفنية. فهو لا يعرض لنصوص الشعراء انطلاقا من توجه مباشر كاشف عن القصدية، وإنما يشعر المتلقي أن ما يكتبه استجابة طبيعية لحالات التآلف، خاصة أن هناك قناعة لديه وقاعدة واضحة تتمثل في الكتابة فقط عما يحب فقط، حتى لو لمح القارئ أن هناك تباينا أو اختلافا فنيا مع شاعر كتب عنه رمضان فسيجد أن الشعر حاضر ومتجل في الأساس، ولكن الفارق يكمن في طبيعة التوجه والاختيارات والانتماءات الفنية. مقاربة رمضان للنصوص ليست مقاربة شارحة تقليدية، هي محاولة للاقتراب، ممسوسة بالاكتناز والاختزال، شبيهة إلى حد بعيد بكتابة الفن الشعري، توحي ولا تقرر، ترمز ولا تكشف، ولهذا في كتبه التي تقارب الفن يثبّت العنوان، وإن تعددت الطبعات والنسخ، فالشهيق والزفير– وإن ارتبط بالشعر فقط من خلال عنوان فرعي مريض بالشعر– نسخة تالية مغايرة لكتاب سابق نشره من فترة طويلة. فما يصدره الشاعر من دواوين شعرية أو كتب نقدية يجب أن يظل مرتبطا – على حد قوله في تصوره المثالي – بكل ما ننشره فيما بعد، أي أننا مع كل طبعة جديدة نضيف القصائد الأحدث إلى الطبعة السابقة، ونبقي العنوان كما هو.

فالعنوان – الشهيق والزفير – يشير إلى قيمة هذا الفن الشعري، فهو من خلال الفعلين يمثل الحياة لصاحبه، وأن ما يكتبه ليس إلا تجليا مغايرا مساويا للكتابة الشعرية ذاتها. ما يقدمه في هذا الكتاب مطاردة للفن غير محدودة بزمن أو نمط كتابي، مشدودة لمطلق الكتابة. فإشاراته النقدية تنفق معها غالبا، والقليل الذي نختلف حوله لا نستطيع أن نرفضه، فهو في كل ذلك سواء مع شعر مجايليه أو سابقيه أو من أجيال تالية يقدم رؤيته وذائقته، أو على الأصح يقدم لنا اختيارا فنيا لتكوينه، وكيفية تشكيل هذا التكوين.

في أحكامه يلحظ المتلقي حركة الوعي في تلقي شعر السابقين، وفي اختيار الآباء والأبناء، وسرعان ما يبهت أثر وجود بعضهم، أو يظل موجودا على تصاعته، كاشفا عن مساحة من الاقتراب والتوجه، فيصبح الحديث عنه في حالة استمراره أو سقوطه لأسباب عديدة حديثا عن توجه فني، وإيمان باستجابات متلاحمة ومتداخلة، ومفهوم خاص للشعر يتعاظم على الثبات والتقعيد، وكاشف عن حركة ومساءلة مستمرين.

ما الشعر؟

لم يتوجه رمضان في كتابه للإجابة عن هذا السؤال بشكل مباشر، ولكن كل جزئية فيه مهمومة به، وبمحاولة الاقتراب منه، وليس تحديده، فالشعر يمنحنا الاقتراب منه، والشعور به، ولكنه لا يمنحنا اليقين بإمساكه وتحديده، فهناك دائما شكوك في اليقين، شكوك هي الإنجاز والاكتمال، فالشعر إنساني كوني لا يمثل أحدا سوى صاحبه، براق الإنسانية في التعالي على المحددات العرقية والمذهبية والزمنية والمكانية.

في مقالته الأولى بالكتاب (قصيدة النثر لايف أم أسطوانة) يحاول الاقتراب من هذه الجزئية، وكعادته حين يحاول أن يكدّس شيئا لا يمكن تكديسه، أو تمرير فكرة أو على الأصح تقريبها وجعلها في متناول الفهم والإدراك يلجأ للحكاية أو للسرد أو للمعرفة أو للثقافة، فيشير إلى ما قام به بورخيس بمقولة القديس أوغسطين الذي قال: ما الزمن؟ إذا لم تسألوني ما هو فإنني أعرفه، وإذا سألتموني ما هو فإنني لا أعرفه. بورخيس وضع لفظة الشعر مكان الزمن.

وظيفة الحكاية التي يسردها قبل تقديم أحكامه ترتبط بتسويغ هذه الأحكام وتمريرها، ونفي الذاتية – أو بشكل أكثر دقة – جعلها تقترب من الموضوعية، وتعميم وجهة نظره. هذه الذاتية يمكن أن تكون السمة الأبرز في إشارات رمضان النقدية، ومحورية الذات لديه ليست بالمفهوم التعبيري الساذج، ولكنها مقياس لكل شيء، للقرب والبعد، وللحب والنفور، ولصناعة البراح والتشابه والتوحد، ولبناء الأسيجة الفاصلة التي تفضي للاختلاف والتنافر، هي وسيلة أساسية لمقاربة العالم. بالإضافة إلى وظيفة أخرى لا تقل أهمية عن السابقة، فهذه الحكايات أو القصص التي يتوسل بها تشدّ الكتابة إلى المنطق، إلى الواقع، فالكتابة عن الآخر إذا كانت غنائية ذاتية يشعر معها المتلقي أنه أمام نص شعري مملوء بإيقاعه، ومزدان بدلالته، ولكنها ليست الدلالة التي يبحث عنها الناقد، فجزء كبير منها – بالرغم من مشروعيتها – خاص وذاتي.

الشعر يصبح حركة الروح وإيقاعها في ارتباطها بالعالم، فهناك تسام عن الواقعي أو العرضي، وإن ظهر في نبراته – أي الصوت الشعري – أثر لذلك الواقعي والعرضي، فإنه يظهر بوصفه حالة ممتدة خارجة عن إطارها الزمني، متلبسة بالماضي والحاضر والمستقبل في آن، فالشعر بحث ذاتي دائم عن أسئلة لا تتوقف، فكل لحظة وصول هي في الأساس لحظة بداية منفتحة. يتجلى ذلك واضحا حين يقارن المتلقي بين وقفته غير المقصودة بشكل مباشر أمام أدونيس، ووقفته المتأنية بشكل لافت أمام شعر محمود درويش في مجموعة من المقالات.

لقد ظل الاختيار المرتبط بالقناعة الفنية للشعر القلق القادر على إثارة الأسئلة المستمرة، ولا يركن إلى الثبات والإحساس بالتجذر والإنجاز ومطلق التكوين، عنصرا فاعلا في وقفات رمضان النقدية. فهو لا يتوقف كثيرا أمام التصنيفات الجاهزة، ولا يصغي بكبير اهتمام إلى المؤسس المفاهيمي المستقر مثل (عمودي– وتفعيلي– ونثري)، لأنه يبحث عن الشعر في ارتفاعه وتفرده، فالشعر في منطقه فوق هذه التقسيمات، ولهذا لا ينحاز لنمط إبداعي دون آخر. فنراه يتوقف عند الشاعر عبد الرحمن مقلد، ويقف بشكل لافت عند أربعة شعراء من مصر، وهم على الترتيب إيمان مرسال ومحمد متولي وجرجس شكري وعلاء خالد. ويبدو أن اهتمامه بشعرهم يتساوق مع منطلق الذاتية بوصفه المنطلق الأول في إبداعه والتفاتاته النقدية. فالشعر في إبداع هؤلاء الشعراء – على حد قوله – معرض لأن يكون سيرة، ويوميات ومدنا ضائعة، فالسيرة هي أهم المداخل إلى رغبتهم في التميز بما هو شخصي، الشخصي عندهم مملوء بالثقوب والمعايب والنقص.

وإذا كان رمضان لا يقيم وزنا كبيرا للتصنيفات الجاهزة المستقرة، فإن التوجه ذاته سيكون حاضرا في التصنيفات المكانية الكاشفة عن محاولة الوصول إلى الخصوصية، فهي لا تستند إلى أسانيد فنية، وهي وسيلة من وسائل الاستقواء والتعاظم والحماية، لأن الكثيرين من الذين يستندون إلى مقولات مثل الشعر المصري أو السوري أو المغاربي غالبا شعراء محدودون عاديون، أما الشعراء الحقيقيون فهم ينتسبون للشعر في علياته، ولديهم قدرة على التعاظم على كل هذه التقسيمات الفنية مثل مقولة الأجيال، أو على المكان أو الوطن، فالشعر طائر يندّ عن التحديد.

آليات المقاربة

في مقاربته للشعراء – خاصة الآباء الذين ظلوا آباء بالرغم من نمو الوعي وحركة الزمن مثل المازني وأدونيس والذين خفت وميضهم بالتدريج ليصبحوا إشارة إلى أبوة سابقة أو منتهية مثل حجازي – لا يقارب نصوصا أو دواوين، وإنما يقارب مجمل المشروع أو الصورة أو الحالة المستقرة الموحية داخل السياق العام، فنراه يتوقف أمام هذه الصورة مشيرا إلى قيمتها أو مخلخلا أسسها ومرتكزاتها.

شعرية الآباء الحقيقيين ليست زمنية، أي ليست مرتبطة بواقعة أو حدث سياسي أو توجه أيديولوجي، ومن هنا يتشكل تفريقه في طبيعة النظرة إلى منجز أمل دنقل – بعيدا عن ديوانه الأول وثيق الصلة بحجازي ونزار قباني – واختلاف هذه الوجهة بين مجمل دواوينه وديوان «أوراق الغرفة 8»، وذلك بسبب حضور الذات في مواجهة أسئلة كبرى مثل الموت والحياة والوجود، مما أسهم في تصفية الصوت الشعري إلى الذاتي والفني والشعري بعيدا عن السياسي والعرضي والزائل.

أحكام رمضان ذاتية، فهي شديدة الخصوصية، وربما تكون صادمة، ولهذا في تقديمه للأحكام النقدية لشعر الشعراء أو مجمل منجزهم يستخدم كثيرا من الآليات للتأسيس لهذا الحكم، ولتجذير مشروعيته. فحين يتوقف عند شعر بعض مجايليه بشكل عرضي غير مباشر، يترك إصدار الحكم لغيره، فكأنه – والحال تلك – ناقل قول أو حكم، وليس مؤسس أو مصدر هذا الحكم.

إشاراته النقدية إلى الشعراء لا تخلو من الذاتي المنفتح على المعرفة الشخصية الوثيقة في أحيان ليست قليلة في الاقتراب من المبدع ومنجزه، ولا يمكن أن نفصل رؤيته عن فكرة صراع الأجيال والتجاوز والانتقاء والاختيار، فالوقوف بأمل دنقل عند سقف إبداعي محدد كان توجها لدى معظم أفراد هذا الجيل، يتجلى ذلك في مقولة حلمي سالم (أدونيسيون لا دنقليون)، فهذا في الأساس اختيار فني، وانتماء للفني والأبدي بعيدا عن اللحظي والعابر، وبعيدا عن الحادثة التي سوف تذوب وتنسى، ويبقى النص بالرغم من راهنيته الزمنية ناقصا، وفي احتياج دائم للارتباط بها.

وثمة سمة أخرى يمكن الوقوف عندها في نظرات رمضان النقدية تتمثل في كونها اختزالية لعموم المشروع لأي شاعر، لأنها بكونها اختزالية تظل منفتحة على الشعري والفني في صياغتها، ومن ثم فغيها جزء من الروح، وجزء من الإبداع، والروح والفن لا يمكن التعبير عنهما أو الإمساك بهما بشكل مباشر، وإنما نكتفي بالطاردة، وبشكل خاص من أشكال الالتفاف بالعالم والحنو والحومان حولهما. فالجهد النقدي في هذا الكتاب مساو للجهد الإبداعي، ففي توصيفه لمشروع حلمي سالم في كلمات بسيطة يقدم توصيفا لافتا ولكنه يظل ملغزا، لأنه يقدم رؤية شاعر لشاعر يقفان على بساط فني متساو، بالرغم من كونهما غريمين لفترة، وصديقين في فترة أخرى. فقد وصفه بوصفي (فائض الطاقة)، و(ثلالات اليقظة)، فالطاقة واليقظة كانا ذخيرة حلمي سالم الوفيرة.

الكتابة الفنية عن الشعر في هذا الكتاب كتابة خاصة بل شديدة الخصوصية، ليس فقط لأنها ترتبط بشاعر حقيقي، وليس لأنها – أيضا – ترتبط بنائر له خصوصية لافتة، وإنما في تصوره الخاص جدا عن الشعر، ذلك الفن القريب جدا، ولكنه يتفلت حتى نظن أنه بعيد جدا، ولكننا ليقينا بوجوده لا نكفّ عن مطاردته، ومحاولة الإمساك به، وإن ظلت إلى الأبد محاولات متكررة مخذولة بالفشل، ولكن هذا الفشل لا يمنعنا من تكرار المحاولة مجددا.

عبد المنعم رمضان: «الشهيق والزفير– مريض بالشعر»
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2020
373 صفحة.

بن ماكنتاير في «العميلة صونيا»: أخطر عميلة استخبارات في الحرب العالمية الثانية استمرت ربة منزل

سمير ناصيف

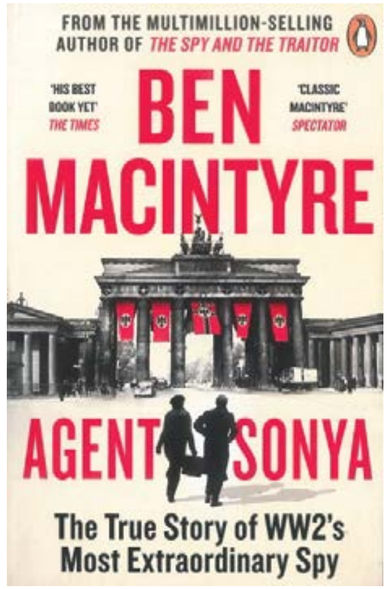

قد تبدو قضية تجسس ربات العائلات وأمهات الأطفال رتيبة وثانوية بالنسبة إلى القضايا السياسية ـ الاستخباراتية الأخرى. إلا ان السؤال يُطرح لماذا استخدمت الدول الكبرى هذا السلاح للحصول على المعلومات السرية العسكرية والسياسية خلال وبعد الحربين العالمية الأولى والثانية وما زالت تستخدمه حتى الآن دول عديدة؟ وهل المعلومات التي تم أو يتم الحصول عليها عبر هذه الطريقة كانت واستمرت مفيدة لأجهزة استخبارات هذه الدول وقادتها؟

جزء كبير من الجواب على هذا السؤال قد يعثر عليه القارئ في كتاب صدَرَ مؤخراً بعنوان «العميلة صونيا» للمؤلف البريطاني بن ماكنتاير، الذي ألّف كتباً عديدة في هذا المجال بينها كتاب عن الجاسوس كيم فيلبي بعنوان «جاسوس بين أصدقاء». وقد نال ماكنتاير جوائز عديدة على هذه الكتب بالإضافة إلى عمله كرئيس التحرير المشارك لصحيفة «التايمز» البريطانية.

«العميلة صونيا» يروي النشاطات الجاسوسية لأورسولا كوتشينسكي، التي أطلقت عليها الاستخبارات العسكرية السوفييتية لقب «العميلة صونيا» وعمليات تجسسها ضد النظام النازي بقيادة أدولف هتلر في ألمانيا في الثلاثينيات والأربعينيات وفي تحريض ودعم الثورات الشيوعية في آسيا واليابان والصين خلال نظام الرئيس الصيني السابق تشان كاي تشك وضد الأنظمة المناهضة للاتحاد السوفييتي في القارة الصفراء وفي مقاومة التغلغل الياباني العسكري والسياسي في منشوريا ومحاولة تنظيم عملية لاغتيال هتلر أثناء نشاطاتها في سويسرا. ولكن الأهم كانت علاقتها بالعالم الألماني الأصل كلاوس فوكس، الذي مرر من خلال لقاءاتها معه في لندن أسرار صناعة القنبلة النووية إلى الاتحاد السوفييتي (بقيادة جوزف ستالين) في مطلع الأربعينيات من القرن الماضي. وفعلت أورسولا (صونيا) كل ذلك من دون أن يثنيها الأمر عن الارتباط بعلاقات زوجية أولها مع زوجها الأول رودي همبرغر ثم مع العميل السوفييتي الشهير ريتشارد سورج، وثالثها مع العميل السوفييتي الآخر يوهان باترا ورابعها مع زوجها الثاني لين بيرتون، وقد أثمرت هذه العلاقات إنجابها ثلاثة أطفال استمرت في رعايتهم طوال عملها التجسسي وتنقلها من بلد إلى آخر، فأنجبت طفلاً أسمته مايكل من زوجها الأول، ونينا من العميل باترا وبيتر من زوجها لين بيرتون. بيد أن الرفيق العاطفي الأقوى بالنسبة اليها (حسب ما ورد في الكتاب) كان سورج الذي لم تنجب منه، ولكنها أحبته حتى اليوم الأخير من حياتها. توفيت أورسولا في عام 2000 وكانت قد بلغت الثالثة والتسعين علماً أن الاستخبارات الروسية كرمتها قبل وفاتها.

ويقول ايان فليمنغ، المؤلف البريطاني لروايات جيمس بوند، أن شخصية سورج وشكله الخارجي توافقت تماماً مع شخصية وشكل العميل جيمس بوند في كتبه.

من الأمور اللافتة في كتاب ماكنتاير ما يورده بأن جميع أفراد عائلة أورسولا كانوا يتعاطفون مع الحزب الشيوعي الألماني المناوئ بشدة لهتلر وللنازية، وان والدها روبرت كان اختصاصياً في علم الديموغرافيا وشقيقها يورغن كان استاذاً في الفلسفة له مؤلفات عديدة والعائلة كانت من خلفية طبقية وسطى ـ عليا وتنتمي دينياً إلى اليهودية، ولكنها كانت متحمسة للشيوعية والاتحاد السوفييتي قبل أي ارتباط آخر.

وهذا أمر يردُ في الكتاب عن انتماءات معظم الذين ارتبطت بهم وعملت معهم أورسولا في عملها وحياتها.

السؤال لماذا اختارها المركز الاستخباري السوفييتي الأعلى للتعامل معها يمكن الجواب عنه من خلال أحداث الكتاب المشوقة التي تصلح لفيلم سينمائي. فقد مارست أورسولا عملها وهي جذابة لم تتجاوز الأربعين تظهر أمام المجتمع كأمرأة عادية متزوجة مع أطفال وتندمج اجتماعياً في جميع البلدان والمناطق التي تنتقل إليها ويصعب أن يتهمها أحد بانها عميلة استخبارات تزرع أجهزة لاسلكية للبث والاستقبال الإلكتروني أينما حلت وتزود معلميها بالمعلومات الاستخبارية المطلوبة عبر هذه الأجهزة وتوفر الأسلحة للثوار.

الأمر الآخر اللافت هو أن استطلاب شخصيات كأورسولا إلى عالم الاستخبارات يتم عبر نساء يتقربون منهم في البداية بدافع الصداقة والعلاقة الاجتماعية، ولكن الهدف يكون في النهاية الاستدراج نحو العمل الاستخباري، علماً أن الشخصية التي أستقطبت أورسولا إلى هذا النوع من العمل كانت كاتبة أمريكية (شيوعية الميول) اسمها آغنيس سميدلي، وهي التي عرفتها بريتشارد سورج، العميل الجذاب الذي أغراها لاقامة علاقة عاطفية معه على حساب زوجها رودي. وكل ذلك كان يتم بمعرفة الجهاز المركزي الاستخباري السوفييتي الأعلى الذي لم يكن يكترث بالفعل لحياة عملائه الشخصية، حسب قول المؤلف، المهم كان ان ينجزوا عملهم. ولم تدرك أورسولا هذه الحقيقة إلا بعد أن تجاوزت الأربعين من عمرها وبعدما سقط الاتحاد السوفييتي ومعه جدار برلين في أواخر الثمانينيات. فاتجهت في حياتها في برلين الشرقية في السبعينيات والثمانينيات نحو تأليف كتب للأطفال ثم كتبت مذكراتها بالألمانية عام 1977 التي ترجمتها ونشرتها بالانكليزية عام 1991 بعدما أُعيد السماح لها بزيارة لندن. وقد اعتمد المؤلف على وقائع وردت فيها ومصادر من أولادها في تحقيق كتابه.

الفصل السابع عشر يتحدث بالتفصيل عن علاقة العميلة صونيا بالعالم الألماني الأصل كلاوس فوكس، الذي سرّبَ المعلومات عن صناعة القنبلة الذرية عبرها وعبر السفارة السوفييتية في لندن إلى روسيا، وطلب أن توضع المعلومات على طاولة القائد السوفييتي آنذاك جوزف ستالين. وهكذا كان، فقد أنتج الاتحاد السوفييتي قنبلته النووية في وقت قريب جداً من وقت إنتاجها في بريطانيا وأمريكا. ولم يكن هدف فوكس سياسياً بقدر ما كان إنسانياً (حسب المؤلف) إذ انه أراد ألا ترجح كفة جهة في العالم ضد أخرى (يعني الجهة الغربية ضد الجهة الشيوعية أو عكس ذلك) فيحدث استثمار واجحاف في القرارات وتُصبح المواقف أحادية خصوصاً في الشؤون العسكرية وشن الحروب.

وقد تعرفت أورسولا إلى كلاوس فوكس بعدما دعاه شقيقها يورغن إلى شقته وأقام احتفالا على شرفه في نيسان (ابريل) 1941 في الشقة الواقعة في هامستد شمال لندن وكان يورغن يقوم بدور الوسيط بين كلاوس والسفارة السوفييتية في لندن، ولكن مركز الاستخبارات الروسي كان يثق بدرجة أكبر بما يصله من وثائق علمية سرية يمررها فوكس إلى أورسولا عبر لقاءاته معها في أماكن غير علنية بالمعلومات فيما أعتبرت أورسولا أن عملها مع فوكس غير مخالف لولائها لبريطانيا (كونها تجنست بريطانية بعد هجرة عائلتها من ألمانيا بسبب هتلر والنازية) والمملكة المتحدة وروسيا كانتا حليفتين في الحرب العالمية الثانية. بيد أن الدولة البريطانية كانت تُحظر نقل أي معلومات عن تطور برنامجها النووي لأي دولة أخرى باستثناء الولايات المتحدة. بين عامي (1942 و1945) يقول المؤلف أنتجت موسكو عدداً من القنابل النووية لأنه، كما شاء فوكس، اهتم ستالين شخصياً بموضوع المعلومات الاستخبارية الواردة من العالم الألماني الأصل عبر أورسولا في لندن.

واجهت أورسولا صدمة كبيرة عندما تم شنق حبيبها الأول (والأوحد) ريتشارد سورج أثناء عمله ضد اليابانيين في آسيا. ولم يستمع ستالين إلى نصائحه حول إمكان حدوث هجوم ألماني ضد روسيا، علماً أنه حدث بالفعل ودفعت ألمانيا ثمنه، ولكن سورج كان قد فقد غطائه السوفييتي الستاليني واعتقل وأُعدم.

بعد شنق سورج وبعد شن السوفييت هجوماً على فنلندا، فقدت أورسولا حماستها لعملها الاستخباري وجمدته ولكن سبب توقفها كان (حسب المؤلف) معارضتها للإجراءات المتشددة التي نفذها ستالين ضد خصومه داخل القيادة السوفييتية الشيوعية وإعدامه قياديين كانت عملت تحت أمرتهم وتعاطت معهم اجتماعياً.

وكل ذلك لم يمنع من استمرار علاقة طبيعية بينها وبين القيادة السوفييتية خلال حياتها الطويلة هي وأولادها في ألمانيا الشرقية تحت قيادة أريك هونيكر (حليف السوفييت) وجهاز استخباراته «الستازي» (حسب ما ورد في الكتاب) فقد اعتبرها النظام الشيوعي عموماً عميلة فوق العادة وفوق النقد نظراً للإنجازات الكبيرة التي قامت بها.

وكانت الاستخبارات البريطانية حصلت على اعتراف من كلاوس فوكس بما قام به خلال إستجوابه في شباط (فبراير) 1950. وأكد فوكس للمحقق أنه قام بعمله لأسباب إنسانية مبدأية، فلم يُحكم عليه بالإعدام، ونال حكماً مخففاً. ثم أفرج عنه في عملية تبادل مع ألمانيا الشرقية حيث أمضى باقي حياته وبقي فوكس وفياً لعلاقته بصونيا إذ لم يقدم أي أسرار عن دورها في نقل المعلومات للمحقق البريطاني مما أتاح لها الخروج نهائياً من بريطانيا في أواخر شباط (فبراير) عام 1950 هي وعائلتها ولم تعد إلى لندن إلا بعد 41 عاماً.

وكانت قد أصبحت مؤلفة عام 1956 تحت أسم روث فيريز، وكتبت حوالي 14 كتاباً معظمها للأطفال ولكن الكثير من الأحداث فيها مستوحى من خبراتها. بيد أنها «بقت البحصة» في كتاب مذكراتها الصادر بالألمانية عام 1977 والذي تُرجم إلى الإنكليزية عام 1991 ونال رواجاً كبيراً.

ويذكر ان الرئيس الروسي الحالي فلاديمير بوتين كرمها بتقليدها «وشاح الصداقة» من أجل خدماتها الكبيرة لروسيا في المجال العسكري وذلك في نهاية حياتها وفي الفترة الأولى لمنصبه القيادي في روسيا الاتحادية. وهذا وسام رفيع جداً يصفها بالعميلة الخارقة في خدمتها للاستخبارات العسكرية الروسية.

هذه السيدة التي ظهرت وكأنها ربة منزل عادية ولكنها كانت بالفعل خبيرة فريدة من نوعها في زرع أجهزة الاتصال اللاسلكية للتواصل مع قادتها وفي إنتاج مواد يمكن للثوار الذين تتعامل معهم استخدامها في عمليات التفجير، كانت على دراية في منتصف ثلاثينيات القرن الماضي (حسب هذا الكتاب) بأن مادة نيترات الأمونيوم مفيدة جداً في عمليات التفجير ضد النظام الصيني المعادي للشيوعية (أي نظام تشان كاي تشيك). في الصفحة 113 يقول المؤلف «أورسولا ذهبت للتبضع بالقنابل من أجل تزويدها للمدعو تشو، الثائر ضد النظام وكانت قد تدربت على صناعة القنابل والمتفجرات من مواد منزلية عادية عن طريق خلطها ببعضها. ومن هذه المواد نيترات الأمونيوم. وقد اشترت عشرة أرطال من هذه المادة وبعض مواد الرش الزراعي عالة بانها تصبح متفجرة إذا خُلطت ببودرة الألومنيوم أو زيت المحركات. وبعد عملية الخلط هذه بالإمكان إنتاج قنبلة متفجرة وزنها مئة رطل».

هذا يعني أن نيترات الأمونيوم خطرة جدا إذا خُزنت بكميات ضخمة في أماكن آهلة إلى جانب مواد كيميائية أخرى. وهذا أمر أدركت مخاطره أورسولا منذ ثمانين عاماً ولم يدركها آخرون مؤخراً في لبنان!

Ben Macintyre:
Agent Sonya»
Penguin Books, London
2021
376 pages.

المقال

عبدالباسط سيدا

أدونيس والثورة السورية

أدونيس وسفير النظام السوري في بيروت، صيف 2019

كان علي أن اختار شاعرين من شعراء الحداثة لأتناول حياتيهما ودورهما ونتاجهما بشيء من التفصيل ضمن مادة الأدب العربي المقررة لطلاب قسم اللغة العربية بجامعة أبسالا– السويد. وهي مادة تركز على أساسيات تاريخ الأدب العربي، والعلاقة بين الأدب والمجتمع. فآثرت اختيار كل من بدر شاكر السياب وأدونيس.

الأول لدوره الريادي على مستوى الشعر العربي الحديث، وارتباطه الوثيق بقضية شعبه، وتحمّله كل أنواع العذاب وأشكال المعاناة، دفاعاً عن قناعاته ومبادئه. عاش جلّ عمره في العراق، ولم يغادره إلا نادراً، وفي رحلات قصيرة، هرباً من التنكيل، أو بحثاً عن العلاج، أو بهدف المشاركة في فعاليات شعرية أدبية، خاصة في بيروت حيث طبع فيها ديوانه الشهير الذي حمل عنوان قصيدته الأشهر «أنشودة المطر» التي يعشقها معظم من قرأ السياب، وأحب شعره. عانى السياب من الفقر الشديد، وبحث عن أي وظيفة في سبيل أن يتمكن من تأمين لقمة العيش. كان يتعرض للطرد في كل مرة ينتقد فيها السلطات، ولكنه ظل على قناعاته، ودافع عنها، ودفع الثمن.

أما أدونيس، فقد كان الاختيار لريادته في ميدان الحداثة المعاصرة في الشعر العربي بكل أبعادها على مستوى الوزن والشكل والمضمون وطرح الأسئلة الوجودية. هذا إلى جانب إنتاجه الغزير، وشهرته العالمية، فقد تُرجم شعره إلى معظم اللغات، ويُدرّس شعره في غالبية الجامعات الغربية التي تضم أقسام اللغة العربية.

اخترت أدونيس على الرغم من معرفتي بموقفه السلبي من الثورة السورية، بل هو لا يسميها ثورة أصلاً. ورفض أن يفعل ذلك حتى في أيامها السلمية الأولى التي امتدت على مدى ستة أشهر وأكثر في مواجهة قمع النظام وحقده. وكانت حجة أدونيس أنه لا يستطيع أن يعترف بثورة، فضلاً عن تأييدها، إذا ما كانت تخرج من الجوامع، وذلك انسجاماً مع موقفه العام الثابت الذي يدعو بموجبه إلى الفصل بين الدين والدولة، وعدم تأييده الدولة الدينية، هذا مع إصراره في كل أحاديثه على أهمية احترام الدين. بل هو نفسه يستخدم الرموز الدينية، والمفاهيم والإيحاءات الدينية في شعره؛ حتى أن الباحثة السويدية سيغريد كاهل التي ترجمت الكثير من قصائده إلى السويدية، والتقت به، وأجرت معه الحوارات، وكتبت مواد نقدية موضوعية حول شعره، تقول: إنه من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، فهم شعر أدونيس من دون العودة إلى خلفيته الدينية التي تأثر بها منذ الصغر. فهو وإن كان قد استفاد من الرمزية والسريالية، والتيارات الحداثوية في الشعر الغربي، خاصة الفرنسي منه؛ إلا أن العودة إلى تلك الخلفية ضرورية، لأن أدونيس يمزج بطريقة إبداعية بين الرموز والإيحاءات الدينية النصيرية، والصوفية على وجه التحديد، وبين ما اطلع عليه من التجارب الشعرية الحديثة في الغرب.

لقد أعجبت بشعر السياب منذ بدايات سبعينات القرن الماضي، وكان المدخل إليه رائعته «أنشودة المطر». أما أدونيس، فقد كنا نسمع عنه، وعن دعوته مع بوصف الخال وأنسي الحاج، ومن خلال مجلة «شعر» إلى إحداث ثورة شاملة في الشعر العربي الحديث في تلك الفترة. ولكن ميولي الفلسفية في مراحل مبكرة من العمر كانت تحول دون تعميق توجهاتي الأدبية، وزيادة الاطلاع على الشعر العربي الحديث؛ هذا مع نزوعي المستمر نحو القراءة الأدبية، خاصة في ميدان الرواية، وحتى الشعر، وهي عادة قديمة – جديدة، ما زلت محافظاً عليها ضمن نطاق ما تسمح لي به الظروف.

ازداد اهتمامي بشعر أدونيس في مرحلة الماجستير، وذلك من خلال أستاذي المشرف الراحل صادق جلال العظم الذي كان يقيم في بيروت في شارع بليس حيث زرته أكثر من مرة في أواخر سبعينات القرن المنصرم. وأذكر أنه في زيارة من تلك الزيارات تطرق الحديث إلى الشعر، ومن ثم إلى أدونيس، وبيدو أنه كان على علاقة صداقة معه في ذلك الحين، وهذا ما فهمته من إشادته، وإشادة زوجته الراحلة فوزية طوقان، بشعر أدونيس وحداثته.

وأثناء إعدادي لأطروحة الماجستير التي كان موضوعها فكر زكي نجيب محمود الفلسفي، قرأت جملة الدراسات النقدية التي كان الدكتور محمود قد كتبها حول العديد من الشعراء، استوقفتني دراسته النقدية التي تمحورت حول قصيدة مهيار الدمشقي لأدونيس. وهذا ما دفعني من حين إلى آخر نحو متابعة هذا الشاعر المهم، وقراءة نتاجه الشعري، وذلك كلما تسنى لي الظرف المناسب.

وقد استمرت متابعتي لأدونيس حتى بعد انتقالي إلى السويد في منتصف تسعينات القرن الماضي، إذ كنت حريصاً على قراءة ما يكتبه، ولكنني فوجئت لاحقاً بموقف أدونيس السلبي من الثورة السورية. وللتغطية على حقيقة أسباب موقفه وخلفيته، مارس صيغة من الأستذة الأبوية على السوريين والسوريات الشباب أولئك الذين خرجوا في معظم المدن والبلدات السورية، يطالبون بالإصلاح والتغيير. ومع تصاعد قمع النظام ووحشيته، رُفع الشعار الشهير «الشعب يريد إسقاط النظام»، بعد أن وصل الشباب السوري، ومن جميع المكونات ومن سائر الجهات والتوجهات، بأن هذا النظام قد بات عقبة كأداء أمام التنمية والتقدم، وقد تسبب في عملية إنسداد الأفاق أمام الطاقات الشبابية الإبداعية السورية.

وكعادتي حينما استعد لكتابة موضوع معرفي، أو تقديم محاضرة علمية، حاولت الاطلاع على ما كتب وقيل حول أدونيس، وما قاله في مقابلاته التلفزيونية، خاصة تلك التي كانت بعد الثورة، بما فيها تلك الأخيرة.

يدعو أدونيس إلى فصل الدين عن الدولة، ويركز على أهمية التقدم العلمي، ويعبر عن تشاؤمه من الواقع العربي. فهو لا يجد اليوم جامعة عربية واحدة تمتلك مواصفات ومعايير الجامعات المعروفة على المستوى العالمي. كما لا توجد، وفق ما يذهب إليه اختراقات إيجابية جادة في مختلف الميادين؛ وغير ذلك من الأحكام العامة التي لا يُختلف حولها في معظم الأحيان. ولكن المشكلة كل المرء حينما ينتقل إلى التفاصيل، تظهر التناقضات، ويغلب التلعثم.

فحينما يُسأل عن الثورة السورية، والموقف من النظام، يوجه الأنظار نحو القضية الفلسطينية، ويدعو إلى ضرورة عدم اعتماد التماهي بين النظام وسوريا، كشعب ووطن، متجاهلاً أن النظام نفسه قد استغل القضية المعنية على مدار نصف قرن للتحكم في الشعب والوطن. وهذا النظام هو نفسه الذي سطح العقول والضمائر، وبنى مؤسسات فاشية قمعية، وأجرى عملية غسل دماغ جماعية عبر منظماته الشعبية، بدءاً من منظمة طلائع البعث، مروراً بشبية الثورة، واتحاد الطلبة ودورات المظليين...إلخ.

يرى أدونيس أن الحل يتمثل في فصل الدين عن الدولة، متجاهلاً توافق السوريين في بدايات الثورة على الدولة المدنية مع احترام الخصوصيات الدينية والمذهبية والقومية جميعها. كما أنه يتجاهل لعبة النظام الذي حاول من خلالها دفع الثورة منذ اليوم الأول نحو العسكرة والتطرف، ليضع العالم أمام بديلين سيئين فاسدين: إما الاستبداد أو الإرهاب.

ولكن الذي لفت نظري أكثر، هو رده على سؤال بخصوص نقد صادق جلال العظم له؛ فقد كان العظم قد ذكر في مقابلة له أنه قد استغرب موقف أدونيس من الثورة، وأشار إلى صيغة من الاستلهام والتماهي الروحيين عند أدونيس حينما كتب عن «الثورة» الإيرانية وآياتها. ما لفت نظري هو أن رد أدونيس على هذا النقد لم يكن هادئاً شاعرياً فلسفياً كما يحرص أن يفعل عادة في سياق إجاباته على مختلف الأسئلة؛ وإنما كان اتهامه للرجل بأنه كان موظفاً عند النظام، وكأن النظام هو من يملك سوريا، وكأن كل إنسان يعمل في بلده هو تابع ومؤيد لهذا النظام؟

ألم يكن السياب نفسه الذي يشيد به أدونيس في مختلف المناسبات هو الآخر موظفا «عند النظام» إذا استخدمنا التوصيف الأدونيسي غير الدقيق الذي استخدمه في سياق دفاعه غير الموفق عن نفسه؟ بل كان السياب مضطراً أن يتواصل مع هذا وذاك، ويتنقّل من هذا المكان إلى ذاك في سبيل تأمين العمل، ولكنه لم يتنازل عن مبادئه أبداً.

وكان من الطبيعي أن يكون العظم، المعروف بعقلانيته وعلمانيته وصراحته، إلى جانب الثورة السورية التي اعتبرها الكاشف الأخلاقي الذي عرّى الجميع. كما كان من الطبيعي أن يستغرب ويستهجن العظمُ موقفَ أدونيس الذي يقدم نفسه بأنه ثائر على القديم، ويمتهن طرح الأسئلة الإشكالية، هذه الأسئلة التي لا تشمل أسئلة كان من المفروض أن يطرحها أدونيس باعتباره يحرص على السوريين ووطنهم.

لماذا أطلق النظام سراح الإسلامويين المتشددين في بداية الثورة؟ بأي شرعية فتح النظام البلاد أمام ميليشيات «حزب الله» والفصائل المذهبية العراقية التي دخلت بإشراف الحرس الثوري الإيراني التابع لنظام ولي الفقيه في إيران لتمارس القتل والتجويع والتهجير والتدمير بحق السوريين وبلدهم؟

هل يحق لمثقف في وزن أدونيس، بل لأي شخص ما زال ضميره ينبض بالحياة، أن يقف صامتاً في مواجهة نظام جمهوري وراثي مافياوي، تسبّب في قتل نحو مليون سوري، فضلاً عن مئات الآلاف من المعتقلين والمغيّبين؛ كما تسبب في تهجير أكثر من نصف السوريين، ودمّر البلاد، وأتى على كل مقدراتها، حتى أوصل السوريين إلى أزمة معيشية خانقة غير مسبوقة؟

ألا يستحق كل هذا تساؤلاً أدونيسياً يبشّر بإمكانية نهوض طائر الفينيق مجدداً؟

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

نفق فلسطين..

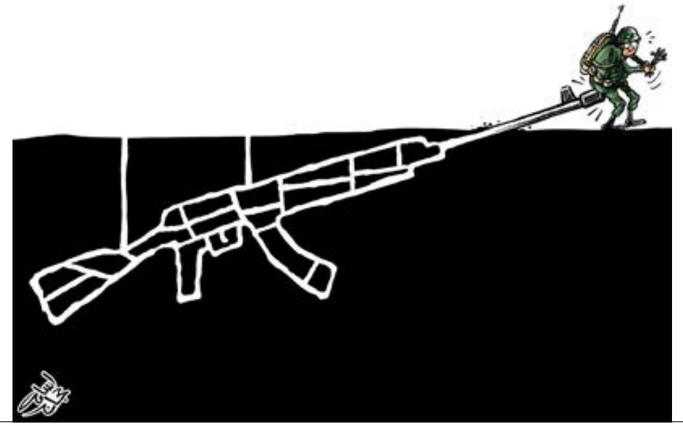

كاريكاتير: اسامة حجاج

انتخابات 8 أيلول (سبتمبر): من أجل سياسة جديدة؟

سعيد يقطين

راودتني عدة عناوين بعد ظهور النتائج الأولى لحصيلة الانتخابات التشريعية يوم الأربعاء 8 أيلول (سبتمبر) 2021 في المغرب. وكان كل عنوان سيقودني إلى استخلاص دروس وعبر تختلف باختلاف العنوان المختار. جاءتني جميعا على صيغة أسئلة، مثل: هل هي نهاية الشعبوية في السياسة المغربية؟ وكان هذا السؤال سيجرني إلى الحديث عن الماضي. هل انتهت القدرة على الكلام، وجاءت إرادة الفعل؟ وفي هذا توقع لما يمكن أن يكون عليه الأمر بعد الوعود المتوجة في هذه الانتخابات. لكني اخترت عنوان: من أجل سياسة جديدة. وأردت بذلك تسجيل أن أهم ما استخلصته من هذه الانتخابات، وما يمكن طرحه من أجل المستقبل، هو أن الممارسة السياسية التقليدية لم يبق لها أي مبرر، وأن تجديد العلاقات بين الدولة، والأحزاب والشعب ينبغي أن تبنى على مواجهة التحديات القديمة والجديدة.

أعتبر حدث هذه الانتخابات تسجيلا لتاريخ لا يختلف عن حدث كلمة الشعب في 20 شباط (فبراير)، واستجابة الملك في تاريخ 9 آذار (مارس) 2011، حيث بدا لي أن الغائب الأكبر في تلك الكلمة، والاستجابة هو الأحزاب التي كان من المتوقع لعب دور الوسيط بين الدولة والشعب. حملت حصيلة كلمة الشعب دستورا جديدا بكل ما في الكلمة من معنى. لكن من يمكنه تنزيل هذا الدستور، ويعطيه دلالاته البعيدة؟ وضع الشعب المغربي ثقته في «العدالة والتنمية» باعتباره حزبا مختلفا عن مختلف الأحزاب التقليدية والوطنية التي تداولت السلطة منذ الاستقلال. وكانت الشعارات التي رفعها هذا الحزب تُذكّر بالشعارات الكبيرة التي ظل يرفعها اليسار، وأهلته للوصول إلى السلطة مع عبد الرحمن اليوسفي. فتشبث الشعب بقشة محاربة الفساد وممارسة سياسية جديدة.

عندما صعد نجم «العدالة والتنمية» كتبت مرارا في الدفاع عن التجربة المغربية، وتحدثت عن الاستثناء المغربي، وأنا أشاهد بمرارة ما وقع في بعض الأقطار العربية بعد أحداث الربيع العربي، والتي ما تزال تداعياتها سائدة إلى الآن، وقد مر عقد من الزمان على ذلك. كنت أرى التعليقات النارية على الحكومة «الملتحية»، كما كانوا يسمونها. واعتبرني بعض الأصدقاء مدافعا عن «العدالة والتنمية»، ولا سيما وأن جريدتهم كانت أحيانا تعيد نشر بعض المقالات التي كنت أنشرها في جريدة الصباح. كنت أطالب بالمقابل أن تكون الحكومة موحدة، والمعارضة منسجمة. كان هذا الرهان الذي كنت أطرحه دفاعا عن مسالك دخلها المغرب، وجنبتنا مهالك عاشتها دول شقيقة. وهو الموقف نفسه الذي عبرت عنه في نقاشات مع زملاء في تونس مع هيمنة الإسلاميين. كنت أقول: اعطوهم الفرصة وستظهر الحقيقة. لا تشعروهم بالمظلومية فهم يبحثون عما يغطون به سوءاتهم. عندما سمعت أول مرة محمد مرسي الرئيس وهو يخطب توقعت فراغ جعبته، وأنه لا يريد إلا أن يقلد جمال عبد الناصر في خطبه. ما أسهل ممارسة السياسة بالكلام، والخطاب كيفما كان نوعه. الشعب يريد الخبز، يريد الكرامة، يريد الإحساس بالأمن والطمأنينة على مستقبل أبنائه.

لم تحقق «العدالة والتنمية» أيا من انتظارات الشعب المغربي وتوقعاته، وكان الفشل ذريعا على المستويات كافة. فمن ارتفاع المديونية إلى اتخاذ قرارات غير صائبة في التعليم والصحة والسكن وغيرها، إلى بروز علامات البحث عن المصلحة الخاصة، وممارسة الخطابات السجالية العقيمة، كل ذلك وغيره أبان للجميع الذين صوتوا عليه خلال دورتين أنه لا يختلف عن بقية الأحزاب التي أجمع عليها في لحظة، ثم نفض يده منها في النهاية.

سقطة «العدالة والتنمية» نتيجة حتمية للغرور السياسي الذي اعترف به «الاتحاد الاشتراكي» في 2007. كيف يمكن لحزب تاريخي في الوطنية والديمقراطية، قدم شهداء، وتضحيات جسيمة، وكان الشارع المغربي برمته يتعاطف معه أن ينتهي تلك النهاية؟ إنها الصورة نفسها التي وقعت مع «العدالة والتنمية». كيف يمكن لحزب رأه الشعب بديلا عن الأحزاب التاريخية أن يفقد كل الرصيد الذي أمده به الشعب دفعة واحدة، ويجعله وكأنه حزب في بداية ظهوره؟

تتعدد التفسيرات والتأويلات حول ما وقع لـ«الاتحاد الاشتراكي»، سابقا، و«العدالة والتنمية» لاحقا. لكني أطمئن إلى تفسير أراه ملائما: إن أي حزب، أو طائفة، أو عصبية، عندما تتوفر لدى أي منهم جماهيرية تتكون في متخيله السياسي، وهو يعمل من أجل الوصول إلى السلطة، صورة الحاكم الذي يريد أن يتقاسمها معه، أو يحل محله. وأختصر صورة ذلك المتخيل في «الرفاهية» التي توفرها السلطة، لا في الصعوبات التي تواجهه في تدبير الشأن العام بالصورة التي تحقق الرفاه للشعب أو للوطن. وأضرب لذلك مثال الموحدين الذي جاؤوا بعد المرابطين. شكلوا جميعا إمبراطورية، ولم يكن الموحدون سوى صورة عن المرابطين، فانهارت الإمبراطورية في مدة وجيزة بسبب الصراع على السلطة داخلها.

إن البحث عن الرفاهية الخاصة لدى كل من يصل إلى السلطة من الأحزاب، ونسيان الوضعية التي كان عليها، وعدم القدرة على التمييز بين الحلم والواقع، والارتياح إلى وهم أن السلطة التي وصل إليه يستحقها دون غيره، وهو خالد فيها، لا يمكن لكل ذلك إلا أن يولد الإحساس بالغطمة والتضخم فتبدأ الصراعات الداخلية والانقسامات والتحالفات، مما يؤدي إلى بداية التفكك التي تؤدي إلى النهاية المحتومة.

قد يقول قائل إن الدولة العميقة مسؤولة عن مصائر مثل هذه الأحزاب، وهي التي تعطيها الفرصة للوصول إلى السلطة ثم تقوم بسحبها منها في زمن آخر. إن هذه الدولة موجودة قبل ظهور هذه الأحزاب، وعليها أن تحافظ على التوازن الاجتماعي، وهي بذلك تمارس الصراع، تماما كما تمارسه الأحزاب. لقد قال عبد الرحيم بو عبيد معارضا قرارات نيروبي التي قبلها الحسن الثاني حول الصحراء المغربية: السجن أحب إلي من ألا أقول رأيي في قضية مصيرية. ودخل السجن ستة نافذة مع ثلاثة من أعضاء المكتب السياسي لحزبه. لماذا لا يستقيل رئيس الحكومة حين يرى أن صلاحياته محدودة، وأن الدولة العميقة تحول بينه وبين تصريف برنامجه؟ إنه التلذذ بـ«رفاهية» السلطة، وطلب المزيد من الامتيازات المادية والتقاعدات المريحة.

مرض السلطة لدى الأحزاب هو الذي أدى إلى فقدان الثقة فيها. وهو الذي يؤكد العزوف عن الانتماء السياسي. حين نرى أداء «العدالة والتنمية»، خلال عقد من الزمن، ونتساءل ماذا حقق للشعب الذي صوت عليه؟ لا نجد جوابا أحسن من العقاب الانتخابي. لكننا في المقابل حين نرى التطورات التي عرفها المغرب على مستوى البنيات التحتية خلال العقد نفسه، وعلى مستوى ما وقع في مواجهة الجائحة، وما حققته الدبلوماسية المغربية من إنجازات ظلت قذى في أعين أعداء الشعب المغربي وقضيته الوطنية التي أدى الكثير من التضحيات في سبيلها، ونتساءل عن التنمية المستدامة، والنموذج التنموي الجديد، وقس على ذلك من كان وراءها؟ وما موقع الأحزاب في كل هذه المنجزات؟

إن الأحزاب التي لا تملك قاعدة شعبية تستند إليها، ولا تصور لديها عن الدولة، وعن ضرورات تطوير المجتمع، وتكتفي بالشعارات الرنانة، لا يمكنها إلا أن تعلن فشل الخطاب السياسي الذي تنتجه، وبذلك تتسع الهوة بين الشعب والحزب، وبين الحزب والدولة.

نتائج الانتخابات الجديدة، بداية تحول نريده أن يكون في مستوى تطلعات الشعب، وهو يواجه، داخليا، مشاكل اجتماعية متراكمة، وخارجيا أعداء حقيقيين.

كاتب من المغرب

«أمل الصغيرة» في الفاتيكان

«أمل الصغيرة» دمية عملاقة يبلغ طولها 3.5 مترات تمثل لاجئة سورية ستتجول في أوروبا كجزء من مبادرة فنية، ضمن مشروع يسمى «المسيرة» يهدف إلى لفت الانتباه إلى تجربة اللاجئين من خلال سلك طريق مماثل للطريق الذي سلكه بعض السوريين الذين فروا من الحرب في بلادهم.

وستقطع «أمل» مسافة 8 آلاف كيلومتر دعما للاجئين. وخلال رحلتها، ستقوم بالبحث عن أمها التي تقطعت بها السبل.

انطلقت «أمل» الثلاثاء الماضي من مدينة غازي عنتاب التركية. وخلال الشهرين المقبلين، سوف تسافر إلى ثماني دولة أوروبية.

هذا المشروع هو محاولة من قبل فرقة المسرح البريطانية «فرصة جيدة» للفت الانتباه إلى مشاكل اللاجئين التي تم نسيانها خلال جائحة فيروس كورونا.

أداب وفنون

تقوم مقام جهاز تصوير هائل بالأبعاد الثلاثة: لغة الشعر والشعراء

عبدالواحد لؤلؤة

لدى الإقبال على قراءة الشعر يتوقّع المرء أن يقرأ لغةً هانئةً رقيقةً، وجميلةً قبل كل شيء. لكن استعراض أمثلة من الشعر قديمه وحديثه تُبيّن أن الشاعرَ إنسانٌ، قبل كل شيء، قد يَستحسنُ أو يَستقبحُ، أو يغضبُ أو يثور، ويظهر هذا كلّه في شعره، في بعض الأحيان.

ولنبدأ بمثال من شعراء الجاهلية. فهذا الحُطيئة شاعرٌ هجّاء لم يَسلم من هجائه حتى والداه، وقد سبق أن هجا نفسه فقال:

أبَتْ شفتايَ اليومَ إلاّ تكلُّما/ بهَجوٍ فما أدري لمن أنا قائلُه

أرى لِيَ وجهاً قبَّح الله خَلقَهُ/ فقُبِّحتَ من وجهٍ وقُبِّح حامِلُه.

أي نوع من المرآة كان الحطيئة ينظر فيها؟ فاللغة التي يستعملها «رائعةٌ في قُبحها» إن جاز القول. وقد أدرك الحطيئة الإسلام لكنه لَم يُسلم حتى عهد أبي بكر. غير أنّ مثالاً آخر من شعر الحطيئة يكشف عن لغةٍ أخرى رائعةٍ في صُورها إذ تُقدّم المديح والهجاء في بيت واحد رَفَع من سُمعة قبيلة «بنو أنف الناقة» بين القبائل العربية، وحطّ من قدر غيرهم من القبائل، ولا ندري ما الذي دفع الشاعر إلى ذلك:

قَومٌ هم الأنفُ والأذنابُ دونَهمُ/ فمن يساوي بأنف الناقةِ الذَنَبا؟!

أيّة مقابلة هذه وأيّة لغة هذه التي تستطيع أن ترفعَ مَنزلة قبيلةً بين القبائل، وأي نوع من القِرى قدّموا للشاعر فنطّق بهذه الصورة، بهذه اللغة العجيبة؟!

مثال آخر من الشعر الجاهلي للأعشى (ت سنة 570) في مديح «المُحلّق» جَعل منه مثالاً في الكَرَم، لأن النار التي توقد في الليل أمام خيمة دليلٌ على استعداد أهلها لاستقبال الضيوف، وهذه صورة النار أمام خيمة المُحلّق:

تُشَبّ لمَقرورَين يَصطَليانِها/ وباتَ على النارِ النّدى والمُحَلَّقُ

وهذا ما يجعل الندى، أي الكَرَم، والمُحلّق صنوان لا يفترقان: صورة الندى هي صورة المُحلّق، فكيف تكون اللغة على هذا القدر من التصوير الحيّ!

وعلى الجانب الآخر ثمة أمثلةٌ من الهجاء لا تقصّر لغة الشاعر في رَفدها بأبشع أنواع الإقذاع. من ذلك رجزٌ ينسب إلى لبيد وقد وجّد الربيعَ بن زياد عند النعمان، وكان لبيدٌ يكره الربيعَ فبادَر النُعمانَ بقوله: مهلاً أبيتَ اللعنَ لا تأكل مَعه... لأنهم كانوا يتناولون الطعام بأيديهم و من القصعة الواحدة في الغالب، ويَدُ الربيع وأصابعُه قذرة، كما يقول لبيد، فيجب على النعمان ألا يَاكل مع الربيع. وبقية الرجَز من القباحة ما لا يمكن ذكره.

وهجاء المتنبّي لكافور الإخشيدي قد بلغ من الشهرة ما يقارب من شهرة مدائحه للأمير الحمداني. وربما كان أشهر أمثلة الهجاء وصف كافور الإخشيدي:

من علّم الأسودَ المثقوبُ مِشفَرُه/ أقومُه البيض أم لأمُ

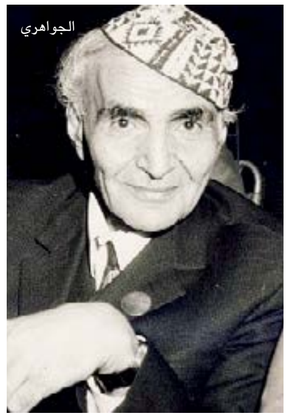
الجواهري

آباؤه الصيدُ؟ أم أذنُه بيدِ النخّاس داميةً/ أم قدرُه وهو بالفلسين مَردودُ؟

وفي هجاء رعيّة الإخشيدي جميعاً نذكر الهجاء المؤلم:

أغايةُ الدّين أن تُحفوا شواربَكم/ يا أمّةً ضَحِكت من جهلها الأممُ!

والبلاغة المُحيّرة هنا: هل الفاعل الأمم هي التي ضَحكت من جهل الأمّة التي يحكمها كافور، أم أن الأمّة ضَحِكت لأنها جاهلة؟ ومثل ذلك قوله:

وجاهلٍ غَرّه من جَهله ضَحكي/ حتى أتَتهُ يَدٌ فَرّاسةٌ وفَمُ..

إلى جانب مديح المتنبي لسيف الدولة الحمداني، لم يُقَصّر الشاعر في مدح نفسه، بمبالغة قد يشفع لها قليلاً هذا الأسلوب الجزل الذي لا يُعادله أسلوب:

أيّ عظيم اتّقي/ أيّ مكانٍ أرتقي/ وكلّما قد خَلَق الله وما لم يَخلق/ مُحتقَرٌ في نظَري/ كشعرةٍ في مَفرِقي.

هذا بالإضافة إلى بيته المشهور:

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدَبي/ وأسمَعَت كلماتي من به صَمَمُ.

قد يقول قائلٌ إن هذه نرجسيةٌ مُفرطة. ولكن الذي يعني القارئَ هنا هو هذه الدقّة في الوصف وتحديد المشاعر مما يجعل اللغة تقوم مقام جهاز تصوير هائل بالأبعاد الثلاثة.

ويبلغ الهجاء عند المتنبّي حدّ الإقذاع البذيء في «ضبّة» وهو الهجاء الذي تسبب في مقتله:

ما أنصف القومُ ضبّةَ/ وأمّه الطُرطبّة..... فكيف لشاعر يمدح الأمير الحمداني بأرفع وأجمل والأكثر تهذيباً من الكلام يمكن أن يهجوا مرّءاً نكِرةً مثل «ضَبة» وبلغة دقيقةً مُعبِّرة لا تطاولها لغة!

ومَن المعاصرين يبرز الجواهري مُخلّقاً في المديح بلغة لا نكاد نجد ما يقترب منها بلاغةً وامتلاءً بالتضمينات التاريخية والثقافية. ومن الصعب اختيار أمثلة من مدائح الجواهري، ولو أن بعض الحسّاد يصفون مَدائحَه بالتقرّب والتزلّف من الممدوح. ولكن لا يُعرف عن الجواهري أنه مَدَح طلباً لنوال، فمن أوائل مدائحه المشهورة، وكان في مركز مُهمّ في العهد الملكي في العراق، قصيدته في عيد ميلاد فيصل الثاني الملك الشاب:

تعممي تبرنطي/ تعقلي تسدري
تزيدي تزيدي / تعنزي تشمري
في زمن الذرّ إلى/ بداوة تقهقري...

وأذكر أني في آخر مره اجتمعت فيها مع الجواهري سألته لماذا لا توجد هذه القصيدة في ديونه، فقال لان بعض الناس قد أساءوا التفسير فأردت للقصيدة ان تنسى. لكن الأمير عبد الاله كان يلح علي كلما اجتمعنا ان أقراها له، أنا أقرأ شيئا منها لك...

ولا يمكن الحديث عن لغه الشعراء، والمعاصرين منهم بخاصة، من دون الحديث عن لغة الشاعر العراقي المعاصر مظفر النوّاب، الذي اشتُهر في أوائل ستينات القرن الماضي، وذلك بأشعاره باللغة الدارجة العراقية التي تتناول موضوعات سياسية عن أحوال العراق المعاصر. ولكن الأشهَر من ذلك هي قصائده الرقيقة الأسرة عمن موضوعات الحب. وكانت قصيدته بعنوان «للريل وحَمَد» قد أخذت الناس بالنواصي والأقدام، وانقلبت إلى أغنية تستثير كثيراً من العواطف والأحزان. إلى جانب قصائده في الحب، مثل «أميرة» اشتُهرت قصائده مثل «المسلخ الدولي»و «وتريّات ليليّة: يا قاتلتي» وفي جميع قصائده العاطفية والسياسية نقرأ لغةً مباشرةً تخلو من المحسّنات اللفظية والبلاغية، وتتميّز بالصراحة الجارحة و«البذاءة»، وهي تهمةٌ أجاب عنها الشاعر بأنها صورةٌ لعالمنا البذيء. وسُخريته جارحة، ولكنها مُستساغةٌ عند أغلب القرّاء. ففي عبارة مثل «القدس عروسُ عروبتنا» صدرت عن مسؤول خليجي «لا يعرف الطبخ من البطيخ» كما قال الشاعر، قد استثارت سُخريةً ما بعدها سُخرية، وبقيت تتردّد على الألسنة الشتيمةُ التي أطلقها على أمثال ذلك المسؤول. والظاهرةُ التي تستعصي على كل تفسير نفساني، أو أي شيء انتشار قصائد الشتيمة هذه في بلاد الخليج نفسها وكان الناس لا يجدون ما يتلذّذون به سواها.

المتنبّي

في ذكرى رحيله: مسرح ومسرحة عالم نجيب محفوظ

من العرض المسرحي شقة عن نجيب

القاهرة ـ «القدس العربي»: محمد عبد الرحيم

مرّت منذ أيام ذكرى رحيل نجيب محفوظ (11 كانون الأول/ديسمبر 1911 ـ 30 آب/ أغسطس 2006) والذي يُعد من اكثر الكُتاب المصريين والعرب تأثيراً في الرواية العربية. ولكن، ماذا عن الجانب المسرحي في إنتاج محفوظ الأدبي؟ والأمر هنا يتعلق أولاً بما كتبه محفوظ نفسه من نصوص مسرحية على قلتها، لها سمات خاصة تكاد تجمعها، وثانياً تناول أعمال محفوظ الروائية أو القصصية في عرض مسرحي. وسنحاول الاقتراب من مسرح الرجل، أو الشكل المسرحي الذي تناول أعماله.

المسرح

بداية لم يكتب محفوظ نصوصاً مسرحية ضمّنها إصدارات خاصة بكتاباته المسرحية ـ بخلاف تجربة دار الشروق ـ ولكنها صدرت بين مجموعاته القصصية، مُنحصرة في ثماني مسرحيات قصيرة، أولها عام 1967 وآخرها عام 1979. هذه التواريخ ذات الدلالة طبعت الأسلوب والنهج المسرحي الذي اتبعه محفوظ. ففي عام 1967 صدرت المجموعة القصصية «تحت المظلة» وضمت نصوص «يميت ويحيي، التركة، النجاة، مشروع للمناقشة، والمهمة». وفي عام 1973 أصدر مجموعته «الجريمة» واحتوت نصا مسرحيا وحيدا بعنوان «المطاردة». وفي عام 1979 صدرت مجموعة «الشيطان يعظ» لتضم مسرحيتين، إحداهما تحمل اسم المجموعة، حيث استوحى موضوعها من عالم ألف ليلة وليلة، والثانية بعنوان «الجبل».

لماذا هذا الاتجاه؟

وبخلاف الطابع الحواري الدرامي لهذه النصوص، حاول البعض تفسير اتجاه محفوظ للمسرح، فذكر الناقد عبد الغني داود على سبيل المثال في دراسة حول تصريحات محفوظ في مجلة «الهلال» عام 1970 قائلاً إن محفوظ صرح أنه ليس كاتباً مسرحياً، وأنه لن يُعاود الكتابة للمسرح في المستقبل، وكتب تلك النصوص المسرحية تحت إلحاح اللحظة التاريخية ليواكب الأحداث المتلاحقة بعد هزيمة يونيو67. ويُضيف عبد الغني بأن انعطاف محفوظ إلى مسرح اللا معقول وتقنياته التي وظفها في تلك النصوص هي في الحقيقة تختلف عن هذا المسرح لاعتماده كلية على الحوار، بينما هذا الحوار يُهمّشه مسرح العبث، ويتقلص فيه إلى مجرد ثرثرة. فمفهوم العبث للوجود هو الأهم، وليس كتابة العبث ذاته هو المغزى (راجع هدى توفيق. الحوار المتمدن. 15 حزيران/يونيو 2015)

ويرى الشاعر والناقد جرجس شكري أن مسرح العبث كان الشكل الأمثل للهزيمة، كان الإحساس الصادق والحقيقي للجميع بعبثية كل شيء، وبالتالي لا بد من التعبير عن هذه اللحظة بما يناسبها، وهو مسرح العبث الذي يعبّر عن إحساس بالصدمة نتجة لغياب القيمة وفقدان اليقين، وغياب الأسس التي تقول إن للعالم معنى وأن الحقيقة ثابتة وراسخة، فلا معنى، ولا حقيقة ولا رسوخ، وأن الأعمال المُحكمة الصنع وليدة المعتقدات الواضحة المطمئنة، والقناعات الراسخة، وهذا ما سقط ولو بشكل مؤقت بعد الهزيمة، فكتب محفوظ نصوصاً تعبّر عن هذه المرحلة، نصوصاً تهزأ بجميع المعايير ليس فقط الفكرية بل والفنية، وتسخر أيضاً من تقنيات الكتابة الراسخة. (راجع جرجس شكري. الإذاعة والتلفزيون 11 آب/أغسطس 2020).

المسرحة

على الجانب الآخر نجد العديد من روايات محفوظ الشهيرة وبعضا من قصصه تحولت إلى المسرح، حتى أن بعض هذه الأعمال تم تقديمه عدة مرّات، فرواية «زقاق المدق» تم عرضها عام 1958 من إعداد أمينة الصاوي وإخراج كمال يس، وأداء فاطمة رشدي، وكمال يس، ومحمد رضا، وعبد المنعم مدبولي، وسهير المرشدي. وأُعيد تقديمها مرّة أخرى في الثمانينيات من إخراج حسن عبد السلام، وأداء معالي زايد، وصلاح السعدني، وسيد زيان. ثم مسرحية «بين القصرين» ـ أول أجزاء الثلاثية ـ من إعداد أمينة الصاوي وإخراج صلاح منصور، أداء، محمد أباظة، وفاطمة رشدي، وآمال زايد، وميمي جمال. وتأتي أشهر هذه الروايات تقديما على المسرح «بداية ونهاية» وقد تم تقديمها ثلاث مرّات، أولها عام 0691 من إعداد أنور فتح الله، وإخراج عبد الرحيم الزرقاني، ثم أعيد عرضها عام 6791 بإعداد أحمد عبد المعطي، وإخراج فتحي عبد الحكيم، ثم عرضت للمرّة الثالثة عام 6891 اعتماداً على إعداد أنور فتح الله وأخرجها عبد الغفار عودة، وضمت العديد من فناني السينما، فريد شوقي، ومحمود يس، وكريمة مختار، وحسين فهمي، ويسرا، وشهيرة، وأبو بكر عزت، وفاروق الفيشاوي، ونجوى فؤاد. وللأسف لم تنجح كالعرضين السابقين، ويُقال إن إيراداتها ذهبت للحكومة من أجل سداد ديون مصر! ثم توالت العروض المسرحية لأعمال محفوظ، ومنها «قصر الشوق» و«اللص والكلاب» 1691 و«قهوة التوتة» ـ عن قصة الخوف ـ و«بلاغ كاذب» 2691 و«خان الخليلي» 3691 و«همس الجنون» 4691 و«ميرامار» 9691 و«القاهرة 08 » ـ عن رواية يوم قُتل الزعيم ـ عام 5891 و«قسمتي ونصيبي» و«حارة العشاق» 6891 و«ثرثرة09» عن رواية «ثرثرة فوق النيل» عام 0991.

الألفية الجديدة

ولم تنضب أعمال نجيب محفوظ أو تبتعد عن تناولها مسرحياً في الألفية الجديدة، فتم تقديم عدة روايات أو أعمال مسرحية تستوحي شخوص هذه الروايات، حاول مُعدّوها تأويل هذه العوالم وأصحابها، ولنتوقف عند عرضين قُدّما في الأعوام القليلة الماضية، أولهما «شقة عم نجيب» تأليف سامح مهران وإخراج جلال عثمان، إنتاج عام 2018. وهنا يتم استحضار شخصيات متنوعة من أعمال نجيب محفوظ، تمثل أغلبيتها فساداً اجتماعياً، وبالتالي تصبح كالأشباح داخل شقة يسكنها زوجان بالمصادفة، ليتضح أنها شقة نجيب محفوظ، وكل من هؤلاء الشخوص يحاول وضع الزوجين في اختبار أخلاقي، سي السيد، وطلبة مرزوق، وريري، ومحجوب عبد الدايم وعلي طه. وما بين قواد كل العصور ـ الشخصية الأقرب لروح النص ـ والثوري الحالم، المحبوس داخل إطار صورة معلقة على الحائط، تتم محاولات جذب سعدية وعباس إلى عالم منهم. ولكن تبدو الشخصيات أقرب شكلاً ونمطاً لما تم تشكيله من خلال السينما، ومعروف تماماً لكل مَن اطلع على هذه الشخصيات في النص الروائي الفارق الشاسع بينها وبين وجودها من خلال فيلم سينمائي. ويبدو أن الكاتب استسهل هذه الشخصيات وساعد على تنميطها كما ترسخت في وعي المشاهد، لا القارئ.

أما المثال الثاني فكان العرض المسرحي «أفراح القبة» إعداد وإخراج يوسف المنصور، إنتاج عام 2020. وقد كتب محفوظ الرواية عام 1981 لتكشف عن فترة ضالة عاشتها مصر ولم تزل تحيا في ظلها. وكعادة كتابات الرجل تأتي الأحداث والتحولات السياسية الحادة منعكسة على الشخوص في محيطها الاجتماعي والنفسي، وهي المسيطرة والمتحكمة تماماً بمصائر أصحاب الحكاية. حاول العرض تجسيد الحالات النفسية للشخصيات، باحثاً عن مبررات لتصرفاتها، هذه المبررات التي تظهر عندما يتم عرض المسرحية كما كتبها مؤلفها ـ عباس ـ فكان اعتراض الشخصيات عما يدور على الخشبة، فالأب والأم يجلسان الآن بين الجمهور، ليُشاهدا إنجاز ابنهما المؤلف، إلا أن كل منهما يعترض على ما يحدث، ويصعد ليحكي الحكاية من وجهة نظره، معللاً ومفسراً سبب سلوكه المشين الذي أذاعه عباس على الملأ، هذا يعمل العرض على فكرة كسر الإيهام ـ كسر نسبي ـ ليذكّر الجمهور بأن ما يحدث عبارة عن عرض مسرحي، لكن الحقيقة ـ النسبية بدورها ـ غير ذلك. فالأمر لا يُعد تخاريف وادعاءات مؤلف موتور لمقتل زوجته.

الأزمة الكبرى في العرض رغم تناغم أداء الممثلين والإضاءة والديكور، وهو أمر يُحسب لمخرج العرض لقدرته على توظيف مثل هذه العناصر، هو نهاية المسرحية، والتي جعلها محفوظ مفتوحة من خلال قاتل غير معروف، ليأتي العرض المسرحي ويجعل من (سرحان الهلالي) ـ نموذج عصر الانفتاح ـ هو صاحب اللعبة بالكامل، وكأنه إله الشر الأوحد!

وأخيراً وليس آخراً، ومنذ أيام تم تقديم العرض المسرحي «زقاق المدق» على مسرح محمد عبد الوهاب بالاسكندرية، وفي شكل كوميديا استعراضية.

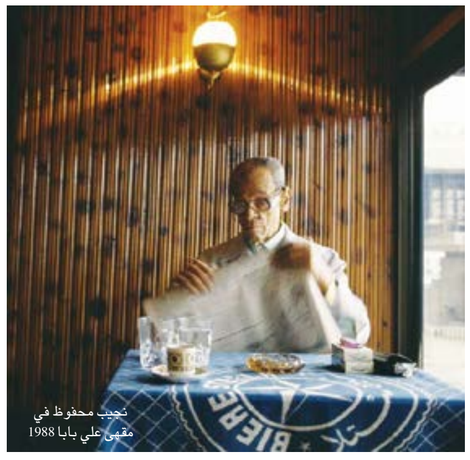
نجيب محفوظ في مقهى علي بابا 1988

تحقيقات

صراع روسي صيني غربي على تقسيم ثروات أفغانستان وفرص الاستفادة من موارد البلد الذي مزقته الحروب

الخطوط الجوية القطرية في مطار كابول

الدوحة ـ«القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

تسابق الدول الزمن لاستغلال الفرص الجديدة في أفغانستان بعد انتهاء الاحتلال ومغادرة آخر جندي أجنبي كابول، حيث وضعت بعضها فعلاً يدها على الثروات التي ترغب في الاستفادة منها.

في حين تجد أوروبا والولايات المتحدة نفسها رهينة مواقف متضاربة، تجعلها تبتعد أكثر عن كعكعة أفغانستان، وهي بحاجة حسب محللين لاتخاذ قرارات سريعة حيال التطورات التي تشهدها كابول، والفرص الاقتصادية المتاحة لها، والاختيار بين الجلوس ومشاهدة بقية الدول تتقاسم النفوذ والثروات الأفغانية، أو التحرك سريعاً واللحاق بالركب.

امتلاك أفغانستان ثروات طبيعية هامة، على غرار النحاس والرخام والأحجار الكريمة، ومعادن أخرى يمكن استغلالها لأغراض تكنولوجية، يجدد صراعات القوى، وتعود معها التحالفات القديمة والمتجددة.

وترى الباحثة مارغاريتا أريدونداس، في تقرير نشرته صحيفة «أتلايار» الإسبانية، إن الأرض الأفغانية تقبع تحتها موارد طبيعية ذات قيمة عالية جداً، مثل الحديد والنحاس والكروم والزنك والرصاص والرخام.

وكشف علماء الجيولوجيا، والعسكريين الأمريكيين في العام 2010 أن قيمة هذه الثروات الأفغانية يمكن أن تصل إلى تريليون دولار.

كما قدر تقرير حكومي أفغاني آخر صدر في العام 2017 أن قيمة الثروات المعدنية، بما فيها الطاقة الأحفورية، تصل إلى 3 تريليونات دولار. وفي 2010 قال الرئيس الأسبق حامد كرزاي «إن بلدنا يمكن أن يصبح أغنى إذا ساعدتمونا على استغلال الثروات».

موقع استراتيجي

تتمتع أفغانستان بميزة اقتصادية وجيوسياسية كبيرة، وهو ما سيجعل حركة طالبان بعد سيطرتها الثانية على السلطة في البلاد، محل اهتمام الدول التي تتطلع للاستثمار في هذا البلد.

الصين المعروف عنها تخطيطها الاستراتيجي لتتبع أي خيط يقودها لتحقيق المكاسب، تعد الدولة التي تصنع نصف البضائع الصناعية في العالم، فهي تعمل على تأجيج الطلب العالمي على هذه السلع.

ومن المرجح أن تقود بكين التي تعد حالياً أكبر مستثمر أجنبي في أفغانستان، السباق لمساعدة أفغانستان في بناء نظام تعدين فعال لتلبية احتياجاتها الكبيرة من المعادن.

وقال مايكل تانشوم زميل بارز في المعهد النمساوي للسياسة الأمنية الأوروبية، في تصريح صحافي، إن سيطرة طالبان على أفغانستان «تزامنت مع نشوب أزمة في المعروض من هذه المعادن في المستقبل المنظور فيما تحتاج الصين إلى هذه المعادن».

وأضاف «الصين بدأت تخطو خطواتها داخل أفغانستان من أجل تعدين هذه المعادن».

فشركة ميتالورجيكال الصينية التي تعد واحدة من أكبر شركات التعدين في آسيا، حصلت بالفعل على عقد انتفاع لمدة 30 عاماً لتعدين النحاس في مقاطعة لوغار القاحلة في أفغانستان.

الصين وطريق الحرير

سلط الإعلام الصيني الرسمي الضوء على الاستفادة التي يمكن أن تحققها أفغانستان من مبادرة الحزام والطريق الضخمة التي أطلقتها الصين، وهي مشروع ضخم مثير للجدل للتجارة والبنية التحتية، يربط آسيا بأوروبا من خلال سلسلة من الموانئ وخطوط السكك الحديدية والطرق.

ويكين تتعامل بحذر مع التطورات المستقبلية في جارتها الغربية، وتستبق المخاوف الإقليمية إذ قد تكون شبكة خطوط الأنابيب التي تزود الصين بالكثير من النفط والغاز، في دائرة الخطر في حال امتداد أعمال العنف إلى دول آسيا الوسطى الأخرى.

وتخشى الصين أيضاً، من أن تصبح أفغانستان ملجأ العناصر التي تصفها بكين بالمتشددة والانفصالية من أقلية الإيغور المسلمة، فضلاً عن قلق بكين من تقويض مصالحها الاقتصادية جراء استمرار العنف داخل أفغانستان.

وفي تعليقه على هذا الأمر، أوضح تانشوم – وهو أيضا زميل زائر في معهد الشرق الأوسط المعروف اختصارا بـ MEI - أن عمليات التعدين الخاصة بشركة ميتالورجيكال الصينية «قد عانت كثيرا جراء حالة عدم الاستقرار في أفغانستان بسبب القتال بين طالبان والحكومة الأفغانية السابقة».

وأضاف تانشوم «إذا استطاعت طالبان أن توفر للصين ظروف عمل مستقرة، ففي هذه الحالة يمكن أن تدر عمليات تعدين النحاس وحدها عائدات تقدر بعشرات المليارات من الدولارات، وهو الأمر الذي سيحفز تطوير عمليات التعدين الخاصة بالمعادن الأخرى في أفغانستان». ويعتبر الحديث عن هذه المليارات محفزا لحكام أفغانستان المقبلين، في بلد يوصف شعبه أنه الأفقر. ففي العام 2020 أكدت التقارير أن 90 في المئة من الشعب الأفغاني يعيشون تحت خط الفقر. وفي تقرير حديث صدر عن البنك الدولي، تم توصيف الاقتصاد الأفغاني بأنه «هش ويعتمد على المساعدات».

الهند تترقب وتتسلل

لا ترغب نيودلهي أن تبقى بعيدة عن زلزال التحولات التي تشهدها أفغانستان، خصوصاً وهي تراقب تحركات القوى المنافسة والمناوئة لها.

وأشار تقرير سابق لـ«فورين بوليسي» أن إخبارية هندية للمخابرات الأفغانية، قادت سابقاً إلى اعتقال مواطنين صينيين في كابول، نهاية العام الماضي، في عملية شملت ضبط كميات من الأسلحة والمخدرات، واتهامات لباكستان بالتورط.

ووفق التقرير، فإن ما حدث، وإن لم ينته بإدانة رعايا بكين، فإنه يظهر قوة نفوذ الاستخبارات الهندية في البلد المضطرب، من جهة، وخشية نيودلهي من منافسة صينية، من جهة ثانية.

ونقل «ذا ديبلومات» عن عمر صمد، السفير الأفغاني السابق لدى فرنسا وكندا، قوله: «مع استثناءات قليلة، كانت أفغانستان تاريخياً نقطة ساخنة جيوسياسية للتنافس والتوتر بين القوى العالمية والإقليمية».

وأضاف: «اتخذت هذه الخصومات أشكالاً جديدة في الآونة الأخيرة، مما أدى إلى اشتداد الصراع الأفغاني وزيادة تعقيد البحث عن نتيجة سلمية».

باكستان نفوذ متجذر

باكستان هي الأخرى قد تشرع في الاستثمار في مناجم أفغانستان، خاصة أنها تقيم علاقات مع طالبان منذ العام 1996 وقد حافظت على العلاقات معها حتى بعد الغزو الأمريكي. وتعد أفغانستان حديقة خلفية لإسلام أباد، وهي استضافت على مدى سنوات ملايين اللاجئين، من بينهم قادة حركة طالبان. ولسنوات طويلة دعمت باكستان حركة طالبان، لأسباب قبلية وأيديولوجية وأمنية، رغم تحالفها مع الولايات المتحدة.

ومن المتوقع بحسب خبراء أن تستفيد باكستان من علاقاتها مع طالبان في ضمان تأمين طرق الحرير البرية عبر أفغانستان المتجهة إلى ميناء جوادر. بالإضافة إلى عدة موانئ أخرى قد يتم تفعيلها أكثر، مثل كيتي بندر، وبورت قاسم، وكارتشي بورت.

أما في المسألة الكشميرية، فمن المتوقع أن تتلقى باكستان دعماً من حكومة طالبان، خاصة إذا تم اتخاذ خطوات في هذا الملف عن طريق باكستان وتركيا معاً. وحالياً تستفيد إسلام أباد من مرور الطائرات التجارية التي نجحت قطر في إعادة تشغيل مطار كابول، عبر أجوائها الإقليمية، وهو ما سيدر عليها مداخيل إضافية، تعزز من حضورها أكثر في خريطة النفوذ.

روسيا وطموح استعادة نفوذها

تتحرك روسيا لاستعادة نفوذها القديم في أفغانستان، وهي التي خاضت حرباً شرسة لعقد من الزمن، خرجت مهزومة بسبب المقاومة، وهي لم تنس بعد تلك الخسارة. وموسكو رغم تصنيفها لطالبان حركة إرهابية منذ العام 2003 نظمت محادثات بين الحركة والقوى المعارضة لها.

ونقل تحليل جديد، أن فلاديمير دزاباروف، نائب رئيس لجنة العلاقات الدولية في الكرملين، صرح أن بلده سينتظر قليلاً قبل الاعتراف بحكم طالبان، وإن كانت روسيا أعلنت أنها ستوفد سفراء لتمثيلها في مراسيم أداء حكومة طالبان اليمين. وقال «إذا رأينا أنهم يضمنون الأمن وتحسين حياة المواطنين عندها سيكون هناك تطبيع علاقات».

وكانت موسكو خلال فترة الاتحاد السوفييتي شرعت فعلياً في استخراج الكروم واليورانيوم وأحجار الزمرد والهيدروكربون. كما كانت تحصل على النفط الأفغاني خلال ستينيات القرن الماضي.

إيران عينها على الشيعة وبوصلتها حصتها من النفوذ

تقصر التحاليل الضيقة نفوذ إيران وحساباتها في أقلية الهزارة الشيعية، لكن التحليل الدقيق الذي يغوص عميقاً في ما بعد هذه الجزئية، يفهم أن إيران ترى أبعد من هذه الزاوية.

تدرك إيران جيداً أن الهزارة القريبين منها عقدياً كونهم من الشيعة في أمان، ولن يتعرضوا لمضايقات، وهو ما سمعته بشكل مباشر من طالبان وحتى بعض الوسطاء الذين شددوا على أن المرحلة المقبلة في أفغانستان لن تشهد توترات عقدية، بقدر ما تكون هناك منافسة على النفوذ.

لكن بحسب تقارير استخباراتية، فإن إيران تقتحم الملعب الأفغانستاني من بوابات أخرى، غير الهزارة، ولديها مصالح وحسابات واتصالات مع مكونات أفغانية عدة، تضمن من خلالها أن لا تجد نفسها على الهامش.

ويستدل الخبراء بالتصريحات الأخيرة الصادرة من طهران والتي هددت بعض الأطراف (القصد باكستان) بكونها تدعم طالبان لاستعادة ولاية بانشير في صراعها مع أحمد مسعود نجل الزعيم السياسي السابق شاه مسعود.

وتسرب إيران رسائل أنها لن تبقى مكتوفة الأيدي في حال وجدت منافسيها يقتحمون حديقتها الخلفية (أفغانستان) بشكل مباشر.

وترى إيران أنها تملك أوراقاً رابحة يمكنها من خلالها قلب الأوراق، وليس أقلها مقاتلون شيعة كانوا يتدربون في

أراضيها، وهي حتى الآن تنأى عن السماح لهم بعبور الحدود الفاصلة بينها وبين أفغانستان.

حسابات تبعد الدول الغربية

وأمام هذا التسابق نحو الفرص الجديدة في أفغانستان، سيتوجب على أوروبا والولايات المتحدة، اتخاذ قرارات سريعة حيال التطورات التي تشهدها كابول، والفرص الاقتصادية المتاحة لها، والاختيار بين الجلوس ومشاهدة بقية الدول تقتسم كعكة الثروات الأفغانية، أو إقامة علاقات اقتصادية مع طالبان، مما سيعرضها للانتقاد الشعبي والغضب بشأن التزامها بحقوق الإنسان.

وحتى الآن تجد دول غربية نفسها أسيرة هذه المعادلة الصعبة، بين ادعاء رفض التعامل مع طالبان، على غرار التصريحات الأخيرة للرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون المستفزة للحكام الجدد في أفغانستان، ورؤيتها أرقام الخسائر التي تحتسبها من تأخرها في اقتحام الصراع على ثروات البلد.

الرابحون والخاسرون من عودة طالبان

يكشف خبراء الموقع التحليلي «أسباب» أن الانتصار المذهل لحركة طالبان يكشف أنها القوة الأساسية في البلاد، وأن الواقع الذي فرضته خلال الأسبوع الماضي، سيمثل مستقبل أفغانستان المنظور.

ومن الواضح أن الولايات المتحدة والقوى الغربية، لا ترفض بشكل مبدئي عودة طالبان للحكم، لكنّ موقفهم النهائي من حكم الحركة سيتشكل بناء على برنامج أعمال حكمها الداخلية.

ويشدد خبراء الموقع في تقريرهم الأخير، التأكيد أن صعود طالبان يخدم بصورة عامة، وبنسب متفاوتة، كلاً من الصين، وروسيا، وباكستان، وقطر، وتركيا. فيما يمثل تحدياً كبيرا لإيران، وخسارة مباشرة لكل من الإمارات والهند. ويشددون أنه من المبكر الجزم بأن خسائر هذه الأطراف ستكون طويلة الأمد، في ظل إمكانية أن تسعى وتحديداً طهران، ثم أبو ظبي، لإعادة تعريف علاقاتها مع طالبان، كي تتجنب خسائر إقليمية واسعة. لكن المحصلة العامة أن نفوذ الولايات المتحدة في المنطقة تعرض لهزيمة استراتيجية.

أما عن المستقبل فيرى «أسباب» في تقرير حصلت «القدس العربي» نسخة منه، أن قرار الانسحاب الأمريكي من أفغانستان تضمن إقراراً ضمنياً بقبول وجود طالبان كطرف رئيسي في حكم البلاد. ومن ثم فإن انتصار طالبان الساحق من حيث المبدأ لن يثير عداوة الغرب، خاصة بعد طريقة دخول طالبان كابول والتي تكشف عن نوع من التفاهمات التي جرت مع الولايات المتحدة. ومن ثم ستتشكل سياسة الغرب، خاصة الولايات المتحدة، تجاه حكم طالبان بناء على توجهات طالبان المقبلة المتعلقة بعدة قضايا، تتباين في أهميتها، مثل: مدى التزام طالبان بمنع استخدام أفغانستان كساحة للجماعات المسلحة، ومسألة تشكيل الحكومة المقبلة، والسياسة المحلية تجاه الأقليات والنساء ومسائل الحريات.

بالنسبة لطالبان، سيكون التحدي الأساسي هو الإدارة اليومية للفضاء المعقد في أفغانستان، والتأكيد على أفكارها القومية والإسلامية دون إثارة تهديدات فورية من القوى الكبرى مثل الولايات المتحدة والصين وروسيا.

قطر الوسيط النزيه

ومما لا شك فيه أن دولة قطر تعتبر أبرز الفائزين من صعود طالبان. على مدار السنوات الماضية استطاعت الدوحة كسب ثقة طالبان أكثر من أي طرف خارجي، ووفرت ملاذاً سياسياً لقادة الحركة مكنهم من تحقيق أبرز نصر سياسي، ممثلاً في الاتفاق الموقع مع إدارة ترامب والذي مهد لمشهد الانتصار الحالي.

بجانب أي فرص اقتصادية محتملة لقطر في أفغانستان الجديدة، فإن مكسبها الأساسي يقع في الشرق الأوسط، حيث تعزز موقعها كقوة وساطة محترفة وموثوقة. ذلك أن قطر قد لا تحمل أجندة مصالح تتعلق بآسيا الوسطى مثلاً، لكنّ هذا التطور يعطي الدوحة مزيداً من السمعة السياسية كوسيط ناجح. خاصة بعد أن فشلت منصات أخرى كانت مرشحة للعب هذا الدور، وبعد أن رفضت طالبان نفسها مساعي أطراف أخرى أن تحل محل قطر، بينهم منافسون إقليميون مثل دولة الإمارات.

العلاقة بين طالبان وقطر ستكتسب أهمية إضافية حتى بعد انتصار الحركة، حيث ستلعب قطر دورا مهما في التقريب بين قادة الحركة وباقي الأطراف الأفغانية من خلال إنشاء هيئة مراقبة جديدة برعاية قطرية، معنية بالعملية الانتقالية وتشكيل الحكومة المقبلة.

وما كشفته الساعات التي تلت سيطرة طالبان على الحكم، وتحول الدوحة محجاً لقادة الدول ومسؤوليها، وتأكيدهم جميعاً على الدور المحوري الذي لعبته الدوحة، في تأمين إجلاء الرعايا الأجانب، والمتعاونين مع القوات الدولية، وبعض الأفغان الراغبين في ترك كابول، يعزز من موقعها، ويكرس حقيقة أن قطر هي الوسيط النزيه بين الأطراف، وراعي إحلال السلام الموثوق دولياً.

الحدود الأفغانية مع الباكستان

ميديا

«نفق الحرية» يُشعل شبكات التواصل الاجتماعي: كيف تحرر الأسرى؟

لندن – «القدس العربي»:

أشعلت عملية هروب ستة أسرى فلسطينيين من أحد السجون الإسرائيلية موجة من التفاؤل والجدل في أوساط ملايين العرب وليس الفلسطينيين وحدهم، حيث انشغل المعلقون والنشطاء والمتابعون في رصد تفاصيل العملية التي أدت إلى تحرير الأسرى الستة والذين تمكنوا من الإفلات من سجانيهم الإسرائيليين.

وأطلق الفلسطينيون والعرب على العملية اسم «نفق الحرية» في اشارة إلى النفق الذي نجح الأسرى الستة في حفره من داخل سجن جلبوع الإسرائيلي وتمكنوا بفضله من الفرار ولم يتمكن الاحتلال من اكتشاف أمرهم إلا بعد مرور ساعات على العملية، ما يعني أنهم نجحوا في مغادرة المكان بشكل كامل قبل أن تبدأ القوات الإسرائيلية في البحث عنهم.

وسرعان ما صعد الوسم #نفق_الحرية» على قوائم الأكثر انتشاراً وتداولاً في فلسطين والعالم العربي في أعقاب العملية ولعدة أيام، فيما انشغل الكثير من العرب في التعليق على العملية والتفكير بمضمونها.

وكان الفلسطينيون والعرب ومعهم العالم قد استيقظ يوم الاثنين الماضي على خبر نجاح ستة أسرى فلسطينيين في تحرير أنفسهم من سجن جلبوع الإسرائيلي عبر نفق حفروه سراً من داخل الزنزانة إلى خارج أسوار السجن، وتمكنوا من الانسحاب من المكان بنجاح من دون أن تشعر بهم قوات الاحتلال التي اكتشفت الحادثة بعد ساعات من حدوثها.

وكان المعتقلون الستة في نفس الزنزانة، وأغلبهم من المحكومين بالسجن مدى الحياة، كما أن خمسة من هؤلاء الأسرى المحررين ينتمون لحركة الجهاد الإسلامي بينما ينتمي السادس لحركة فتح، وهو زكريا الزبيدي الذي كان قائداً لكتائب شهداء الأقصى في مخيم جنين خلال انتفاضة الأقصى.

ويصف بعض المعلقين الهروب بأنه «إنجاز» أو «معجزة» بينما شدد آخرون على أن العملية مثلت «ضربة قاضية لهيبة إسرائيل» من الناحية الأمنية والتكنولوجية.

وعلق الصحافي والكاتب الفلسطيني ياسر الزعاترة معلقاً على «تويتر»: «هستيريا في دولة الاحتلال بعد نجاح ستة أسرى فلسطينيين في الهروب من سجن «جلبوع» عبر نفق قاموا بحفره. أربعة منهم محكومون بالمؤبدات.. عملية رائعة؛ أيا تكن النتيجة التالية التي يتحمّل مسؤوليتها، ومسؤولية الوضع برمته؛ من يطاردون المقاومة وحاضنتها، ويتعاونون مع المحتل.. سلام عليهم».

وأضاف الزعاترة في تغريدة ثانية: «بنيض قلوبهم؛ يحرس الفلسطينيون أسراهم الستة الذين انتزعوا حريتهم من بين أنياب الجلاد، فيما تطاردهم عيون القتلة والعملاء. احتضانهم واجب، وخذلانهم جريمة وعار، بل وخيانة أيضا. تلك موقعة رائعة ومبشرة في معركة مريرة مع غزة يقف من خلفهم عالم ظالم، ويتواطأ معهم بعض أبناء جلدتنا».

وغرد الكاتب والباحث الفلسطيني ساري عرابي: «ستة أسرى فلسطينيين يتمكنون من الهروب من سجن جلبوع، بنفق حفروه سرا منذ فترة طويلة. ليست هذه المرة الأولى. وبغض النظر عن الفترة التي قد يتمكنون فيها من البقاء خارج السجن؛ فالمهم أن الإرادة الصلبة تبقى في الفلسطينيين ولا تموت. وإرادة بعضهم تحيي بعضهم. والله غالب على أمره».

وأضاف: «كل الخيال الجامح في أفلام هوليود يتقاصر أمام ملاحق ستة أسرى في واحد من أحصن سجون العالم، في دولة هي في ذاتها حصن مُعسكر بالكامل، وتبيع تقنيات التنصت والتجسس للعالم كله!».

وكتب الوزير الأردني السابق طاهر العدوان معلقاً على العملية عبر حسابه في «تويتر»: «الأبطال الستة الذين انتزعوا حريتهم من سجون الاحتلال يسلطون الضوء على معاناة آلاف الأسرى الذين ذنبهم أنهم طالبوا بالحرية لوطنهم وشعبهم من أبشع وأحقر احتلال. نأمل أن يتمكن أحرار فلسطين من احتضانهم بعيداً عن أعين العدو وجواسيسه ونطالب أن تُفتح لهم الحدود العربية التي قد يصلون اليها».

أما المدير العام السابق لقناة «الجزيرة» الصحافي الأردني ياسر أبو هلالة فعلق قائلاً: «مقابل الجهود الجبارة التي بذلها الأسرى الذين انتزعوا حريتهم ستبذل أجهزة أمن السلطة جهوداً مضادة لاعتقالهم مجدداً، التنسيق الأمني حوّل السلطة إلى مقاول رخيص في خدمة الاحتلال».

وكتب رئيس المكتب الإعلامي في مفوضية التعبئة والتنظيم التابعة لحركة فتح منير الجاغوب: «زكريا الزبيدي التنين.. ينتصر على الصياد، الحرية الكبيرة حلم الحرية والسعي إليها هو حلم الأسرى هو تحد حقيقي للمنظومة الأمنية الإسرائيلية التي تتباهى بأنها الأفضل في العالم، سجن جلبوع السجن الأكثر تعقيداً في منظومتهم الأمنية، ولكن 6 أبطال تمكنوا من كسر هذه المنظومة».

ويقول رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة الكويت الدكتور عبد الله الشايجي إن «كيان الاحتلال ومؤسساته الأمنية والاستخبارية والعسكرية في حالة صدمة وذهول بعد فضيحة فشله؛ بنجاح 6 أسرى فلسطينيين يمضي بعضهم عقوبات مدى الحياة بحفر نفق على مدى سنوات والخروج للحرية من سجن جلبوع شمال فلسطين».

أما الإعلامية القطرية إلهام بدر فقالت في سلسلة تعليقات على «تويتر»: إن «شعب الجبابرة هز الكيان الغاصب في فلسطين، ولعبت بالونات غوة بكرامتهم». وأضافت إن «ملعقة تحدت منظومة الاحتلال الأمنية في سجن جلبوع، حيث سيبقى الإسرائيليون يتساءلون كيف أغفى الفلسطينيون الستة تراب نفق الحرية».

ووصف الإعلامي القطري جابر الحرمي عملية هروب الأسرى من السجن الإسرائيلي بأنها «عملية نوعية» مشيراً إلى أن حفر النفق استمر سنوات.

أما الناشط الإماراتي حمد الشامسي فيقول إن «هذه القصص لم نكن نسمع عنها سوى في الأفلام والمسلسلات» وعلق الشامسي في تغريدة ثانية بكلمتين: «والله رجال».

وغرد الصحافي عمر نزال: «ما لا يقل عن ستة عمليات (انتزاع حرية) للأسرى من سجون الاحتلال منذ عام 1967 وحتى الآن. أولها للأسير محمود الصيفي عام 1969 من سجن رام الله. وأشهرها وأوسعها ما يعرف بالهروب الكبير من سجن غزة عام 1987 حيث تمكن 6 أسرى من انتزاع حريتهم. وآخرها عام 1996 حيث تمكن 2 من الأسرى من انتزاع حريتهم من سجن كفاريونا. والآن بعد 25 عاما عملية أخرى كبرى تتم في سجن جلبوع الأكثر تحصينا».

أما أماني خليفة فكتبت: «فقط الفعل المقاوم عنده قدرة على انتشالنا على المستوى الفردي والجمعي، بالـ2021 مع كل تقنيات المراقبة الصهيونية، منصحى على خبر إنه 6 أسرى انتزعوا حريتهن، حفروا نفق وهربوا من سجن الجلبوع. في إحساس منفكر فقدناه، بس يسعد قلوبكن ويحماكن ع الصبح».

وغرد نور الدين العايدي: «أنا سمعت وقرأت قبل هيك عن قسوة وحصانة وتطور سجن جلبوع والحمد لله عشنا وشفنا نفق محفور فيه، في منتصف رأس الأسطورة، نعيش ونشوف تساقط بقية الأساطير».

أما بلال شلش فكتب عن أحد الأسرى قائلاً: «شيء عابر دمي والبندقية؛ محمد العارضة، يتيم صار مقاتلا صلبا، في الاجتياح الكبير كان بعيدا عن عرينه في جنين، إذ كان معتقلا لدى الأمن الوقائي، جند سجانه لكنه اعتقل في أول أيام الاجتياح، هرب من سجن عوفر بانتحال شخصية وعاد من جديد ليجهز الاستشهادي التالي سجانه السابق».

بينما غردت شذى حسن: «حرفياً من الصبح بس مبتسمة وبضحك مع الكل وحاسة قلبي برقص وجه مبتسم ذو عيون على شكل قلوب هاد الصباح اللي بنحكاله صباح الخيبير.. صباح الخير للمتمردين وللي فرضوا معادلتهم رغم كل اشي من حواليهم كان يحكيلهم مستحيل قلب أحمرقلب أحمر .. يا صباح الحرية بطعم آخر وجه مبتسم ذو عيون على شكل قلوب #أبطال_جلبوع».

يشار إلى أنّ الأسرى الستة الذين تمكنوا من تحرير أنفسهم من سجن جلبوع فجر الاثنين السادس من أيلول/سبتمبر الحالي، هم: محمود عبد الله عارضة (46 عاماً) وهو من عرابة في جنين، ومعتقل منذ عام 1996 ومحكوم مدى الحياة، ومحمد قاسم عارضة (39 عاماً) من عرابة، معتقل منذ عام 2002 ومحكوم مدى الحياة، ويعقوب محمود قادري (49 عاما) من بير الباشا، معتقل منذ عام 2003 ومحكوم مدى الحياة، وأيهم نايف كممجي (35 عاما) من كفردان، معتقل منذ عام 2006 ومحكوم مدى الحياة، وزكريا زبيدي (46 عاماً) من مخيم جنين، ومعتقل منذ عام 2019 ومناضل يعقوب انفيعات (26 عاماً) من يعبد، معتقل منذ عام 2019.

دراسة بريطانية: جيوش إلكترونية روسية تنشر المعلومات المضللة

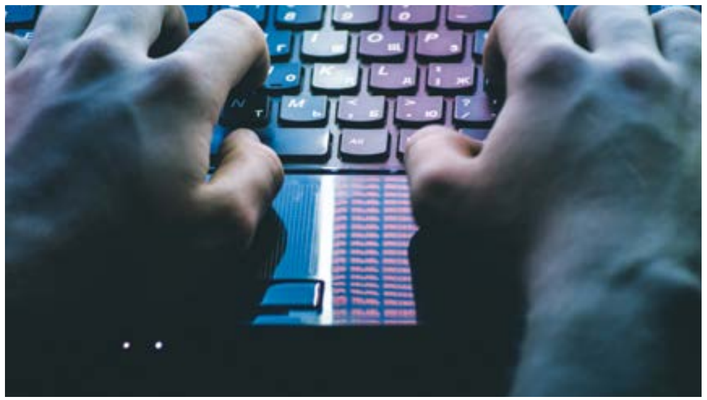

لندن – «القدس العربي»:

كشف بحث نشرته جامعة بريطانية أن المواقع الإخبارية الغربية تواجه تدخلات من جيوش إلكترونية موالية لروسيا لنشر الدعاية والمعلومات المضللة الداعمة للكرملين.

وذكر معهد الجريمة وأمن الأبحاث في جامعة كارديف أنه اكتشف أدلة حول استهداف 32 وسيلة إعلامية رئيسية في 16 دولة غربية من خلال التلاعب بأقسام تعليقات القراء.

وأوضح المعهد أن الوسائل الإعلامية تشمل «ديلي ميل» و«ديلي إكسبرس» و«تايمز» في بريطانيا، و«فوكس نيوز» و«واشنطن بوست» في الولايات المتحدة، وصحيفة «لو فيغارو» الفرنسية ومجلة «دير شبيغل» الألمانية، فضلاً عن صحيفة «لا ستامبا» الإيطالية.

ويقول باحثون إنهم وجدوا 242 قصة نُشرت فيها «تصريحات استفزازية مؤيدة لروسيا أو معادية للغرب» كرد فعل على أخبار تتعلق بروسيا. ومن ثم، استخدمتها مواقع إخبارية ناطقة بالروسية كأساس لأخبار تتحدث عن دعم واسع في الغرب للسياسات الروسية والرئيس فلاديمير بوتين.

وتم البحث في تلك النشاطات عبر الإنترنت أثناء التوترات المستمرة بين روسيا وأوكرانيا في وقت سابق من هذا العام.

لكن المركز أكد أن تلك الممارسات تصاعدت منذ 2018 في ظل ازدياد التوترات بين موسكو والغرب.

وقال مدير المعهد مارتن إينيس إن تلك الاستراتيجية «مهمة» نظرا لتعقيدها ونطاقها واتساعها.

وأضاف: «من خلال السيطرة على أقسام التعليقات الخاصة بوسائل الإعلام الغربية، تمكنوا من تقديم دعايتهم على أنها مؤشر على الرأي السائد».

وأوضح أن «وسائل الإعلام الغربية التي أجرينا تحقيقنا فيها معرضة بشكل خاص لهذا النوع من التلاعب مع عدم وجود تدابير أمنية لمنع أو ردع أو الكشف عن هذا النوع من النشاط. لقد نجحوا بسهولة في تبديل شخصياتهم وهوياتهم، وهو أمر تمكن منه التكنولوجيا بالفعل».

واستخدم الباحثون تقنيات التعرف والكشف بتحليل البيانات، والتي أشارت إلى حملة منظمة ترافقت مع تغيير ملفات تعريف الحسابات المشبوهة بشكل متكرر شخصيتها وموقعها.

وقال وزير الخارجية البريطاني دومينيك راب، الذي تساعد وزارته في تمويل برنامج أبحاث تحليلات الاتصالات مفتوحة المصدر جزئيا في كاراديف برئاسة إينيس، إن لندن وحلفاءها يعملون على مكافحة «متصيدي الكرملين الذين يروجون للأكاذيب». وأضاف أن «هذا التقرير يسلط الضوء على التهديد الذي تتعرض له ديمقراطيتنا بسبب التضليل الروسي المدعوم من الدولة على الإنترنت».

وذكر التقرير أن هناك أدلة على وجود تنسيق بين وسائل الإعلام الروسية المملوكة للدولة، والتي لها تاريخ في نشر المعلومات الخاطئة، والمواقع التي حددتها الاستخبارات الغربية على أن لها صلات بأجهزة الأمن الروسية.

وقال إينيس إنه بالنظر إلى إمكانية التأثير على الرأي العام «من الضروري أن تكون الشركات الإعلامية التي تدير مواقع تشاركية أكثر شفافية حول كيفية معالجة المعلومات المضللة وأن تكون أكثر استباقية في منعها».

28 انتهاكاً ضد الصحافيين الفلسطينيين الشهر الماضي

لندن – «القدس العربي»:

رصد مركز إعلامي فلسطيني 28 انتهاكاً إسرائيلياً بحق الحريات الإعلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة خلال شهر آب/أغسطس الماضي.

وصنّف تقرير للمركز الفلسطيني للتنمية والحريات الإعلامية «مدى» 20 انتهاكاً بأنه «شديد الخطورة» على الحريات الإعلامية وحياة الصحافيين وسلامتهم في الضفة والقطاع.

وقال إن أجهزة الأمن الفلسطينية ارتكبت انتهاكاً واحداً خلال آب/أغسطس، وتمثل باعتقال صحافي بعد استجوابه.

وأكد التقرير أن هناك تراجعاً لافتاً في الانتهاكات الفلسطينية مقارنة بالشهرين الماضيين، حيث سُجل 69 انتهاكا في حزيران/يونيو الماضي، و23 انتهاكا في تموز/يوليو الماضي.

وكانت لجنة دعم الصحافيين قد وثقت في تقرير لها مؤخراً 60 انتهاكا إسرائيليا بحق الحريات الإعلامية والصحافيين.

وأوضحت اللجنة أن انتهاك الاحتلال لحرية العمل الصحافي تمثل في «الاعتداء على الصحافيين ووسائل الإعلام في الأراضي الفلسطينية، بالرصاص الحي والمطاط وقنابل الغاز السام والرش بالمياه العادمة، ومصادرة معدات عملهم الصحافي والاعتقال والمنع من التغطية». وكانت المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا قد دعت مؤخرا إلى «تشكيل محكمة دولية متخصصة في الجرائم المرتكبة ضد الصحافيين، لمحاسبة كل أولئك الذين يعتمدون الاعتداء على الصحافة الحرة كمنهج من اجل تغييب الحقيقة والعبث في وعي الجماهير خدمة لمصالحهم وأجنداتهم الشخصية».

وأكدت المنظمة في بيان لها أن مهزلة العدالة التي يعاني منها الصحافيون لن تنتهي إلا إذا توقف نفاق بعض الدول التي تؤمن بمبادئ الصحافة الحرة وتطبقها، في حين أنها تعقد الصفقات وتمد الجسور مع أنظمة لا تؤمن بهذه المبادئ، بل تقمع الصحافيين وتقتلهم.

احتجاج إلكتروني واسع في الأردن ضد تقييد الحريات الصحافية

لندن – «القدس العربي»:

نظم الصحافيون والإعلاميون والنشطاء في الأردن احتجاجاً إلكترونياً واسعاً الأسبوع الماضي وذلك في سياق التصعيد ضد الأنظمة والتعليمات الجديدة التي تعتزم الحكومة وضعها وتتضمن تقييداً للحريات الصحافية وحق الأردنيين في التعبير عن آرائهم، بما في ذلك رفع الرسوم المالية بعدة أضعاف على المواقع الإلكترونية الإخبارية التي كانت الحكومة قد فرضت ترخيصها منذ عدة سنوات.

والقيود الجديدة التي يقول الصحافيون والنشطاء إنها ستكون مفروضة عليهم ستتم بموجب ثلاثة أنظمة يُنتظر إقرارها من قبل مجلس الوزراء (الحكومة) من دون الرجوع إلى البرلمان، حيث لا تحتاج إلى موافقة مجلسي النواب والأعيان كونها أنظمة تنفيذية تصدر عن الحكومة مباشرة بتنسيب من «هيئة المرئي والمسموع» وهي الجهة صاحبة الاختصاص.

وتتضمن التعديلات المقترحة زيادة رسوم ترخيص المواقع الإلكترونية من 50 إلى 500 دينار (70 ـ 700 دولار) وفرض 2500 دينار (3500 دولار) على منح رخص بث البرامج الإذاعية والتلفزيونية عبر الإنترنت، بالإضافة إلى تعديل ثالث يفرض رسوماً على دور النشر. كذلك تتضمّن التعديلات المقترحة اعتبار البث المباشر الشخصي على شبكات التواصل الاجتماعي، مثل فيسبوك «بثا مرئيا ومسموعا» وهو ما يعني أنه يحتاج إلى الحصول على ترخيص مسبق ورسوم مالية تبلغ 3500 دولار، على أن أي بث غير حاصل على الموافقات الحكومية المسبقة يُعرض صاحبه لعقوبة السجن مدة تتراوح بين عام وخمسة أعوام، أو غرامة مالية تتراوح بين 25 ألف دينار (35 ألف دولار) و100 ألف (140 ألف دولار أمريكي).

وكانت الحكومة قد أجرت حوارات مع نقابة الصحافيين ولجنة تمثل المواقع الإلكترونية الأردنية، وقامت مؤخراً بسحب الأنظمة المقترحة من موقعها الإلكتروني في محاولة للتهدئة، لكن المحادثات لم تصل إلى إقناع الحكومة بالتراجع عن هذه الأنظمة، وهو ما دفع الصحافيين والنشطاء إلى تصعيد الاحتجاج عبر اعتصام وعاصفة إلكترونية ضد هذه التعليمات المقترحة.

وأطلق المحتجون على شبكات التواصل الاجتماعي الوسوم: «#أنقذوا_حرية_التعبير» و«#اسحبوا_أنظمة_الإعلام» و«#أنظمة_الإعلام_مخالفة_للدستور» ونشروا مئات التغريدات على تويتر ومئات التدوينات على فيسبوك للاحتجاج على هذه الأنظمة التي اعتبروها مقيدة للحريات والتي يرون فيها انتهاكاً للدستور وللحقوق الأساسية المكفولة للمواطنين في الأردن.

وكتب الناشط السياسي، والعضو في «الحراك الشعبي الموحد» علاء ملكاوي: «كيف تكون هناك هيئة للإعلام ولدينا وزارة إعلام ووزير للإعلام؟ هذه الهيئة الموازية يجب إلغاؤها وتعطيلها لأنها تستنزف المال. لا تصمتوا على تكميم أفواهكم فمواقع التواصل الاجتماعي آخر معاقل الحرية».

أما مدير مركز حماية وحرية الصحافيين نضال منصور فغرد قائلاً: «الخطر لا يحدق بوسائل الإعلام بسبب أنظمة الإعلام بل بكل من يستخدم السوشيل ميديا. توحدوا وارفضوا تقييد حريتكم في التعبير والنقد».

أما الكاتب أحمد حسن الزعبي، ومالك أحد المواقع الإلكترونية في الأردن، فقال: «الأردن سيكون الدولة الأولى في العالم التي تقيد حرية البث عبر الإنترنت» وأضاف: «لا تصمتوا على تكميم أفواهكم فمواقع التواصل الاجتماعي آخر معاقل الحرية».

وغرد الصحافي باسل الرفايعة: «في غياب حقّك في الكلام، يحضرُ الاستبداد بأقصى توحشه واستهتاره بالحقوق، ويسرق الفسادُ خبزك ومستقبلك وأحلامك، ولا يحق لك حتى أنين الجوع».

وقال الناشط محمود حشمة: «أي سلطة أو حكومة تخشى حرية التعبير وتعمل على تقييد هذا الحق.. فهذا يعني تلقائيا أن تلك الحكومة تنتهك الحقوق وتخشى أن يتم فضح انتهاكاتها».

وغرد الخبير في الشأن الإسرائيلي الدكتور صالح النعامي قائلا: «النظام في الأردن يتفنن في ابتكار وسائل تكميم الأفواه على مواقع التواصل، تحديدا بعد أن كشف موقع «اكسيوس» أن مخابرات الأردن تتفاوض مع شركة «NSO» لشراء برامج تجسس (طبعا المستهدف المواطن الأردني)».

وقالت هالة عاهد: «لم تكتف الحكومة بمحاصرة التعبير الحر بنصوص عقوبات فضفاضة وجرائم الكترونية تخالف الدستور الاردني ومعايير حقوق الإنسان؛ تريد اليوم وعبر تعديلات على أنظمة الاعلام تقييد البث عبر مواقع التواصل الاجتماعي».

علوم وتكنولوجيا

العالم يترقب «آيفون 13» خلال أيام وهذه أبرز مميزاته

لندن ـ «القدس العربي»:

يترقب العالم أن تكشف شركة «آبل» الأمريكية عن النسخة الجديدة والأحدث من هواتف «آيفون» التي ما زالت تثير اهتمام المولعين في التكنولوجيا بالعالم، فيما يتوقع أن تحمل الهواتف الجديدة اسم «آيفون 13» كما يتضمن الحدث مفاجآت أخرى أيضاً.

وقال تقرير لجريدة «دايلي ميل» البريطانية إنه «بالإضافة إلى أجهزة آيفون الجديدة والتي من المحتمل أن تُعرف باسم (آيفون 13) فمن المحتمل أن تكشف شركة آبل عن إصدارات جديدة من ساعتها الذكية وأجهزة «إير بودز» واسعة الانتشار.

ويقول التقرير إنه قد يكون عمر بطارية آيفون الجديد أطول بكثير ويحصل على تحديثات للكاميرا، بما في ذلك نتوء أكبر قليلاً، وزوم في الكاميرا أحدث بكثير من الطرازات السابقة، إضافة إلى ترقية للعدسة فائقة الزاوية.

ومن المحتمل أيضاً أن تحصل أحدث الهواتف الذكية من «آبل» على ترقيات لقدراتها في التقاط الفيديو، بما في ذلك ميزة «ProRes» الجديدة لصانعي الأفلام المحترفين، بحسب ما جاء في «دايلي ميل».

وقد تسمح الأجهزة الجديدة للمستخدمين بالتقاط مقاطع فيديو في الوضع الرأسي مع طمس الخلفية، بحسب التقرير.

كما ستمنح مقاطع الفيديو عالية الجودة صانعي الأفلام المحترفين المزيد من إمكانيات التحرير.

وتقول الصحيفة البريطانية إن الجهاز الجديد قد يشتمل أيضاً علي وضع القمر الاصطناعي الذي يمكّنه من إجراء المكالمات وإرسال النصوص عندما يكون خارج نطاق شبكات الهاتف المحمول في حالة الطوارئ.

ومن المتوقع أن تحتفظ أجهزة «آيفون» الجديدة بنفس أحجام الشاشة التي كانت عليه في الطراز السابق «آيفون 12» بما في ذلك 5.4 بوصة و6.1 بوصة للطرازات العادية و6.1 بوصة و6.7 بوصة لطرازات «برو».

وقد يكون لساعة «آبل ووتش» الجديدة حواف مسطحة وشاشة أكبر، بحسب تقرير الصحيفة البريطانية الذي يقول أيضاً إن الساعة ستتوفر بأحجام 41 و45 ملم، بزيادة عن الأحجام 41 و44 ملم. وسيكون هناك العديد من الوجوه المختلفة للساعة الجديدة.

بإطلاق منتجها الجديد، والمقرر عقده في 14 أيلول/سبتمبر الحالي، حيث من المتوقع أن تكشف النقاب عن أجهزة «آيفون» الجديدة وساعات «آبل» وربما يتوقع أن يتم الكشف عنها بالتزامن مع إطلاق نسخة جديدة أيضاً من ساعات «آبل ووتش».

وأرسلت شركة «آبل» دعوات إعلامية لحضور الحدث الخاص

علماء يتوصلون لطريقة تتنبأ مبكراً بمرض الزهايمر

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكن فريق بحثي من الأطباء من استخدام تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي في التنبؤ المبكر بالإصابة بمرض الزهايمر، وبدقة غير مسبوقة، وهو ما يمكن أن يمهد الطريق لعلاج المرض أو الاستعداد له عبر الوقاية أو منح المريض المحتمل فيتامينات تعينه على مقاومة المرض أو تؤخر الإصابة به.

وكشفت دراسة حديثة نشرتها جريدة «دايلي ميل» البريطانية أن الذكاء الاصطناعي الجديد وتكنولوجيا التعلم العميق قد يكونان قادرين على اكتشاف مرض الزهايمر مبكرا بدقة شبه مثالية. وعمل فريق من جامعة كاوناس للتكنولوجيا «KTU» في ليتوانيا على بناء طريقة التحليل الجديدة، التي يُعتقد أنها تتضمن دقة تزيد عن 99 في المئة.

وتعمل الطريقة بشكل أسرع بكثير من قدرة الشخص على تحليل علامات الحالة والتعرف عليها.

وفي حال أثبتت الطريقة الجديدة فعاليتها كما هو معلن، فسيغير ذلك الطريقة التي يتم بها تشخيص مرض الزهايمر، ويمكن أن تساعد الأطباء في اكتشافه في وقت مبكر وبدقة أكبر، ما يسمح ببدء العلاج المحتمل في وقت مبكر أيضا.

وقال ريتيس ماسكيليناس، الباحث من جامعة كاوناس للتكنولوجيا إن دقة الخوارزمية واعدة، بينما سيعمل فريقه أكثر لجمع المزيد من البيانات حول كيفية تحسين نظامهم.

وأضاف: «من الواضح أن هذه الأرقام الكبيرة ليست مؤشرات على أداء حقيقي في الحياة الواقعية، لكننا نعمل مع المؤسسات الطبية للحصول على مزيد من البيانات. إننا بحاجة إلى الاستفادة القصوى من البيانات، ولهذا السبب تركز مجموعتنا البحثية على مبدأ العلوم المفتوحة الأوروبية، بحيث يمكن لأي شخص استخدام معرفتنا وتطويرها بشكل أكبر. أعتقد أن هذا المبدأ يساهم بشكل كبير في تقدم المجتمع».

ويعتقد الباحثون أن بإمكانهم تحويل الخوارزمية الخاصة بهم إلى برمجيات يمكن للأطباء في جميع أنحاء العالم استخدامها، لكنهم يحذرون من أن الخوارزميات الخاصة بهم لا يمكن أن تحل محل الأطباء، بل ستجعل الطب أكثر سهولة وأرخص تكلفة.

وأوضح ماكيليوناس: «بينما لا توجد حاليا علاجات لمرض الزهايمر أو الخرف، إلا أن الاكتشاف المبكر لا يزال مهما».

ويمكن لأي شخص يعرف أنه مصاب بمرض الزهايمر أو الخرف أن يساعده ذلك في التخطيط لحياته مستقبلا لإدارة هذه الحالة وإنشاء نظام للعناية بهم عندما يتدهورون معرفيا.

وهناك أيضا بعض الأدوية والعلاجات المعرفية التي يمكن أن تؤدي إلى إبطاء تقدم الأعراض.

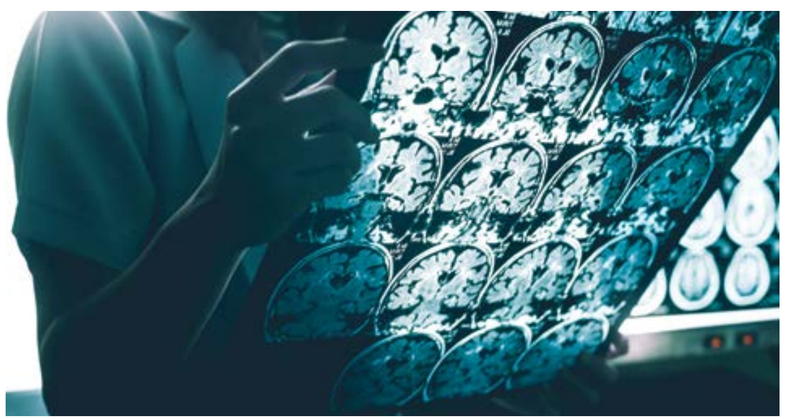

سيارة مرسيدس ذكية وخارقة تقرأ أفكار الركاب وتُنفذ على الفور

لندن ـ «القدس العربي»:

كشفت شركة مرسيدس عن دمجها لمواجهة تحكم متطورة في نموذج سياراتها ذاتية القيادة «Vision AVTR» تسمح للركاب بالتحكم بالعديد من الوظائف عن طريق أفكارهم.

وتعمل الشاشة بالتزامن مع عصابة للرأس باسم « BCI» حيث تتعرف السيارة عن طريقة تقنية الذكاء الاصطناعي على مرتديها، لتقدم له خيارات لوظائف سبق له أن أعجب بها واستخدمها مثل محطات الراديو المفضلة والرد على المكالمات وتوجيه المركبة لطرق محدد سابقاً.

وإلى جانب هذه الوظائف، يستطيع السائق التفكير بمكان ركن المركبة، وكمية الضوء الداخلة عبر النوافذ، وكل ذلك عن طريق التخاطر بين الجهاز والشاشة الذكية.

وقالت شركة مرسيدس إن جهازها يحلل الموجات الدماغية، ويتعرف من خلال تركيز سائق السيارة على الخيارات التي يود استعمالها.

وكلما كان تركيز السائق أقوى، كلما زاد نشاط الخلايا العصبية، وسهل الأمر على الجهاز لتحديد الوظائف المرغوبة.

وحسبما ذكرت صحيفة «دايلي ميل» البريطانية، فقد عرضت هذه الشاشة لأول مرة في معرض الإلكترونيات الاستهلاكية لعام 2020 في لاس فيغاس، إلا أنه بمقدور زوار معرض «IAA Mobility» للسيارات في ميونيخ هذا الأسبوع، اختبار التقنية الجديدة.

وأوضحت رئيسة قسم المبيعات في مرسيدس، بريتا سيغر، أن الجهاز يعمل بشكل مستقل عن الكلام واللمس، لافتة إلى أنه مقدمة على طريق خلق مزيد من التفاعل بين السائق والسيارة.

ومن جانبه، قال مدير العمليات في مرسيدس، ماركوس شيفر، إن كل هذه العناصر تدور حول محاولة «تبسيط قيادة السيارة بشكل جذري».

وبيّن أن لوحة التحكم وعصابة الرأس، ستوفر مزيدا من الراحة للسائق والركاب، الأمر الذي سيمنحهم تجربة تنقل فريدة من نوعها.

جدير بالذكر أن سيارة مرسيدس الكهربائية ذاتية القيادة المستقبلية، المزودة بمحرك بقوة 469 حصانا، بمقدورها قطع مسافة تصل إلى حوالي 700 كيلومتر قبل أن يضطر السائق لإعادة شحنها.

ارتفاع المكان يُحدد تطور الكائنات الحية

لندن ـ «القدس العربي»:

اكتشف علماء جامعة كامبريدج البريطانية، أنه خلال ثلاثة ملايين عام الأخيرة، كان تطور العديد من الأنواع يتحدد عموما بارتفاع المكان الذي تعيش فيه. ونقلت وكالة «فيستي» الروسية عن مجلة علمية متخصصة أنه وفقا للعلماء يؤثر العامل الجغرافي مثل ارتفاع مكان العيش، في عملية التطور أكثر من التغيرات المناخية.

ويذكر أن صفائح الغلاف الصخري للأرض في حركة دائمة. وخلال ملايين السنين، يمكن للمنطقة التي كانت منخفضة نسبيًا فوق مستوى سطح البحر، أن ترتفع بشكل كبير. وقد قارن الباحثون تغير مستوى ارتفاع الأماكن فوق سطح البحر خلال الثلاثة ملايين عام الماضية بالتغيرات المناخية وتطور مختلف أنواع الثدييات والطيور فيها.

وأظهرت النتائج، كيف أثر ارتفاع المكان في تطور الأنواع القديمة، إلى أنواع جديدة. مع العلم أن الباحثين تمكنوا من فصل هذا العامل عن تأثير التغيرات المناخية في عملية التطور. وبالنتيجة تمكنوا من إثبات أن سرعة ظهور الأنواع الجديدة مرتبطة بتأثير «ارتفاع المكان» أكثر من التغيرات المناخية. وأن «فقدان الارتفاع» مع مرور الوقت، لم يكن له تأثير ملموس في ظهور الأنواع. أي أن الأنواع لم تتأثر كثيرا عند «النزول من الجبل» كما يحصل في عملية «الصعود إلى الجبل».

ويقول الدكتور أندريو تانتزاب، من جامعة كامبريدج، «تعيش على قمم الجبال عادة أنواع فريدة، أكثر من أي مكان آخر على الأرض. ومع أنه سابقا كان يعتقد أن ظهور أنواع جديدة مرتبط بالتغيرات المناخية، إلا أننا اكتشفنا أن تغير ارتفاع مكان العيش له تأثير أكبر على مستوى العالم».

ووفقا للباحثين، مع زيادة الارتفاع تنخفض درجة حرارة الوسط المحيط عادة، ما يعقد ظروف العيش فيها. لذلك من أجل التعود على هذه التغييرات، تضطر الأنواع إلى التكيف مع الظروف الجديدة بنشاط.

طبيعيا لعزل الأنواع في محيط صغير، ما يجعلها مستوطنة، ويصبح النوع المعزول فيها نوعا فريدا. وهذا العامل يؤثر بصورة كبيرة في تطور النباتات. لذلك يمكن في كثير من الأحيان العثور في الجبال على زهور وأعشاب فريدة في منطقة معينة فقط.

واتضح للباحثين، أن تأثير ارتفاع المكان، في تطور الثدييات أقوى مما في الطيور. وهذا مرتبط بإمكانية الطيور في التغلب بسهولة على الحواجز الطبيعية بمجرد التحليق فوقها. ولكن بالمقابل يعتمد تطور الطيور أكثر على تغير درجات الحرارة. لأن تقلبات درجة الحرارة، تسبب تغير موسم تزاوج الطيور، ما يؤدي إلى عزل مجموعة معينة، عن مجموعات أخرى تعيش في ظروف مناخية مختلفة.

ويقول الدكتور خافيير إيغيا: «تسلط هذه الدراسة الضوء على مجالات مهمة، يمكن أن تحصل فيها عملية التطور. لذلك من أجل الحفاظ على الأنواع، يتطلب منا حماية هذه المناطق من التغير، وبالأخص التغيرات المناخية. ومع أن التغيرات المناخية تجري منذ عشرات السنين وليس ملايين السنين، فإن دراستنا تشير إلى الأماكن التي يمكن أن تصبح مزرعة لأنواع لها إمكانيات كبيرة للتطور».

اقتصاد

هل يكون لبنان بوابة لضخ المزيد من الطاقة في شبكات الكهرباء وخطوط غاز الشرق؟

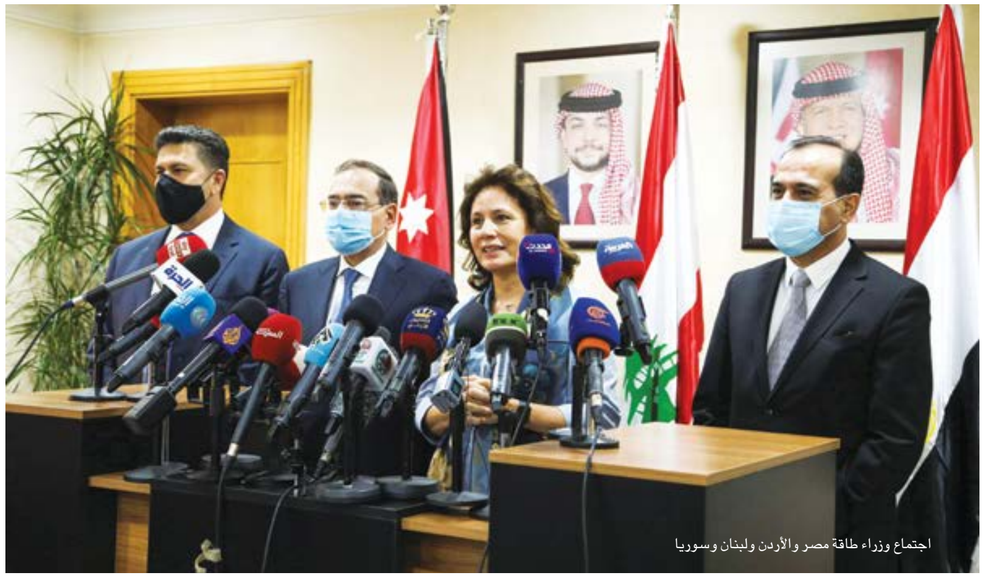
اجتماع وزراء طاقة مصر والأردن ولبنان وسوريا

إبراهيم نوار

من ظلام الكارثة يبزغ نور الأمل. وقد يصدق هذا على الحال في لبنان فيما يتعلق بحل أزمة الكهرباء عن طريق إعادة ربط وتشغيل شبكات الكهرباء وخطوط أنابيب نقل الغاز من الأردن ومصر عبر الأراضي السورية. اللبنانيون يعيشون لياليهم في ظلام دامس في معظم الأيام بإستثناء من يملكون مولدات كهرباء خاصة ويتوفر لديهم الوقود اللازم لتشغيلها. وزراء الطاقة في مصر والأردن ولبنان وسوريا اتفقوا على أن يتعاونوا معا لوضع خريطة طريق لإمداد لبنان بالكهرباء عبر الشبكة العربية المشتركة، وتوفير الغاز اللازم لتشغيل محطة دير عمار التي تعمل بالغاز بواسطة امدادات الغاز المصري عبر الأردن وسوريا. مصر تصدر فعلا الكهرباء والغاز إلى الأردن في الوقت الحالي، ومن ثم فإن ما تحتاجه خريطة الطريق هو الاتفاق على التفاصيل الأمنية والفنية والقانونية والإدارية والتجارية لنقل الكهرباء والغاز إلى لبنان. وعلى الرغم من أن وزيرة الطاقة والموارد المعدنية الأردنية تتوقع الانتهاء من خريطة الطريق خلال ثلاثة أسابيع من الآن، فإن تنفيذ مهمة الربط يحتاج وقتا أطول قد يمتد إلى أواخر الربع الأول من العام المقبل، كما أن ترتيبات نقل الغاز والكهرباء عبر منطقة ملتهبة بالصراع تمتد من درعا في جنوب سوريا إلى دمشق، ثم من هناك إلى داخل لبنان، لن تكون بالمهمة السهلة. كذلك فإن وصلة أنابيب الغاز من العريش مصر إلى العقبة لا تخلو من المشاكل.

احتياجات لبنان

يواجه لبنان معضلة كبيرة في سد احتياجاته من الطاقة منذ عام 2017 بسبب نقص الصيانة، وتهالك الشبكات ومحطات المحولات ومعامل توليد الكهرباء. وقد بلغ متوسط استهلاك الفرد من الكهرباء قبل جائحة كورونا حوالي 2650 ك.و سنويا، وهو ما يقل عن متوسط الاستهلاك للفرد على مستوى الشرق الأوسط بنسبة 35 في المئة. ويتم الحصول على الكهرباء بالاعتماد على انواع الوقود الاحفوري بنسبة 88 في المئة، ومن المصادر المائية بنسبة 11 في المئة، ثم من مصادر متجددة بنسبة 1 في المئة فقط. وعلى الرغم من أن لبنان بدأ فعلا طرح امتيازات للتنقيب عن النفط والغاز في المناطق البحرية غير المتنازع عليها، فإنه لم يحقق نتائج إيجابية حتى الآن. ويقدر حجم الاحتياطي من الغاز في المنطقة الاقتصادية الحصرية أو الخالصة للبنان في شرق المتوسط بحوالي 25 تريليون قدم مكعب، أي بنسبة 20 في المئة تقريبا من الاحتياطي الكلي للغاز في شرق المتوسط الذي قدرته هيئة المساحة الجيولوجية الأمريكية بحوالي 122 تريليون قدم مكعب.

ولكي يصبح لبنان قادرا على سد احتياجاته من الطاقة اللازمة لتشغيل الصناعة وكفاية الاستهلاك التجاري والمنزلي في الوقت الحاضر فإنه يحتاج إلى استيراد حوالي 8 ملايين طن من النفط الخام والوقود، إضافة إلى 1.2 مليون طن من الغاز. وكان لبنان يمد لبنان بما يعادل نصف هذه الاحتياجات خلال فترة تتراوح بين ثلاثة إلى أربعة أشهر. أما بالنسبة للغاز فمن المتوقع أن يتم إمداد لبنان بحوالي 50 مليون قدم مكعب يوميا من مصر أساسا، على أن تبدأ الإمدادات من مصر بكمية تبلغ 25 مليون قدم مكعب. وسوف يستخدم الغاز في تشغيل محطة توليد الكهرباء في دير عمار شمالي لبنان، التي توجد بها 3 وحدات لتوليد الكهرباء بالغاز توفر للبنان ما يصل إلى حوالي 16 في المئة من احتياجاته اليومية.

أهمية توفير التمويل

ثانيا: تعمل الدول الأربع معا على تقدير الاحتياجات اللازمة من كل منها لتحقيق المساعدة المطلوبة، وذلك بإعادة فحص البنية الأساسية للطاقة، وضمان توفر المعايير الفنية السليمة للتصدير، ووضع الإطار القانوني الضروري للتشغيل، والاتفاق على صيغة التسويق والتسعير، كما سيكون على لبنان تطوير صيغة ملائمة للتوزيع التجاري للوقود. وطبقا للصيغة المعمول بها بين مصر والأردن، فإن هناك فصلا قانونيا وتجاريا وإداريا بين عملية التصدير وعملية النقل. فالشركة المصرية المصدرة للغاز هي غير الكونسورتيوم الذي يتولى نقل وتوزيع الغاز، إضافة إلى أنه تم إنشاء شركة أردنية وسيطة، منحت للكونسورتيوم المصري امتيازا طويل الأجل لنقل الغاز المصري إلى الأردن. وهو ما يعني أن الدول الأربع قد تتفق على إنشاء شركات مشتركة جديدة، تشارك في ملكيتها وإدارتها شركات وطنية، للقيام بعملية التصدير وعملية النقل كل منها مستقلة عن الأخرى. كذلك فإن وضع صيغة متفق عليها لتسعير الغاز والكهرباء وتحديد رسوم العبور عبر أراضي الدول المختلفة، وتحديد آلية لحل النزاعات والتعويضات سيحتاج مجهودا كبيرا من اللجان الفنية قبل التوصل إلى اتفاق نهائي.

كذلك تتضمن الاحتياجات اللازمة لوصول الإمدادات أن يوفر لبنان إمكانيات مالية وفنية ملائمة من أجل بناء قدرات شبكات استعداد تدعمه الولايات المتحدة من ناحية، كما تدعمه القيادات السياسية للدول الأربع من ناحية ثانية، بمن فيهم الرئيس السوري بشار الأسد. وتعود أهمية الدعم الأمريكي إلى أنه سيزيل احتمال التعرض لعقوبات أمريكية بسبب «قانون قيصر» عندما تمر إمدادات الطاقة عبر الأراضي والشركات السورية. وتشير التقديرات حتى الآن إلى أن إمدادات الطاقة التي سيحصل عليها لبنان طبقا للاتفاق المبدئي ستتضمن شقين، الأول هو كهرباء من الأردن تمر عبر شبكة خطوط الكهرباء السورية ومنها إلى لبنان. وترتبط شبكات الدول الثلاث مع شبكة الكهرباء المصرية ضمن شبكة الربط الكهربائي العربية التي تضم إلى جانب الدول الأربع كلا من العراق وليبيا وفلسطين. وقد انضمت إليها السعودية من خلال اتفاق مع مصر، كما انضمت إليها تركيا من خلال اتفاق مع سوريا. ويسعى لبنان للحصول على 500 ميغا وات من الكهرباء عن طريق تشغيل الربط المشترك. وقالت وزيرة الطاقة الأردنية أن الأردن يمكن أن حتى عام 2019 يستورد احتياجاته عن طريق اليونان بنسبة تقل عن الثلث، وروسيا بأكثر من الربع، ثم من الولايات المتحدة بنسبة الربع. لكنه الآن أصبح عاجزا عن استيراد الوقود الكافي بسبب نقص العملات الأجنبية. ومن الصعب جدا أن يتمكن لبنان من حل أزمة الطاقة بنفسه، ولذلك لجأت الحكومة إلى طلب المعونة من الدول العربية المجاورة، في حين طلب حزب الله المعونة من إيران. وفي الوقت الذي استقبلت فيه سوريا سفينة شحن محملة بالوقود في الأسبوع الماضي، كانت العاصمة الأردنية عمان تتأهب لاستقبال وزراء الطاقة في دول الجوار اللبناني العربية، في محاولة لإيجاد حل عربي للأزمة.

معالم خريطة الطريق

تتيح المعلومات المتوفرة حتى الآن أن وزراء مصر والأردن وسوريا ولبنان اتفقوا في عمان على ما يلي:

أولا: الاستعداد لتزويد لبنان باحتياجاته من الطاقة، وهو

معركة أنبوب الغاز تُسممُ العلاقات المغربية الجزائرية

رشيد خشانة

قلل خبراء اقتصاديون من التداعيات الاقتصادية المُحتملة لقطع العلاقات الدبلوماسية بين المغرب والجزائر، الذي أعلن عنه وزير الخارجية الجزائري رمطان العمامرة في الرابع والعشرين من الشهر الماضي، بالنظر إلى أن الحدود مُقفلة بين البلدين منذ العام 1994. في المقابل رجح آخرون أن تكون للقطيعة انعكاسات وخيمة في اقتصاد البلدين، خصوصا بعدما تأكد أن الجزائر لا تعتزم تجديد الاتفاق الذي يُنقل بموجبه الغاز الطبيعي الجزائري إلى إسبانيا عبر الأراضي المغربية، بطول 500 كلم. ويمر عبر الأنبوب المغربي نحو 3 مليارات متر مكعب من الغاز سنويا، يضاف لها مليار متر مكعب من الإمدادات الجزائرية لتلبية حاجة السوق المغربية سنويا، وذلك من إجمالي صادرات البلاد البالغة 50 مليار متر مكعب سنويا.

وينتهي في الشهر المقبل الاتفاق الخاص بعبور الغاز من الجزائر إلى جنوب إسبانيا، والذي يعود إلى العام 1996. وسيتسبب إقفاله بخسائر جمة للجانبين.

وتُـزود الجـزائـر إسبانيا بـالـغـاز عبر أنبوبين، الأول يُدعى «ميدغاز» أي غاز المتوسط، وتُقدر طاقته بـ8 مليار متر مكعب، وهو يربط بين المنشآت الغازية الجزائرية في بني صاف (شمال غرب) وميناء المرية الاسباني (جنوب) عابرا الحوض الغربي للمتوسط. أما الثاني فهو «الأنبوب المغاربي الأوروبـي»، وتُقدر طاقته بـ13 مليار متر مكعب، وهو يربط بين الجزائر ومدينة قرطبة، عبر الأراضي المغربية. وهذا هو الأنبوب الذي سيتأثر جراء التدهور الخطر في العلاقات الجزائرية المغربية. وقد طمأن وزير النفط الجزائري محمد عرقاب الاسبان، من خلال سفيرهم في الجزائر إلى أن تزويدهم بالغاز سيستمر بشكل طبيعي، وأن ذلك سيتم عبر أنبوب «ميدغاز»، ما يُؤشر إلى أن تدفق الغاز عبر الأراضي المغربية سيتوقف قريبا.

بين الجزائر وإسبانيا

وبحسب وكالة الأنباء الجزائرية أكد الوزير عرقاب وجود مشروع لتوسعة طاقة أنبوب «ميدغاز» وأعلنت مجموعة «سونترك» الجزائرية (قطاع عام) أول أمس أنها رفعت فعلا من حجم التدفق إلى 10.5 مليار متر مكعب، في إطار حرص الجزائر على «تأمين جميع حاجات السوق الإسبانية من الغاز الطبيعي» على ما قال عرقاب. في المقابل أعلن المغرب، قبل قرار قطع العلاقات الدبلوماسية، أنه يُوافق على تجديد اتفاق العبور، الذي ينتهي مفعوله الشهر المقبل. ويحصد المغاربة فوائد كثيرة من اتفاق العبور الحالي، أبرزها تأمين إنتاج 17 في المئة من الطاقة الكهربائية بفضل الغاز الجزائري، وتزويد محطات الطاقة البيوحرارية المغربية بالوقود، بالاضافة إلى رسوم العبور التي تتقاضاها الرباط لقاء مرور الأنبوب من أراضيها.

وتعقدت العلاقات المغربية الجزائرية مع إعلان الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب أن الولايات المتحدة تعتبر الصحراء الغربية تابعة للمغرب في مقابل إقدام الرباط على تطبيع العلاقات مع الدولة العبرية.

وسدد إقفال السفارة المغربية في الجزائر، ردا على القرار الجزائري، وترحيل العاملين فيها إلى بلدهم، ضربة موجعة للجالية المغربية في الجزائر، المؤلفة من رجال أعمال وتجار مقيمين فيها منذ عشرات السنين. كما يُخشى من اتخاذ الحكومتين خطوات جديدة تزيد من تعميق القطيعة، مثل وقف الرحلات الجوية، والتي كان انطلاقها في 1989 إحدى ثمار تأسيس الاتحاد المغاربي (يضم كلا من تونس وليبيا وموريتانيا، بالاضافة للجزائر والمغرب).

ويُقدر الخبراء الاقتصاديون المغانم التي كان في وسع البلدان الخمسة تحصيلها من قيام الاتحاد، بزيادة لا تقل عن خمس نقاط في نسبة النمو السنوي للبلدان الأعضاء.

والأرجح أن القطيعة الدبلوماسية بين الجزائر والمغرب ستضرب تجارة التهريب على الحدود المشتركة، وخاصة في منطقة وجدة شمال شرق المغرب، حيث تغض السلطات الطرف، في الجانبين، عن المبادلات التي تتم خارج القنوات الرسمية. ونتيجة لذلك فإن الأُسر التي تعتاش من شبكات التهريب ستواجه أوضاعا صعبة في الفترة المقبلة، مع غلق الأنبوب وارتفاع نسبة البطالة.

اختلالات بنيوية

ويشكل النفط والغاز حجر الزاوية في الاقتصاد الجزائري، الذي يُعاني من اختلالات بعضها بات هيكليا. وإزاء تنامي الاحتجاجات على تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، غير الرئيس تبون في وقت سابق من العام الجاري، وزيري الطاقة والصناعة.

لكن تغيير الأشخاص من دون مراجعة السياسات لا يحل المشكلة، فقطاع الطاقة في الجزائر عانى، خلال السنوات الأخيرة، من صعوبات التصدير، وكذلك من نقص الاستثمار، إذ تراجعت إيرادات صادرات النفط والغاز العام الماضي، بنحو 30 في المئة، بحسب ما ذكر موقع «بلومبرغ». ورأت إيزابيل ويرنفيلد، الباحثة في «المركز الألماني للشؤون الدولية والأمنية» أن الخلافات القديمة حول الصحراء الغربية مازالت تشكل الخلفية السياسية للتدهور الأخير في العلاقات الثنائية. إلا أن العنصر الجديد هو التطبيع المغربي الإسرائيلي، الذي أغاض الجزائريين لأنهم اعتبروه موجها ضدهم. وأماطت قضية بيغاسوس اللثام عن قيام الدولة العبرية بالتجسس على حوالي 6000 شخصية في الجزائر انطلاقا من المغرب.

ومن غير المستبعد أن تعرض إسرائيل على المغرب الحلول محل الجزائر في تزويده بالغاز الطبيعي المستخرج من حقولها قبالة سواحل البحر المتوسط، ومن ثم تزويد إسبانيا أيضا بواسطة الأنبوب الجزائري.

وتُشير الخبيرة ويرنفيلد، المتخصصة في الشأن المغاربي، إلى أن كلا من الرباط والجزائر تسعى إلى إثبات أنها القوة الأولى في المنطقة، وقادتهما هذه المنافسة إلى سباق تسلح مُنهك لاقتصاديهما، ولا يبدو أن حدته ستخف مع قطع العلاقات الدبلوماسية بينهما.

وسبق للمغرب أن قطع علاقاته مع الجزائر العام 1976 بعد اعتراف الأخيرة بالجمهورية التي أعلنتها «جبهة البوليساريو» من جانب واحد. وأبصرت العلاقات مرحلة انفراج في أعقاب القمة المغاربية الأولى، في ضاحية زيرالدا بالجزائر، والتي مهدت لإنشاء اتحاد المغرب العربي في مراكش العام 1989. لكن الاتحاد تعثر بسبب الخلافات الجزائرية المغربية، ما أدى إلى غلق الحدود بين البلدين، في 16 آب/أغسطس 1994.

ويسعى المغاربة في ظل سوء العلاقات مع الجزائر ولتفادي هشاشة الاعتماد على رسوم عبور الأنبوب الجزائري، إلى إيجاد بدائل طاقية أخرى، من بينها الطاقات المتجددة. وتأثر المغرب بالتجربة الفرنسية في هذا المجال، بعدما تقدمت الطاقة البيوحرارية إلى الرتبة الأولى بين مصادر الطاقة في فرنسا، قبل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح.

وأعلن وزير الطاقة والمناجم والبيئة المغربي أخيرا أن وزارته تعدُّ حاليا خارطة طريق للتقليل من الاعتماد على مصادر الطاقة الأحفورية والتركيز على الطاقات الجديدة والمتجددة. وترمي خارطة الطريق إلى الترفيع من حصة الطاقات المتجددة إلى 52 في المئة من حاجات البلد.

وبحسب تقديرات مغربية ستُتيح استراتيجيا إقامة محطات بيوحرارية لإنتاج الطاقة، تزويد الشبكة الكهربائية بنحو 13.4 مليون ميغاويت إضافية سنويا. وسيعتمد المغاربة في إنتاج تلك الطاقة البديلة على القطاع الزراعي والغابات والنفايات الصلبة والمياه المستعملة.

عبء ثقيل

في المقابل يقول الخبراء إن توسعة الأنبوب العابر للمتوسط سيحتاج من الجزائر إلى استثمار لا يقل عن 280 مليون يورو، وهو عبء ثقيل بالنظر للضائقة التي تسبب بها تراجع الصادرات من النفط. كما أن إسبانيا قد لا تكون عازمة على تجديد التعاقد مع الجزائر، بعدما باشرت تنويع مصادر التزوُّد بالغاز، واتجهت في هذا الإطار إلى الولايات المتحدة، من بين مزودين آخرين.

أما المغرب فعلق على القرار الذي يبدو أن الجزائر على وشك اتخاذه، والذي أعلنه وزير نفطها للسفير الإسباني، بأنه ليس في حاجة للأنبوب ولا لرسوم العبور. أكثر من ذلك حذرت الرباط بشكل غير مباشر من أن امتناع الجزائر عن تجديد العقد من جانب واحد سيجعل البنية الأساسية في الجانب المغربي من الأنبوب، أي أكثر من 500 كلم من القنوات، ملكا للدولة المغربية. وقد يعرض المغاربة على إسبانيا تزويدها بالغاز الطبيعي من حقل تانودارة الغازي القريب من مسار الأنبوب الحالي، والذي تستثمره مجموعة «ساوند إينرجي».

مع ذلك تشير تقارير اقتصادية إلى أن المغرب عانى من تداعيات جائحة «كوفيد–19» التي عطلت عجلة الاقتصاد المحلي، ولكن أيضا من انعكاسات الجائحة في اقتصادات شركاء المغرب التجاريين الرئيسيين وهم فرنسا وإسبانيا وإيطاليا. وتستأثر بلدان الاتحاد الأوروبي بأكثر من 60 في المئة من مبادلات المغرب التجارية مع العالم. لذلك يخشى المغاربة من تداعيات تباطؤ عجلة الاقتصاد في أوروبا على أوضاعهم الاقتصادية. كما أن الاحتباس الحراري أضر أيضا بقطاع الزراعة المحلي، إذ تراجعت محاصيل البلد من القموح الشتائية بنحو 20 في المئة قياسا على متوسط المحاصيل الشتائية في الأعوام الماضية.

في السياق أفاد بنك المغرب بأن وتيرة النمو السنوي للكتلة النقدية تراجعت إلى 6.9 في المئة في تموز/يوليو الماضي، في مقابل 7.4 في المئة في الشهر السابق. وأوضح بنك المغرب، في مذكرة حول المؤشرات الرئيسة للإحصاءات النقدية لشهر حزيران/يوليو، أن هذا المؤشر يعكس تراجعا في التداول النقدي بـ 3.3 في المئة بعد 4.3 في المئة، واستقرارا في نمو الودائع تحت الطلب لدى المصارف التجارية المحلية عند نسبة 8.5 في المئة.

نقطة عبور بين الشمال والجنوب

مع ذلك نجح المغاربة في تحويل بلدهم إلى نقطة عبور بين شمال القارة الأفريقية وجنوبها. وبالرغم من تلك المصاعب، تُفكر شركات ومجموعات اقتصادية أوروبية بنقل مصانعها إلى المغرب، نتيجة الجائحة الاقتصادية التي تعاني من مضاعفاتها في بلدانها، وللاستفادة من الرواتب الزهيدة في بلدان الضفة الجنوبية للمتوسط.

ووضع المغرب استثمارات كبيرة في القطاع الصناعي، من بينها تجميع السيارات، الذي يعتمد على تدني مستوى الرواتب قياسا على البلدان الأوروبية، ما شجع مجموعات صناعية فرنسية على إقامة مصانع في المغرب، بالنظر لقربه من الأسواق الكبرى. وتُظهر الإحصاءات أن إيرادات تصدير السيارات تجاوزت إيرادات البلد من الفوسفات في بعض السنوات. كما استثمر المغرب في البنية الأساسية وفي النقل، فكان القطار الرابط بين الدار البيضاء وطنجة أول قطار سريع في أفريقيا، وهناك خطة لتمديده إلى أغادير جنوبا وميناء طنجة شمالا.

إلا أن التحدي الذي يتكرر الحديث عنه في غالبية التحاليل الأكاديمية الخاصة بمستقبل المغرب، ولاسيما خلال الحملة الانتخابية الأخيرة، فيتمثل بتفاقم التفاوت الاجتماعي في البلد، ما يستدعي بحسب الخبراء العمل من أجل تحقيق استقرار ينبني على معاودة توزيع ثمار التنمية الاقتصادية. ويؤكد جان توماس لوسيور الباحث في معهد توماس مور الفرنسي البلجيكي، أن مسألة معاودة تقاسم إيرادات التنمية تشكل ضرورة من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية.

وكانت المؤسسات الإنتاجية المغربية الصغيرة هي الأكثر تضررا من الجائحة، بدءا من سُواق التاكسي إلى محلات الملابس والأحذية إلى ورشات المشغولات التقليدية. على هذه الخلفية الاقتصادية والاجتماعية المُتضعضعة، تحرك مثقفون جزائريون ومغاربة معا، سعيا لرأب الصدع بين البلدين الغريمين. وقد وقع مئات المثقفين من البلدين بيانا أطلقوا عليه عنوان «نداء إلى العقل» للمطالبة بوقف التصعيد و«توطيد أواصر المحبة والتعاون لبناء الغد المشترك». وحذروا من الانـزلاق إلى «مواجهة غير طبيعية وتتنافى مع مصالح الشعبين والمنطقة». فهل يقدر نداء من مثقفين بعيدين عن مركز القرار السياسي، أن يوقف تدحرج الأزمة؟ وهل يستمع صناع القرار هنا وهناك إلى أصوات المثقفين ويُراجعون خيار الصراع المستمر منذ نحو ستين عاما، أي منذ استقلال الجزائر، الذي اندلعت بعده «حرب الرمال» بين المغرب والجمهورية الفتية؟

مدن وآثار

مدينة الهوارية التونسية موطن «أمير السماء» الشامخة في قلب حضارات المتوسط

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

تُعرف الهوارية لدى التونسيين بجمالها الساحر وتنوع المشاهد فيها من خلال وجود الغابات والجبال والأراضي الفلاحية والبحر والجزر. لذلك يقصدها أبناء الخضراء وغيرهم هروبا من ضجيج العاصمة والمدن الكبرى بحثا عن الهدوء والراحة والسكينة في أحضان الطبيعة الآسرة للقلب والروح، وبحثا عن النسيم المتوسطي العليل النقي الصافي والمفيد للصحة.

ولا يقتصر الإقبال على الهوارية على فصل دون سواه، فالبلدة ومحيطها قبلة للزوار في كل الفصول تقريبا وخاصة في الصيف حيث يقصدها عشاقها من أجل السباحة في شواطئها الجميلة والنظيفة التي يجتمع فيها المصطافون القادمون من شتى مدن البلاد وخصوصا أبناء العاصمة الذين ملوا الضجيج. فبين سكان العاصمة ومنطقة الوطن القبلي التي تنتمي إليها الهوارية عشق قديم يعود إلى ما قبل قرطاج وتوارثته الأجيال جيلا بعد جيل.

والوطن القبلي، أو الرأس الطيب هو في الجغرافيا «جون» أو شبه جزيرة ممتدة في أعماق البحر الأبيض المتوسط الذي يحيط بها من ثلاث واجهات، وتقع الهوارية في آخر نقطة في هذا الجون التونسي الخلاب حتى كادت تلامس الأراضي الإيطالية. فلا تبعد صقلية عن الهوارية سوى 80 كيلومترا في حين أن الأخيرة تبعد عن مدينة تونس العاصمة 110 كيلومترات، وبالتالي فهي أقرب إلى الحواضر الإيطالية منها إلى عاصمة بلادها مدينة تونس.

وتشرف الهوارية على مضيق صقلية أو مضيق الوطن القبلي الرابط بين حوضي البحر الأبيض المتوسط الشرقي والغربي وهو معبر السفن التجارية والحربية والعسكرية التي تعبر قناة السويس باتجاه مضيق جبل طارق أو العكس. كما يمر قرب الهوارية وباتجاه البحر الأنبوب الذي ينقل الغاز الجزائري إلى إيطاليا عبر الأراضي التونسية، وهو ما يجعل الهوارية رغم عذريتها منطقة حيوية في الحركة الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط.

وتتبع الهوارية إداريا ولاية نابل الممتدة على كامل شبه جزيرة الوطن القبلي، وهي مدينة صغيرة من حيث عدد السكان وفيها بيئة طبيعية خلابة وعذراء وغير مستغلة كما يجب في النشاط السياحي. وتقع قبالتها جزيرة زمبرة الساحرة التي استغلت في وقت ما في رياضة الغوص وبني فيها فندق سياحي لكن استغلالها لم يتواصل وبقي التواجد مقتصرا فيها على الجيش التونسي شأنها شأن جزيرة زمبرتا المجاورة لها.

تسميات متعددة

يؤكد البعض على أن أول من أسس الهوارية هم الإغريق في رغبة منهم للسيطرة على مضيق صقلية وأطلقوا عليها تسمية هرميا، لكن لا شيء يثبت هذه النظرية خاصة وأن الإغريق لم يتجاوز نفوذهم في العصور الغابرة جزيرة صقلية الإيطالية التي سرعان ما افتكها منهم القرطاجيون وقبلهم الفينيقيون. كما يؤكد البعض على أن الهوارية سميت لاتومي من قبل حاكم سرقوسطة الذي غزاها أوائل القرن الرابع قبل الميلاد، وتعني لاتومي السجون وذلك بالنظر إلى تشابه كهوف الهوارية مع سجون سرقوسطة. لكن هذه الرواية يدورها غير مؤكدة باعتبار أن قرطاج في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد كانت في ذروة مجدها ولا يتصور أن سرقوسطة كانت قادرة على احتلال جزء من أراضيها في ذلك الزمن.

كما سميت الهوارية في الماضي بـ«أكيلاريا» أي أرض النسر وذلك بالنظر إلى بيئتها الملائمة لحياة الطيور الكاسرة ومنها النسور التي تمرح فوق جبالها وبحرها الأزرق الجميل، حتى أن نادي الكرة الطائرة للمدينة سمي «نسر الهوارية». كما أطلق الرومان على المدينة اسم ماركوريان لأنهم شيدوا بها معبدا للإله مركور أو عطارد وذلك بعد سقوط قرطاج إثر قرون من الهيمنة على البحر الأبيض المتوسط. ويرجع البعض التسمية الحالية، إلى اللغة القرطاجية ذات الجذور الفينيقية الكنعانية الشبيهة بالعامية التونسية المستعملة اليوم، وهي مركبة من كلمتين وهما «هوا» و «رية» أي المنطقة التي بها الهواء النقي المفيد للرئة والتنفس، ولعل التشابه بين لغة قرطاج واللغة العربية يعود إلى الجذور الكنعانية لكلا اللغتين.

أم القرى

تتميز الهوارية بكهوفها الجبلية التي تقع على بعد ثلاثة كيلومترات عن المدينة والتي هي في الأصل مقاطع للحجارة بنيت بها مدن فينيقية كثيرة مثل قرت حدشت أو القرية الحديثة أو قرطاج باعتبار أن القرية في اللغة القرطاجية القديمة هي المدينة باللغة العربية. وتتميز هذه الحجارة بأنها رخامية وصلبة وصامدة أمام متغيرات الزمن ويحبذها البناؤون في عملية التشييد وتكون على شكل أعمدة مستطيلة تصبح مربّعة الجوانب بعد أن يتم صقلها. كما بنيت من هذه الحجارة مدينة كركوان القريبة، وكذلك مدينة أتيكا أو عتيقة الفينيقية في شمال البلاد التونسية، وغيرها من المدن التي نقلت إليها هذه الحجارة بحرا بالسفن عبر خليج تونس.

ويرجح أنه بدأ استغلال هذه المغاور خلال القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح، وهي غرف تشبه الأهرام المنحوتة في الصخر، وتتصل ببعضها من خلال ممرات، ويتم الوصول إلى هذه المغاور من الأعلى عبر فتحات صغيرة. وما زالت هذه المغاور إلى اليوم يزورها السياح رغم أنه تم إغلاق بعضها خوفا من الإنهيارات وهو ما أضر كثيرا بالقطاع السياحي في هذه المنطقة العذراء الجميلة.

وللإشارة فقد بنيت بحجارة الهوارية المصقولة المدن الرومانية في شمال أفريقيا أيضا وذلك بعد سقوط قرطاج، كما بنيت بها أسوار مدينة تونس بعد الفتح الإسلامي وأيضا جامع الزيتونة وهو الجامع الأعظم لهذه المدينة. كما اقتلعت حجارة قرطاج من مبانيها وقصورها ومسارحها وساحاتها ومعابدها وحصونها وغيرها، وبيعت بعد الغزو الهلالي من قبل بني هلال إلى التجار الأندلسيين حيث بنيت بها تحف معمارية في مدن قرطبة وإشبيلية وبلنسية وغرناطة وغيرها.

وتوجد في أهم مغارات الهوارية صخرة كبيرة على شكل جمل جاثم على الأرض تثير فضول الزوار وحيرتهم. ولم يوجد تفسير دقيق بشأنها سوى أن الصدفة وحدها هي التي ساهمت في بروز هذا الشكل بعد قطع الحجارة وصقلها لبناء قرطاج وأخواتها من القرى والمدن.

موطن الصقور

يعتبر الرأس الطيب قرب مدينة الهوارية مقصدا لأنواع كثيرة من الطيور المهاجرة قدرها البعض بـ24 نوعا تستقر منذ قرون هناك لفترة ثم تواصل طريقها عابرة البحر الأبيض المتوسط باتجاه أوروبا في موسم الصيف. وتصل هذه الطيور إلى الهوارية في فصل الربيع قادمة من الجنوب حيث كانت تقضي فصل الشتاء في الأماكن الدافئة التي تقيها ثلوج وبرد القارة العجوز وصقيعها الذي لا يتحمله بشر ولا حجر من دون أجهزة التدفئة.

وقد اعتاد سكان الهوارية على هذه الطيور واعتادت عليهم فطوروا طرقا لصيدها في الربيع وخاصة الصقور، وذلك لاستغلالها في مهرجان سنوي للصيد، ثم يتم إطلاق سراحها لتواصل طريق هجرتها إلى حيث يلائم الطقس عيشها فتتكاثر وتنمو وتحافظ على البقاء وعلى التوازن البيئي. وقد خلدت عملية صيد الصقور هذه، لوحات فسيفسائية قديمة، وهو ما يعني أن هذا النشاط قديم قدم الإنسان على هذه الأرض وتوارثته الأجيال عبر العصور.

ويقوم أهالي الهوارية بصيد الساف أو الباشق منذ اذار/مارس بطريقتين تسمى الأولى النصابة، ويتم من خلالها وضع شباك متحركة في أعالي الجبال، فيما تسمى الثانية الغزول، ويتم من خلالها نصب شباك ثابتة في الغابة أين يبحث الساف عن فريسته فيتم الإطباق عليه. ويتم تدريب الساف طيلة ثلاثة أشهر على صيد الفرائس وجلبها إلى صاحبه ليتم في شهر حزيران/يونيو تنظيم المهرجان الذي يرتاده السياح التونسيون والأجانب.

ويسمى صيادو الساف «البيازرة» المطالبين بحسن الهندام في المهرجان، وكان استغلالهم للساف من أجل مساعدتهم في صيد الطيور والحيوانات التي تستغل للأكل مثل الحمام والسمان وغيره، ثم أصبح نشاطهم استعراضيا ترفيهيا سياحيا بالأساس يجلب الزوار من مختلف المناطق. وفي أيام المهرجان تقفز البلدة من أهلها الذين يطلقون على الساف لقب «أمير السماء» ويتحول الكل إلى حيث ينتظم المهرجان في مكان مرتفع يمكن من رؤية العروض بشكل جيد.

فيتم إطلاق طائر السمان ليلتحق به الساف ويقبض عليه في الجو وسط صيحات وهتافات الحاضرين شيبا وشبابا من سكان الهوارية وغيرها من المناطق القريبة والبعيدة. ويحصل ذلك بالتوازي مع استعراضات للفرق الموسيقية ومع قيام شعراء بإلقاء قصائد تتعلق بالساف وأهميته وخصاله.

ومن أبرز ما نظم من الشعر الشعبي في مدينة الهوارية قصيدة للشاعر عزوز بالحاج استلهمت من قصة صيد الساف وتدريبه لصيد السمان. وفي القصيدة يهرب الطائر ولا يعود متجاهلا وجود الفريسة فيرثيه الشاعر ويشتكي من «هجره». وفيما يلي أبيات من هذه القصيدة نقلت بتصرف في محاولة لتقريبها إلى الفصحى:

جفا منّي (ضاع منّي) في دورة ريح
هجرني تركني، وتركني مُضام (منكسر حزين)
أحببته ربّيته عاتي (قوي) وصحيح
ولا نمت ولا عرفت منام
وتركني في الجبل جريح
أنا جرحي كلّو آلام

أنشطة متنوعة

تحيط بالهوارية أراض فلاحية خصبة وكما الوطن القبلي وولاية نابل يتعاطى أصحابها النشاط الفلاحي. كما يتعاطى أهالها الصيد البحري وتعتبر أسماك الهوارية من أجود أنواع الأسماك وهو ما جعل البلدة تعرف بأكلة كسكسي الدرع أو الكسكسي بسمك الشلبة. ويتعاطى الهواريون أيضا أنشطة أخرى إدارية وخدماتية وتجارية وغيرها.

وفي المدينة نشاط سياحي هام تؤمنه بعض النزل والإقامات، وأيضا الجولات الترفيهية البحرية بمختلف أنواع الزوارق للإستمتاع بمناظر خلابة لا يمكن الوصول إليها إلا بحرا. وهناك أيضا الغوص باعتبار أن السواحل الصخرية عادة ما تكون بيئة ملائمة لنمو الشعب المرجانية ومكانا محبذا لتفريخ الأسماك وهو ما يوفر للغواص مناظر بديعة خاصة وأن هناك من يتحدث عن أن جزيرة صقلية الإيطالية مرتبطة تحت البحر مع الهوارية والوطن القبلي عموما بسلسلة صخرية من الجبال يغطيها البحر. أما جزيرة زمبرة والجزر المحيطة بها فلا يمكن الذهاب إليها إلا بترخيص من الجيش الوطني فهي غير مفتوحة للعموم رغم جمالها الآسر وسحرها الذي لا يوصف وقدرتها على جلب فئة أخرى من السياح.

وقد أضر غلق كهوف المقاطع القرطاجية كثيرا بالنشاط السياحي حيث عرفت الهوارية على الدوام بكهوفها التي كانت قبلة الزوار للتعرف على المكان الذي جلبت منه الحجارة التي بنيت بها قرطاج. لكن كهف الخفافيش الذي ما زال قبلة لزوار الهوارية بعد أن تمت تهيئته ما زال يجلب الزوار ويثير اهتمام هواة سياحة المغامرات والباحثين عن الجمال الخلاب.

كما بات مهرجان الصيد بالساف نشاطا سياحيا هاما في الهوارية وبات للساف ولطيور الهوارية عموما أحباء كثر وتأسست جمعيات هدفها رفع مستوى الوعي بأهمية الطيور وبضرورة حمايتها. وتم القيام بحملة لإدراج الصيد بالساف ضمن التراث اللامادي العالمي.

ومن أهم ما يلفت نظر القادم إلى الهوارية إلى جانب جزيرة زمبرة هو تلك النواعير أو المراوح الهوائية الجميلة التي تولد الكهرباء بطاقة الرياح. ويتعلق الأمر بالمحطّة الهوائية بسيدي داود الهوارية التي أقيمت بهدف استخدام الطاقات المتجدّدة.

ولعل من أجمل ما قيل في الهوارية ومهرجانها قصيدة من الشعر الشعبي العامي التونسي للحاج العربي صمود الملقب بالشاعر الغنائي للبيزرة، وهو من عشاق الهوارية وطائر الساف وتحمل القصيدة عنوان «الهوارية بلاد كيوف» أي بلد المتعة والراحة وجاء فيها:

الهوارية بلاد كيوف تجول فيها
ساعة وطوف
عندك يا أخي ما تشوف (ما ترى).

رياضة

فرص للثأر ومحو عار الفضيحة الكبرى في مستهل دوري أبطال أوروبا!

تشلسي يبدأ حملة الدفاعه عن لقبه أمام زينيت

لندن – «القدس العربي»: عادل منصور

أخيرا وبعد طول انتظار، سيجلس ملايين البشر أمام الشاشات في المنازل والمقاهي بعد 48 ساعة من وقت كتابة هذه الكلمات، لمشاركة صفوة نجوم كرة القدم والمحظوظين بمشاهدتهم في الدرجات، في جرعات «الأدرينالين» المجانية، التي تلمس القلوب وتخلط المشاعر، بمجرد سماع مقدمة اللحن الأسطوري لأنشودة دوري أبطال أوروبا، التي تذهب بالخيال إلى زمن المحاربين ومعارك العصور الوسطى، لما تحمل من سحر وطاقة إيجابية، تظهر بأثر فوري على وجوه اللاعبين وحماسهم داخل المستطيل الأخضر، بمجرد أن يطلق حكم الساحة صافرة بداية النزال.

محو العار

جسدت قرعة دور مجموعات ذات الأذنين هذا الموسم، المقولة الشهيرة «الحياة تعطيك أحيانا فرصة للانتقام»، وهذا لوجود أكثر من عملاقين بينهما حكايات قديمة في مجموعة واحدة، ومن حُسن حظ عشاق الكرة النقية، ستشهد الجولة الافتتاحية أكثر من لقاء انتقامي، وستكون البداية بأم المعارك والقمة الأكثر جماهيرية في سهرة الثلاثاء، التي تجمع برشلونة بجلاده الأعظم بايرن ميونيخ على ملعب «كامب نو»، ضمن منافسات المجموعة الخامسة التي تضم معهما بنفيكا البرتغالي ودينامو كييف الأوكراني، فيما سيكون أول صدام بين الكبيرين، منذ ما تُعرف بـ«فضيحة القرن»، حين انحنى البلوغرانا أمام خصمه البافاري 8–2 في ربع نهائي النسخة الاستثنائية قبل الأخيرة، التي لُعبت بنظام المباراة الواحدة بدلا من اثنتين بسبب موجة كورونا الأولى. ولا يخفى على أحد، أن الجمهور الكتالوني كان يمني النفس بالووقوع في أي مجموعة أخرى بعيدا عن دابته السوداء، لكن شاء القدر، أن يتجدد الموعد بينهما، وفي ظروف وأوقات ليست الأفضل للبارسا، بعد رحيل الهداف التاريخي ليونيل ميسي، الذي كان يمثل أكثر من 90% من القوة الضاربة للهجوم، فضلا عن الانتدابات الصيفية الخجولة، بضم أربعة لاعبين جدد، منهم ثلاثة سيرخيو أغويرو وإيريك غارسيا وممفيس ديباي بموجب قانون بوسمان، والرابع لوك دي يونغ جاء في الساعات الأخيرة بصيغة الإعارة من إشبيلية، لتعويض رحيل الأنيق أنطوان غريزمان إلى ناديه السابق أتلتيكو مدريد، وبقي الاستثناء الوحيد حتى الآن ديباي، الذي أبلى بلاء حسنا في أول الاختبارات الرسمية، في ظل معاناة الكون مع الإصابة، وظهور العائد من مانشستر سيتي بمستوى أقل من متوسط. وبوجه عام، تأكدت مخاوف المشجعين بشأن وضعية ومستقبل الفريق في مرحلة ما بعد البرغوث، بعد ملاحظة التذبذب في مستوى الفريق في أول ثلاث مباريات في حملة البحث عن استعادة لقب الليغا، رغم أنه جمع سبع نقاط، مثل ريال مدريد وباقي الفرق التي تتقاسم الصدارة بنفس رصيد النقاط.

قلق وأمل

ما يضاعف القلق الكتالوني، فارق الجودة الكبير بين العناصر المتاحة لكومان في قوامه الرئيسي وبين ما يمتلكه نظيره الألماني ناغلزمان من أسلحة فتاكة ومفاتيح لعب في كل المراكز، خاصة على الأطراف والثلث الأخير من الملعب، متمثلة في جواهر بحجم سيرجي غنابري وليروي ساني وجمال موسيالا، وأمامهم كبير الهدافين وأفضل لاعب في العالم روبرت ليفاندوسكي. وأظهرت المؤشرات أن الأداء الجماعي للفريق بدأ يتصاعد بعد صدمة بداية حملة الاحتفاظ بلقب البوندسليغا للمرة العاشرة، بالسقوط في التعادل مع بوروسيا مونشنغلادباخ، وما ساعده على استعادة نغمة الفوز بالطريقة المفضلة للمشجعين، بإحراز أكبر عدد ممكن من الأهداف في كل مباراة، الطريقة التي عاد بها في مباراة الجولة الثانية المثيرة أمام كولن، التي ظلت معلقة على نتيجة 2–2، إلى أن حسمها غنابري بالثالث، بعدها احتفل البايرن على مضيفه المغمور بنتيجة لا تحدث إلا في مباريات «البلاي ستيشن»، وصل قوامها 12–0، في الأدوار التمهيدية لكأس ألمانيا، ثم جاء الدور على المنافس العاصمي هيرتا برلين ليكون آخر ضحايا ناغلزمان وفريقه قبل فترة التوقف الدولي بخماسية بلا هوادة في الأسبوع الثالث للبوندسليغا.

وهذا يعني أن البايرن استعاد الكثير من شخصيته الحادة، التي رسمها لنفسه في حقبة فليك، كفريق مخيف لا يكل ولا يمل من تسجيل الأهداف طالما أن الحكم لم يطلق صافرة النهاية، في الوقت الذي ما زال يبحث فيه كومان عن التوليفة السحرية وأفضل إستراتيجية لعب تتماشى مع الجودة المتاحة في الوقت الراهن. لذا من ناحية المنطق وما يتقبله العقل، سيكون البايرن الطرف المرشح الأوفر حظا للفوز في قمة «كامب نو»، وليس بالضرورة بنتيجة عريضة، لاختلاف وضع سهرة الثلاثاء عن ليلة لشبونة السوداء، بفضل التسلح بأكثر من 30 ألف مشجع، قاموا بشراء تذاكر حضور المباراة، أملا في نجاح فريقهم في الثأر لوصمة العار، ولو بتحقيق أي انتصار معنوي، ليعطي اللاعبين الدفعة المطلوبة لمواصلة الانتصارات المحلية من جانب، ولتعزيز فرص الفريق في حجز المركز الأول في المجموعة، لتفادي ما حدث الموسم الماضي، حين ضاعت الصدارة في الجولة الأخيرة بعد السقوط أمام يوفنتوس بثلاثية نظيفة، على إثرها أرسل البلوغرانا إلى الـ16، التي وضعت كومان وفريقه في طريق باريس سان جيرمان، فهل ينجح المدرب الهولندي في اكتساب ثقة ودعم الجماهير برد اعتبار الفريق أمام مُذله؟ أم سيؤكد العملاق البافاري أن ما فعله في المباراة الأخيرة لم يكن ضربة حظ أو من قبيل الصدفة؟ هذا ما ستجيب عليه عقول المدربين وأقدام اللاعبين في آخر ساعات الثلاثاء.

تحالف ميلانو

في اليوم التالي لموقعة برشلونة والبايرن، سيكون هناك أكثر من قمة كلاسيكية ثأرية، والحديث عن معركة تكسير العظام، التي يخوضها ليفربول على ملعبه «أنفيلد» وأمام جماهيره، ضد العائد منذ زمن بعيد لأضواء ذات الأذنين ميلان العريق، في افتتاح مواجهات المجموعة الثانية المعقدة، التي تضم معهما حامل لقب الليغا أتلتيكو مدريد وعملاق البرتغال بورتو، فيما تندرج تحت مسمى «ملحمة كروية»، لحساسية المنافسة بين الفريقين، رغم أنه سيكون الصدام الثالث الرسمي التاريخي بينهما في أعرق بطولات القارة. لكن لا تنسى عزيزي القارئ أن المباراتين السابقتين هما نهائيا 2005 و2007، وكان الأول شاهد عيان على أكثر 5 دقائق إثارة وجنونا في تاريخ المسابقة، حين تمكن الزعيم ستيفن جيرارد ورفاقه من قلب الطاولة على بارتو مالديني وأندريا شيفتشينكو وباقي أساطير الروزونيري في تلك الحقبة، بفرض التعادل 3–3، بعد انتهاء الشوط الأول بتقدم مريح لممثل الطليان بثلاثية نظيفة، قبل أن تكتمل المهمة بالعودة من

برشلونة سيتذكر الخسارة الكارثية عندما يلاقي البايرن

ورغم ذلك، ستبقى قمة مفتوحة لكل الاحتمالات، والأمر هنا لا يتعلق بالفوارق الفردية والفنية بين الفريقين، بل لما تمثله النقاط الثلاث من أهمية لكلا الفريقين، لتجنب حدوث مفاجآت غير سارة مع أتلتيكو مدريد، خصوصا أصدقاء محمد صلاح، الذين سيتورطون في صدامين متتاليين مع التشولو دييغو سيميوني في الجولتين الثالثة والرابعة، ما يعني أن الخاسر من سهرة «آنفيلد»، لن يلوم في النهاية إلا نفسه، لأنها ستكون إشارة إلى دخوله في دوامة مع الفائز والمرشح الآخر أتلتيكو، إلا إذا أراد فريق المدرب سيرجيو كونسيساو تكرار ما فعله الموسم الماضي، بتخطي دور المجموعات ثم إزاحة الكبير يوفنتوس بقيادة كريستيانو رونالدو من ثمن النهائي، بأفضلية القاعدة القديمة باحتساب الهدف خارج القواعد باثنين في حالة التعادل في النتيجة، وأمر كهذا (تأهل بورتو من المجموعة الحديدية) لا يبدو مستحيلا في عالم الساحرة المجنونة.

تزامنا مع القمة الإنكليزية الإيطالية مساء الثلاثاء، ستكون هناك قمة أخرى إيطالية إسبانية ثأرية، بين حامل لقب جنة كرة القدم الإنتر، ووصيف بطل الدوري الإسباني ريال مدريد على ملعب «جوسيبي مياتزا»، في المجموعة الكربونية لمجموعة النسخة الماضية، بتواجد شاختار دونيتسك وشيريف تيراسبول المولودفي معهما، الفارق أن الأخير استبدل ببوروسيا مونشنغلادباخ، الذي فجر واحدة من كبرى مفاجآت دور المجموعات الأخير، باحتلال وصافة المجموعة على حساب المنافس الأوكراني وفريق أنطونيو كونتي، الذي بدوره ودع النشاط الأوروبي مبكرا، ليتفرغ للهدف الأهم بإعادة الكالتشيو إلى خزائن «جوسيبي مياتزا»، والآن وبعد نجاح المدرب السابق في تحقيق ما كان مطلوبا منه على المستوى المحلي، أصبح المدرب الحالي سيميوني إنزاغي مطالبا برد اعتبار وسمعة الكيان أمام القارة عموما والفريق الذي تسبب في خروجه بالأخص، وهو العملاق المدريدي، الذي تفنن في اصطياد الأفاعي ذهابا وعودة في حضور عراف الأبطال زين الدين زيدان، بفوز في «ألفريدو دي ستيفانو» 3–2، ثم بثنائية إيدين هازارد من علامة الجزاء وأشرف حكيمي بالنيران الصديقة في الجولة الرابعة. وما رفع سقف مستوى طموحات عشاق النيراتزوري، أن الفريق لم يظهر أي تباطؤ أو تأثر سلبي برحيل الثنائي المميز حكيمي وروميلو لوكاكو في النافذة الصيفية الأخيرة، ولا حتى برحيل مؤسس المشروع كونتي، بعد اكتساح جنوى وفيرونا أداء ونتيجة بالأربعة في افتتاح الكالتشيو وبالثلاثة في الجولة الثانية قبل عطلة الفيفا. في المقابل ما زال ميستر كارليتو يسابق الزمن، لإظهار بصمته وأفكاره بالطريقة التي يريدها لنفسه في ولايته الثانية مع اللوس بلانكوس، وفي ظروف مشابهة للإنتر، بعد رحيل أسماء مؤثرة في التشكيل الأساسي بحجم القائد الأسطوري سيرخيو راموس وشريكه رافاييل فاران، في ما يعتبر أشبه بالمعضلة أو الصداع المزمن في رأس المدرب، لقلة الاختيارات المتاحة في مركز قلب الدفاع، أو بالأحرى ضعف الخبرات والجودة في هذا المركز، في وجود شاب كإيدير ميليتاو وشركاء من نوعية ناتشو وفاييخو، بدون احتساب فيرلاند ميندي والوافد الجديد آلابا، كونهما ظهيرين ويفضلان شغل مركز المدافع الأيسر، لهذا بنسبة كبيرة ستكون مواجهة متكافئة، ولن تُحسم إلا بالتفاصيل البسيطة والحفاظ على التركيز طوال الـ90 دقيقة.

رونالدو سيقود كوكبة نجوم مانشستر يونايتد في المسابقة

ملامح المجموعات

بعيدا عن الموجهات الثلاث الثأرية المنتظرة هذا الأسبوع، ستكون هناك مباريات أخرى لتحديد الملامح الأولى للمجموعات الأخرى المعقدة، مثل مباراتي مانشستر يونايتد في أول ظهور أوروبي لكريستيانو رونالدو ضد يانغ بويز السويسري وفياريال ضد أتالانتا لحساب المجموعة السادسة، قبل أن تتاح للشياطين الحمر فرصة الرد على الغواصات الصفراء في قمة المرحلة الثانية، التي سيستضيفها «أولد ترافورد» يوم 29 الجاري، ولو أنه في كل الأحوال، ستكون المنافسة شرسة وقابلة لكل الاحتمالات، مثل وضع مجموعة الموت الحقيقية الأولى، التي تجمع أغنى ناديين في العالم باريس سان جيرمان ومانشستر سيتي ومعهما الحصان الأسود مناصفة مع أتالانتا آخر موسمين لايبزيغ، ذاك الفريق الذي أثبت عمليا أنه قادر على إحراج أي خصم في العالم، كما فعلها في النسخة قبل الماضية، بالوصول إلى نصف النهائي، ثم بالإطاحة بمانشستر يونايتد من دور مجموعات النسخة الأخيرة، قبل أن يتوقف أمام ليفربول في ثمن النهائي. وهذه الجولة، سيكون بيب غواردیولا وفريقه أمام اختبار ممثل مشروبات الطاقة العالمية، في الوقت الذي سيكون فيه العملاق الباريسي في ظهور ميسي الأول أوروبيا على موعد مع نزهة سهلة مع كلوب بروج، قبل موعد معركة الـ28 الجاري، التي ستجمعهما على ملعب «حديقة الأمراء»، في صدام ثأري بامتياز، بعد خروج «بي إس جي» على يد «السيتيزينز» في نصف النهائي، بالخسارة ذهاب وإيابا 2–1 في عاصمة الضوء وثنائية نظيفة في مانشستر، منها ثلاثة أهداف من إمضاء محارب الصحراء رياض محرز، لذا سيحاول كل من بيب وبوتشيتينو تجنب فصول البداية الباردة، حتى لا تكون العواقب وخيمة في الجولات القادمة. أما باقي مباريات الجولة الافتتاحية، ستكون لحساب المجموعات البسيطة، مثل مواجهتي مالمو ضد يوفنتوس في نفس توقيت مباراة زينيت أمام تشلسي للمجموعة الثامنة، وإشبيلية ضد سالزبورغ النمساوي، في نفس توقيت المباراة الأخرى للمجموعة السابعة بين ليل الفرنسي وفولفسبورغ الألماني، وبالمثل مباراتي المجموعة الثالثة بين بشكتاش التركي وبوروسيا دورتموند الألماني وسبورتنغ لشبونة البرتغالي ضد أياكس أمستردام... مشاهدة ممتعة للجميع.

أحلام رونالدو وميسي في 2022:

لندن – «القدس العربي»:

أحدهما أجبرته الظروف بطريقة أو أخرى على ترك إرثه التاريخي في «كامب نو»، بينما الغريم الأزلي اتخذ قرارا عاطفيا، بالعودة إلى ناديه الأسبق الذي صنع أسطورته بين 2003 و2009، وحدث ذلك بعد انفجار اثنين من أعنف القنابل الصحافية في تاريخ انتقالات اللاعبين، نظرا للهالة الإعلامية غير المسبوقة، خاصة تلك التي سبقت رحلة طيران ليونيل ميسي من برشلونة إلى باريس في أوج موسم هجرة اللاعبين، قبل أن يأتي الدور على كريستيانو رونالدو، ليسحب البساط من الجميع في آخر أيام النافذة، بروايات متضاربة عن وجهته المحتملة بعد انفصاله عن يوفنتوس، انتهت باستيقاظ عشاق مانشستر يونايتد على حلم عودة الابن الضال، دليلا على أن الثنائي الفضائي لم يكتف بالنجاحات والمعجزات التي حققها كل منهما على مدار أكثر من 15 عاما من المنافسة والغيرة العمياء الصحية داخل المستطيل الأخضر.

الهوس باللقب الشرفي

ربما لو سار البرغوث والدون على نهج جُل نجوم وأساطير اللعبة، إما بالتوقف عن اللعب على أعلى مستوى تنافسي أو بتعليق الحذاء في خريف العمر الكروي، منتصف الثلاثينات، لما أثير هذا الجدل وحدثت تلك البروباغندا سواء في وسائل الإعلام الرياضية أو عالم مواقع التواصل الاجتماعي، لكن ذهاب أعجوبة الأرجنتين إلى فريق أحلام باريس سان جيرمان وعودة البرتغالي إلى معقل يونايتد، أحدث رواجا للصحف والمواقع الرياضية من جانب، ومن جانب آخر ساهم بـ«الأرقام» في حدوث قفزات مجنونة لحسابات بي إس جي واليونايتد في مختلف مواقع «السوشيال ميديا»، وصلت لحد تجاوز المليون إعجاب في أول ساعة في ردود أفعال جماهير مانشستر على التغريدة الرسمية لعودة صاروخ ماديرا بعد 12 عاما من الانفصال، بعد حصول ليو على نفس التفاعل الخرافي في إعلان ضمه للعملاق الباريسي.

ويرجح السبب الرئيسي لهذا الصخب، تلك الرسائل التي أراد الثنائي إيصالها للعالم، في ما تعرف إعلاميا بـ«الرقصة الأخيرة» لميسي وورونالدو في هرم المنافسة على الجوائز الجماعية والفردية المرموقة في أوروبا، لعل أبرزها وأكثر ما توقف أمامها النقاد والمتابعين، تمسك وإصرار كل لاعب بالمضي قدما في طريقه وحياته المفضلة، والحديث عن «هوس» تحطيم ما تبقى لهما من أرقام قياسية، طمعا في نيل اللقب الشرفي «GOAT» (الأفضل في كل العصور)، كأفضل هدية لصناع المحتوى والمتخصصين في شغف الإحصائيات، لتسليط الضوء على التحديات أو بالأحرى أبرز الأرقام القياسية الإعجازية، التي يبحث عنها كل أسطورة في مغامرته الجديدة، ليبقي على آماله في تعزيز مكانه في صدارة الأفضل على مر التاريخ، بدون التوقف عن حصد الألقاب الجماعية ومواصلة الهيمنة على الجوائز الفردية الكبرى.

هز عرش صلاح

بالنظر إلى الأرقام والتحديات الجديدة التي يتطلع إليها كريستيانو بعد عودته إلى البريميرليغ، سنجد أن منها معركة خاصة مع النجم المصري محمد صلاح، لتحطيم رقمه الأسطوري بتسجيل 32 هدفا في الدوري 2017–2018، كأكثر لاعب تسجيلا للأهداف في موسم واحد، متجاوزا الرقم المشترك بين آلان شيرر وكريستيانو، بواقع 31 لكل مهاجم في موسمي 1995–1996 و2007–2008، ومع عدم ظهور علامات التباطؤ على أيقونة البرتغال، حتى مع اقترابه من كسر حاجز الـ37 عاما، كما أثبت بشكل عملي مع يوفنتوس الموسم الماضي، بحصوله على جائزة هداف جنة كرة القدم برصيد 29 هدفا، ومؤخرا قدم دليلا جديدا على أن السنين مجرد أرقام له، باعتلاء صدارة هدافي منتخبات العالم، بفضل ثنائيته في مرمى ايرلندا في التصفيات المؤهلة لكأس العالم، التي نصبته ملكا لهدافي المنتخبات بـ111 هدفا، بفارق هدفين عن صاحب الرقم القياسي السابق الإيراني علي دائي، فلن تكون مفاجأة إذا استعاد رونالدو رقمه السابق من صلاح، وبطبيعة الحال لوجوده في مشروع أكثر جودة وامتلاكا لمفاتيح لعب في الثلث الأخير من الملعب، من نوعية برونو فيرناندیز وبول بوغبا وجادون سانشو ولوك شو وماركوس راشفورد وإدينسون كافاني، مقارنة بنفس الأسماء التي كان يرافقها في «يوفنتوس آرينا»، أو على أقل تقدير سيقترب بشدة من هز عرش الفرعون ورقمه الخالد، وهذا واحد من أهداف وأحلام هداف ريال مدريد التاريخي في 2022، ليضرب عدة عصافير بحجر واحد، منها على سيرة أبو صلاح، مرافقته في نادي المائة، مع اقتراب الأخير من كسر حاجز الـ100 هدف في الدوري الأكثر شهرة في العالم، في ما يتبقى لكريستيانو 16 هدفا لضمان التواجد في نفس القائمة، بعدما غادر «أولد ترافورد» في 2009 وفي سجله 86 هدفا على مستوى البريميرليغ من أصل 118 هدفا في مختلف المسابقات.

ما بعد الـ100

كما سيكون من القلائل الذين نجحوا في تسجيل 100 هدف أو أكثر في اثنين من أقوى الدوريات الأوروبية منذ بداية الألفية الثالثة، مثل زلاتان إبراهيموفيتش وإدينسون كافاني في ايطاليا وفرنسا، والأرجنتيني غونزالو هيغواين، لكن ما يميز إنجاز رونالدو المنتظر، أنه سيكون أول لاعب في التاريخ يفعلها على مستوى البريميرليغ والليغا. ولأن رونالدو يستمد طاقته بتسجيل الأهداف والاحتفال بهز شباك المنافسين، سيكون من ضمن أهدافه في ختام موسم 2021–2022، التتويج بجائزة الحذاء الذهبي، كأفضل هداف في الدوري الإنكليزي، لينفرد بالرقم القياسي، كأكبر هداف يحصل على هذه الجائزة، حيث سيتجاوز الرقم المسجل باسم قناص ليستر جيمي فاردي، الذي ظفر بالجائزة الموسم قبل الماضي بعمر 33 عاما، بجانب تعزيز مكانه في صدارة الهدافين التاريخيين لدوري أبطال أوروبا بـ134 هدفا، بفارق 14 هدفا عن ميسي، وكي يحافظ على فارق الأمان مع البرغوث، سيتعين عليه محاكاة إنجازه السابق، عندما سجل في نسخة واحدة لذات الأذنين 17 هدفا، أو على الأقل سيحتاج هز شباك المنافسين 13 مرة، ليكسر الرقم المسجل باسم الهولندي رود فان نيستلروي، كأفضل هداف لليونايتد في موسم واحد في الأبطال، بواقع 10 أهداف في موسم 2001–2002 و12 هدفا في الموسم التالي، ويتبعه كريستيانو في المرتبة الثالثة بثمانية أهداف في آخر مرة توج فيها الفريق بالأبطال نسخة 2007–2008.

وتشمل أهداف وأحلام رونالدو المشروعة، كسر الرقم الآخر لنيستلروي، كثاني أفضل هداف في تاريخ مانشستر يونايتد في موسم واحد في مختلف المسابقات، بـ44 هدفا، ثم التفكير في تحطيم الرقم القياسي لدينيس لو، صاحب الـ46 هدفا على مدار موسم 1963–1964، علما أن رونالدو يتبعهما في المركز الثالث بـ42 هدفا سجلها خلال 49 مباراة في موسم 2007–2008، فضلا عن استعادة هوايته المفضلة بتسجيل «هاتريك» في مباراة واحدة، ليكون أكبر معمر يتمكن من تسجيل «هاتريك» في البريميرليغ، لكن ليس قبل الاحتفال بعيد ميلاده الـ37، ليتجاوز رقم تيدي شيرينغهام مع بورتسموث في 2003، حين زار شباك شيفيلد يونايتد 3 مرات بعمر 37 عاما و146 يوما، فيما يبقى الرقم الأصعب والأكثر تعقيدا، هو إزاحة الفتى الذهبي وين روني من صدارة الهدافين التاريخيين للنادي، وهذا الإنجاز يتطلب تسجيل 136 هدفا لتضاف إلى رصيده القديم 118 هدفا، ليتخطى الـ253 هدفا التي تركها زميل الأمس في إرثه، أما الهدف الجماعي الأسمى، فهو إعادة الكيان إلى مناص التتويج، وبالتحديد إلى منصة التتويج بلقب البريميرليغ، ليكون «عراب» اللقب الذي ينتظره عشاق النادي منذ تقاعد الأسطورة اليكس فيرغسون في 2013، وبنفس الأهمية سيضع دوري الأبطال نصب عينيه، ليوسع الفارق في عدد مرات التتويج بينه وبين ميسي، بالوصول للمرة السادسة، مقابل أربعة للنجم الأرجنتيني، وبالتبعية ستتضاعف فرصه أكثر من أي وقت مضى، في تحقيق ما يريده، بحصد الكرة الذهبية، كأفضل لاعب في العالم للمرة السادسة في مسيرته، ليعادل رقم ليو.

أحلام البرغوث

بالنسبة لميسي، فحاله لا تختلف كثيرا عن كريستيانو، هو الآخر أخذ وضعية الاستعداد لتغيير الحقائق والمسلمات المتعارف عليها في فرنسا، ليكمل سيرته الذاتية مع المعجزات، التي سيتحاكى ويتفاخر بها الأحفاد بعد عقود، بحصيلة لا بأس بها من الأرقام الاستثنائية سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، كما اعتاد على سحر العالم طوال سنواته في «كامب نو»، التي خرج منها بـ474 هدفا على مستوى الليغا، كأفضل هداف في تاريخ المسابقة، بخلاف أهدافه الـ120 التي سجلها في دوري الأبطال. ولعل أقرب حدث أو رقم فارق ينتظره ليو، وربما يتحقق في التجمع الدولي المقبل أو الذي يليه، هو تخطي رقم الجوهرة السوداء بيليه في عدد الأهداف الدولية على مستوى القارة، حيث يحتاج بطل كوبا أميريكا هدفين فقط ليرفع رصيده إلى 78 هدفا بقميص التانغو، ليتجاوز رقم بيليه الصامد منذ عقود، كأفضل هداف دولي في القارة اللاتينية، ثم بعد ذلك سيركز على هوايته المفضلة بتحطيم الأرقام، سواء التي يتشارك فيها مع كريستيانو، أو التي يتطلع إليها في فرنسا، بما في ذلك التحدي الخاص مع السلطان زلاتان إبراهيموفيتش، باستهداف أرقامه القياسية التي لم يقترب منها كيليان مبابي أو أي لاعب آخر، منذ رحيله عن «حديقة الأمـراء» عـام 2016. أول هذه الأرقـام، إنهاء حملة الليغا بـ38 هدفا أو أكثر، لمعادلة إنجاز إبرا في الدوري الفرنسي، كأفضل هداف في تاريخ المسابقة في موسم واحد، بينما الثاني، تكرار ما فعله مع برشلونة 5 مرات، بتسجيل 10 أهداف أو أكثر في حملة دوري الأبطال، ليتجاوز رقم زلاتان، حين سجل 10 أهداف بالقميص الباريسي في نسخة 2013–2014، وهو ما لم يفعله أي لاعب باريسي منذ ذلك الحين. أما التحدي الثالث مع أسطورة السويد، فهو إنهاء الموسم بـ50 هدفا على الأقل، ليعادل إنجاز السلطان التاريخي، علما أن ميسي فعلها مع برشلونة 6 مرات، منها موسم ختمه بـ73 هدفا في كل البطولات 2011–2012. وبعيدا عن إبرا، سيبحث عن تكرار إنجازه السابق مع البلوغرانا، بتسجيل أربعة أهداف في مباراة واحدة ثماني مرات، ليكون أول لاعب باريسي يتجاوز الأربعة أهداف في مباراة واحدة، بعد توقف تسعة لاعبين عند هذا الرقم، ونفس الأمر على الصعيد القاري، حيث سيبحث عن استعادة ليالي الهاتريك الأوروبية، ليفض الشراكة مع كريستيانو، بواقع 8 «هاتريك» لكل لاعب، وبالتبعية سيواصل الضغط على غريمه في لعبة تقليص فارق الأهداف بينهما في أعرق كؤوس القارة الأوروبية، والأهـم أنـه يتـشـارك مـع الآخـر في الهدف الرئيسي، هو الجمع بين لقب الـدوري المحلي ودوري الأبطال، أو على أقل تقدير بالكرة الذهبية السابعة العـام المقبل، إذا أفلتت منه أو من رونالدو هذا العام، والسؤال الآن: من سينجح في تحقيق الجزء الأكبر من أحلامه وأهدافه في «الرقصة الأخيرة» على مسرح الكرة العالمية؟

ما هو الاستثناء في بطولة كأس العرب المقبلة؟

لندن – «القدس العربي»:
جواد صيدم

عند استضافة بطولة كأس العالم، يقيم البلد المستضيف عادةً بطولة تحضيرية وتجريبية تسبق المونديال بعام واحد. ومنذ عام 2001 وصولاً لعام 2017 قام الفيفا بتنظيم كأس القارات التي خضعت لجملة من التعديلات منذ بدايتها. لكن فكرة البطولة كانت قائمة على تنافس بطل كأس العالم الأخيرة، والدولة المستضيفة لكأس العالم في العام التالي وأبطال قارات العالم الست، على اللقب. لكن البطولة خضعت لتعديلات كثيرة خلال فترة تبنيها ولم تصل لمستوى طموحات ونجاحات البطولات القارية والدولية، ليعلن الفيفا في 2019 أن البطولة لن تقام مرةً أخرى.

اليوم، ونحن على أعتاب استضافة حدث تاريخي وفريد من نوعه، قرر الفيفا ومعه مجهود سنوات من التألق الكروي العربي، أن يجاري أهمية هذه المناسبة من خلال استقطاب بطولة جديدة. ولأن المونديال العربي الأول هو حدث استثنائي، فلا بد أن تسبقه بطولة استثنائية قادرة على الأداء والتميز للوصول إلى سقف طموحات الجماهير التي تنتظر المونديال الأكثر جهوزية وشمولية في العالم. إذ أعلن الفيفا أن بطولة جديدة باسم «كأس العرب» ستقام بنهاية نوفمبر/تشرين الثاني المقبل في قطر، البلد المضيف لكأس العالم العام المقبل. كما أن البطولة ستكون النسخة العاشرة لـ«كأس العرب» التي انطلقت في 1963، لكنها ستكون الأولى تحت مظلة واعتراف الفيفا الذي ارتقى بها، برفقة امكانات وتجهيزات دولة قطر إلى مستوى جديد كلياً سيجعلها أكثر تنافسية وأرقى من نسخها السابقة.

فالبطولة الأصلية انطلقت في لبنان، بدون تحديد موعد محدد لإقامتها، بسبب الظروف المختلفة للاتحادات القارية، ولم يكن شرطا مشاركة المنتخب الأول للبلدان في البطولة، إذ كانت تُرسل منتخب الشباب أو الأولمبي. كما استضافت السعودية، النسخة الأخيرة في 2012، والتي شهدت مشاركة 11 منتخبا. إذ توج فيها المنتخب المغربي، على حساب الليبي بركلات الترجيح.

أما كأس العرب 2021، فهي تشمل 16 منتخباً عربياً، بينهم 7 منتخبات انضموا حديثاً في الشهور الماضية إلى المنتخبات الـ9 الذين تأهلوا مسبقاً. كما ستقام البطولة على 6 ملاعب، 4 منها مونديالية تستضيف مباريات كأس العام العام المقبل. وباستخدام القرعة، تم تقسيم أربعة مجموعات، تحوي كل منها أربعة منتخبات. ويتأهل الأول والثاني لربع النهائي في دور خروج المغلوب، وصولاً لنصف النهائي ومن ثم المباراة النهائية.

الكثير من الحماس والشغف يسبق هذه البطولة الفريدة والمميزة، خصوصاً بعد تبني الفيفا لها، وهو إنجازٌ عظيم وتاريخي ونتاجاً لجهد عربي تراكمي على مدار السنوات الماضية. فخلال الأعوام العشرة الماضية رأيناً زيادة ملحوظة في أعداد اللاعبين العرب على المسارح الكروية الأكبر كما في الدوريات الخمسة الكبرى في أوروبا. ما يدل على كمية الإصرار والدافعية عند المواهب العربية الشابة للرقي بأسمائهم وبمكانة بلدانهم على أكبر المسارح الدولية.

فمن أسماء عالمية تنافس على أعلى مستوى في الملاعب الأوروبية كمحمد صلاح ورياض محرز ومحمد النني وحكيم زياش ورومان سايس ورامي بن سبعيني وعيسى ماندي وياسين بونو ويوسف العربي ومنير الحدادي ويوسف النصيري وسعيد بن رحمة ومحمود تريزيغيه واسماعيل بن ناصر وأشرف حكيمي والقائمة تطول، وصولاً إلى أسماء شابة تحمل في جعبتها الكثير من السحر والطاقة وما زالت تخطو خطواتها الأولى على أعتاب العالمية، كالشاب الفلسطيني عدي الدباغ، هداف الدوري الكويتي وبطل الدوري المحلي السابق والمنتقل حديثاً لأوركا البرتغالي، والشاب المغربي أمين الحارث نجم شالكه الألماني، والشاب المغربي أسامة أدريسي مهاجم إشبيلية، والكثير من المواهب العربية في الدوريات الأوروبية الكبرى التي لم تدلي بسحرها بعد. عدا عن الكثير من المواهب العربية التي تشارك في دوريات بلدانها المحلية والتي لم تظهر على الصعيد العالمي بعد. كل هذه الأسماء والدوافع هي مؤشرات على أن كأس العرب سيكون محفلاً لكرة القدم الحديثة والجميلة والغنية بالسحر والمتعة التي ينتظرها أي متابع لكرة القدم اليوم.

معركة اقامة كأس العالم كل سنتين!

البعض أسماها حرباً، لكن سأكتفي بوصفها «معركة»، تلك الفكرة التي يقودها الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) للترويج لفكرة اقامة كأس العام كل عامين بدءاً من مونديال 2026.

رئيس الفيفا جاني انفانتينو يتعامل مع هذه الفكرة وكأنها طرحت عليه من الخارج، ولا علاقة له بتنسيقها وتشجيعها، ليتفادى وصول قذائف المعارضين صوبه، كي لا يتهم بـ«الجشع» وتضخيم الروزنامة الكروية لادخال المزيد من المال إلى منظمته العالمية على حساب راحة اللاعبين الجسدية والنفسية، مطلقا العنان لمدرب أرسنال السابق ومدير التطوير في الفيفا حاليا الفرنسي آرسين فينغر، بطرح الفكرة علناً ومناقشتها مع كوكبة من النجوم السابقين من مختلف الجنسيات، لتبدو انها تلقى قبولاً. ووفقا لفينغر، ستكون الفكرة بإقامة نهائيات كل صيف انطلاقا من موسم 2025–2026، بالتناوب بين كأس العالم والبطولات القارية مثل كأس أوروبا وكوبا أميريكا، مع تجميع التصفيات في شهر واحد، يكون تشرين الأول/أكتوبر، أو في شهري أكتوبر وآذار/مارس.

وفي حين أن الفكرة ذكرها فينغر للمرة الاولى قبل نحو 6 شهور، الا أن انفانتينو ظل محايداً، قائلاً إنه منفتح على «كل شيء» لإصلاح الروزنامة، متظاهرا بأنه حصن واحد ضد عدم المساواة في كرة القدم. فمن الناحية السياسية، هذه هي الحجة الرئيسية للفيفا، لأن اقامة كأس العالم كل عامين يعني المزيد من الدخل المعاد توزيعه على وجه الخصوص على الاتحادات الإفريقية أو الآسيوية أو الأمريكية الجنوبية والتي تعتمد على هذه الأرباح اكثر من كرة القدم الأوروبية المزدهرة، وهذا أمر ايجابي بحد ذاته. ورغم ان النقطة الرئيسية للمعارضين تستند على انهاك اللاعبين، الا ان فينغر تفادى مغضلة مخاطر إرهاق اللاعبين الدوليين، باعتبار أنهم سيخوضون عددا أقل من الرحلات الطويلة وسيستفيدون من «25 يوما على الأقل» من الراحة بعد منافساتهم الصيفية مع منتخباتهم. لكن رئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (يويفا) الكسندر شيفيرين دان هذا الاقتراح في منتصف حزيران/يونيو الماضي، واعتبره «مستحيلا»، واندلع الجدل مجددا وبشكل خاص هذا الأسبوع، قبل شهور من «القرار» الذي وعد باتخاذه إنفانتينو في كانون الأول/ديسمبر المقبل. وأكد شيفيرين أن إقامة كأس العالم كل عامين «من شأنها أن تضعف جوهر كرة القدم» التي تعتمد جاذبيتها التي لا مثيل لها على إيقاعها الرباعي الثابت منذ عام 1930 للرجال و1991 للسيدات. فيما قالت رابطة الأندية الأوروبية إنه لا يوجد «مكان» في الروزنامة الحالية لبطولة نهائية كل عام، مبينة أنها لم تتلق «أي اقتراح ملموس» من الفيفا لمناقشته. ووعد المنتدى العالمي لرابطات كرة القدم بـ«معارضة» مثل هذا المشروع الذي يخدم «المصالح قصيرة المدى» للفيفا على حساب «اقتصاد كرة القدم وصحة اللاعبين». لكن فينغر ومجموعة من اللاعبين والمديرين السابقين وسفراء الهيئة العالمية الذين اجتمعوا في الدوحة أشادوا بإقامة كأس العالم كل سنتين، وكانت لهم حجيجهم القوية، لدعم الفكرة.

بالنسبة لي فكرة اقامة المونديال كل 4 سنوات، المستحدثة منذ 90 سنة، عفى عليها الزمن، خصوصا انه إلى اليوم هناك 133 دولة عضواً في الفيفا لم تتأهل مطلقا إلى نهائيات كأس العالم. ورغم انني كنت أحبذ استحداث فكرة التصفيات العالمية عوض رفع عدد المنتخبات المشاركة في النهائيات إلى 48، لكنني أميل أكثر إلى تقبل هذه الفكرة من منطلق أن النجوم الذين لم يحصلوا على فرصة المشاركة في المونديال بسبب الاصابة او الاخفاق في التأهل سيفقدون الفرصة بسبب تباعد زمن المشاركة في المونديال التالي، على غرار مع حصل مع أفضل مدافع في العالم فيرجيل فان دايك الذي شارك مع منتخب بلاده في سن متأخرة (26 عاماً) وعندما بزغ نجمه أخفق منتخب هولندا في التأهل إلى مونديال 2018، ولو يخفق مجدداً في التأهل لمونديال الدوحة العام المقبل، فان هذه الموهبة البالغة اليوم 30 عاما لن تعرف طعم المشاركة في كأس العالم، بالاضافة إلى نجوم كثير مثل الويلزي غاريث بيل، وزملائه السابقين راين غيغز وايان راش ومارك هيوز، فالفرصة تبقى أكبر لو أقيم المونديال كل عامين، ومثلما قال الظاهرة البرازيلي رونالدو، وهو أحد المجتمعين في الدوحة أنه «إذا سأل أحد ميسي ورونالدو عن رأيهما في هذه الفكرة سيقولان نعم».

وفي حين ان بعض الاصوات المعارضة، تعتبر أن اقامة المونديال كل عامين سيفقده سحره وهيبته، فان الجواب ببساطة هو النظر إلى دوري أبطال اوروبا، الذي يقام كل عام، وبيسير من نجاح إلى نجاح، وتزداد شعبيته، لكن قبل كل شيء، ومهما كانت ردود الفعل، فإن الفيفا يحمل مفتاح القرار النهائي الذي سيتخذه في نهاية العام، وسيعود إما إلى مجلسه التنفيذي أو إلى الكونغرس، اعتمادا على التغييرات المعتمدة في نظامه الأساسي، والمعارضون المعلنون للمشروع هم أقلية في الوقت الحالي. لكن حتى لو نجح الفيفا، فلا شيء يقول إن الأندية الأوروبية، حيث يلعب أغلب اللاعبين الدوليين، ستوافق على الاستغناء عن خدمات لاعبيها لعدة شهور في السنة وتتحمل مخاطر إضافية للإصابة، فلننتظر ونرى ان كانت هذه المعركة ستتحول إلى حرب ضروس في الأسابيع المقبلة.

@khaldounElcheik

مجتمع

الأمم المتحدة: تغير المناخ يتخذ منحى كارثيا والإنسان هو السبب

خلص تقرير صادر عن جامعة الأمم المتحدة إلى أن الكوارث المناخية والأوبئة لها مسببات واحدة، بالرغم من تباعد أماكن حدوثها، ورسم التقرير صورا مأساوية لتبعات هذه الأزمة في حال إهمال معالجتها بشكل جدي وعاجل.

وقد باتت التغيرات المناخية على غرار موجة البرد في ولاية تكساس الأمريكية وأسراب الجراد الذي ألحق الضرر بشرق إفريقيا وانقراض أنواع من السمك في الصين من المؤشرات المنذرة بتطورات سلبية في مجال المناخ. ورغم أن هذه الكوارث البيئية وقعت في أماكن مختلفة من العالم وتفصلها حدود ومحيطات، إلا أن لها القاسم المشترك ذاته المتمثل في التأثير على النظم البيئية والمجتمعات بأكملها.

هذه نتيجة تقرير نشرته جامعة الأمم المتحدة، ومقرها طوكيو، الأربعاء 9 أيلول/سبتمبر 2021. فقد توصل العلماء إلى أن بعض أسوأ الكوارث في العامين الماضيين متعلقة ببعضها البعض، وفي كثير من الحالات مصدرها التصرفات البشرية.

وفي هذا السياق تقول زيتا سيبيسفاري، العالمة البارزة في جامعة الأمم المتحدة والمؤلفة الرئيسية للتقرير: «عندما يرى الناس الكوارث في نشرات الأخبار، فغالباً ما يبدو الأمر بالنسبة لهم بعيداً، ولكن حتى الكوارث التي تقع على بعد آلاف الكيلومترات ترتبط ببعضها».

أزمات متداخلة

وبحسب التقرير، فهناك ثلاثة أسباب جذرية تؤثر على تطور هذه الكوارث البيئية، وهي حرق الوقود الأحفوري وإدارة المخاطر البيئية بشكل سيء وعدم أخذ موضوع التغييرات البيئية بجد، عند اتخاذ القرارات.

وتم ربط العديد من هذه الأسباب بعوامل المناخ، فقد أدى الاحتباس الحراري إلى تفاقم موجة الحر في القطب الشمالي التي ربما تكون قد أدت إلى موجة باردة في ولاية تكساس الأمريكية، علما أن العلماء ما زالوا يناقشون هذه النظرية.

وفي فيتنام، تسببت سلسلة من تسع عواصف منفصلة وأمطار غزيرة وفيضانات في إحداث الفوضى في جميع أنحاء البلاد على مدى شهرين فقط. بالإضافة إلى الإعصار المميت الذي ضرب بنغلادش بسبب تغير المناخ ناهيك عن تأثيرات جائحة كورونا على الحياة العامة.

جاك أوكونور من الفريق المؤلف للتقرير في جامعة الأمم المتحدة يرى أن مثل هذه الكوارث «تؤثر على بعضها البعض». فملاجئ الطوارئ لحماية الأشخاص من الطقس القاسي لا يرغب الكثيرون في استخدامها خوفا من عدوى فيروس كورونا. وعندما يضرب الإعصار يلحق الضرر بالمستشفيات ويعطل خطوط الإمداد اللازمة لعلاج المرضى، ما يزيد الطين بلة. ويضيف أوكونور: «من الصعب التفاعل مع الإعصار ووضع الجائحة في الاعتبار، ما يضعنا أمام تحديات جديدة في المستقبل».

الطقس القاسي على نحو متزايد

ويأتي تقرير جامعة الأمم المتحدة بعد أسبوع من نشر المنظمة العالمية للأرصاد الجوية تحليلا يُظهر أن كارثة مرتبطة بالطقس حدثت كل يوم في المتوسط على مدى السنوات الخمسين الماضية. وجاء في تقرير المنظمة العالمية أيضا أن الكوارث من الأعاصير والجفاف تسببت كل يوم في مقتل 115 شخصا وتسببت في خسائر فادحة.

ورغم ذلك فالعدد الإجمالي للوفيات بسبب الطقس آخذ في الانخفاض ويرجع ذلك في الغالب إلى التقدم في أنظمة التنبؤ والإنذار المبكر، ويقوم المسؤولون بإجلاء الناس قبل أن تحل العواصف والفيضانات. لكن من غير الواضح ما إذا كان الوضع سيبقى على ما هو عليه إذا استمر ارتفاع درجة حرارة كوكب الأرض وتداخل الكوارث مع بعضها البعض.

ومن المحتمل أن يكون التأثير البشري قد زاد بالفعل من حدة الوضع منذ الخمسينيات، وفقا لتقرير صادر عن الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ الذي نُشر في آب/أغسطس الماضي. فعلى سبيل المثال، تحدث موجات الحر والجفاف في انسجام أكبر في جميع أنحاء العالم، وفي بعض المناطق، يمكن رؤية اتجاهات مماثلة للأمطار الغزيرة وعواصف وحرائق. وعلى الرغم من تعهد قادة العالم بالحد من ارتفاع درجة الحرارة إلى درجة ونصف درجة مئوية بشكل مثالي بحلول نهاية القرن إلا أن سياساتهم الحالية تسير في الاتجاه المعاكس.

الأزمات البيئية والمناخية

يسلط التقرير الضوء على ثلاثة أمثلة للأزمات البيئية التي ترتبط ارتباطا وثيقا أيضا بتغير المناخ. حوالي 25 في المئة من الحاجز المرجاني العظيم في أستراليا تعرض للتلف بشدة العام الماضي وأيامه أصبحت معدودة. وسوف تنخفض الشعاب المرجانية بنسبة 70 إلى 90 في المئة إذا وصل الاحترار العالمي إلى درجة ونصف درجة مئوية تقريبا، وستنقرض جميع الشعاب المرجانية في العالم إذا وصل الاحترار العالمي درجتين مئويتين.

وفي غابات الأمازون المطيرة تم حرق مساحات من الأشجار لتلبية الطلب العالمي على اللحوم، سواء باتاحة الأراضي لرعي الماشية أو زراعة فول الصويا لتغذيتها. وقد أدى ذلك إلى تقليل كمية التلوث الكربوني الذي يمكن للغابة أن تمتصه من الغلاف الجوي. وتشير بعض الدراسات إلى أن إزالة الغابات والاحترار العالمي سيسرعان «موت الغابات» ونقطة تحول غابات الأمازون إلى سافانا جافة.

في نهر اليانغتسي بالصين تم القضاء على سمكة الجداف الصينية العام الماضي بعد عقود من الصيد الجائر والتلوث وبناء العديد من السدود التي قطعت الطريق عن الأسماك للوصول إلى الأماكن التي تضع فيها بيضها. وكما هو الحال مع الشعاب المرجانية يمكن أن يكون فقدان نوع ما في النظام البيئي كافيا للتأثير سلبا على توازنه.

(DW)

المقلقل

المكوّنات

نصف كيلو لحم خروف
100غم لية خروف (شحم)
حبة طماطم متوسطة الحجم مقطعة
بصلة متوسط الحجم مقطعة مربعات
نصف حبة فلفل أخضر مقطع مربعات
4 فصوص ثوم مهروس
قرن فلفل حار مفروم
مرق لحم
ملعقة كبيرة خل
3 ملاعق دبس رمان
نصف ملعقة صغيرة من البهارات:
كمون مطحون
كزبرة مطحونة
فلفل اسود مطحون
ملح
بهارات مشكلة
التزيين:
نصف ربطة كزبره طازجة مفرومة
نصف ربطة بقدونس طازج مفروم

طريقة التحضير

نذيب الشحم ونضيف اللحم بعد ما نقطعه قطعا صغيرة ونضعه في قدر حتى يستوي ويتحمر.
نضيف البهارات ونقلبها.
نضيف البصل حتى يذبل بعدها الطماطم وباقي الخضار.
نقلب اللحم والخضار مع بعض ونضيف مرق اللحم ونقلبهم حتى تسبك.
نطفئ النار ونضيف الخل ودبس الرمان.
نرش على الوجه الكزبرة والبقدونس المفروم.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

خمس نصائح لمعرفة إن كان السمك طازجا أم لا

يعتبر السمك من الأطعمة المفيدة والغنية بالعناصر الغذائية الهامة التي يحتاجها الجسم. ويحرص البعض على شراء السمك وهو طازج، فالسمك من الأغذية سريعة الفساد لذلك من الأفضل تناوله طازجاً؛ إذ كلما كان السمك طازجا، كان محتفظا أكثر بالعناصر الغذائية والفيتامينات، وكان طعمه ألذ.

وقد توصل الباحثون إلى أن تناول السمك يقلل من خطر الإصابة بالنوبة القلبية بمعدل ثمانية في المئة، فيما لم يظهر أي تأثير لها على التقليل من الإصابة بالسكتات الدماغية، حسبما أورد موقع «إن فراكن» الألماني. كما أن دراسات سابقة، أشارت أيضا إلى فوائد صحية من جهة غناه بأوميغا 3. إذ يمكن لزيت السمك الغني بهذا بهذا العنصر أن يقلل من مخاطر الربو على الجنين أثناء الحمل، كما أنه يقلل من الالتهابات بدون أن يضر بجهاز المناعة.

بيد أن التمييز إن كان السمك طازجا أم لا، يعتبر مهارة لا يملكها الجميع. نقدم إليك نصائح سهلة وبسيطة للتعرف على السمك الطازج، بحسب نصائح أوردتها مجلة شتيرن الألمانية.

الانطباع الأول مهم: ما إذا كانت الأسماك طازجة أم لا، قد تفي النظرة الأولى بالغرض. فالأسماك التي تم صيدها حديثا، يجب أن تظل قشورها لامعة براقة، ويبدو وكأن طبقة رقيقة من الدهن على القشور. وفي حال كانت أطراف السمك مقطوعة تأكد ألا تكون الأطراف مائلة للون البني أو أنها تبدو جافة، فهذا يعني أنها ليست طازجة.

عيون السمك: من الضروري تفقد عيون السمك أيضا، فإن كانت العيون تبدو جاحظة ومنتفخة للخارج فالسمك طازج وإن كانت العيون تبدو ذابلة أو ليس بها بريق واضح، فهذا يدل أن الصيد تم منذ أيام.

الخياشيم: إن استطعت تفحص السمكة، وقلبها، سيكون من السهل عليك تفحص الخياشيم. فالأسماك الطازجة لها علامة مهمة تظهر في لون خياشيمها، إذ يجب أن تكون حمراء زاهية ورطبة ولامعة.

رائحة السمك: الأسماك الطازجة لا تنبعث منها رائحة مريبة، بل تشبه رائحة اليود. فإذا خرجت السمكة من البحر تنبعث منها رائحة ماء البحر. إن شممت أية رائحة للسمك غير رائحة البحر واليود، فهذا يدل على قدمها.

ملمس السمكة: من السهل معرفة إن كانت السمكة طازجة أم لا أيضا من خلال لمسها والضغط عليها. اضغط بقوة على الجلد بإصبعك إذا كانت الأسماك طازجة، يجل أن يعود اللحم على الفور إلى مكانه فور رفع أصبعك. كما أن ملمس السمكة الطازجة يكون أشبه بلمس جسم لزج. من الضروري تفحص وجود كدمات أو ضربات على جسم السمكة، فهذا يدل على أنها غير طازجة.

بالنسبة للأسماك المغلطحة فقد يكون من الصعب تحديد إن كانت طازجة أم لا من خلال أسلوب الضغط بالأصبع. لهذا النوع من السمك، يتم فحص النقاط الأربع السابقة، ومن ثم فحص ان كان جلد السمك يبدو متماسكا لزجا وخاليا من الضربات والخدوش، فالسمكة طازجة.

الحمل

تقوم بعدة تجارب مهنية ولكن معظمها سيفشل

الثور

يجب أن تثبت أنك شخص مستقل في أي ظروف صعبة

الجوزاء

وازن الأمور بعناية

السرطان

الأجـواء ساحرة واللقاءات مشوقة ومصالحات

الاسد

أخبر من حولك عن سبب انعزالك بصراحة

العذراء

لا تنفذ أعمالاً غير مضمونة النتائج

الميزان

الوزن الزائد له انعكاسات سلبية

العقرب

حاول أن تكون صاحب مثل عالية مع الزملاء

القوس

ربما تتحقق أحلامك كلها اليوم

الجدي

تجنّب الجدال الحادّ لئلا تثار أعصابك

الدلو

الأعمال الخيرية تزيد من ثقتك في نفسك

الحوت

تعرف بعض التردّد في العلاقة بالشريك

جديد الطب

لقاحات كوفيد تقي من الإصابة الشديدة الناجمة عن دلتا

أكدت السلطات الصحية الأمريكية أن خطر الوفاة جرّاء كوفيد ينخفض بـ11 مرة واحتمال نقل المصابين إلى المستشفيات بعشر مرّات في أوساط الأشخاص الذين تلقوا كامل جرعات اللقاحات المضادة.

وجاءت البيانات من ثلاثة أبحاث جديدة نشرتها مراكز ضبط الأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة الجمعة، وأكدت جميعها على فعالية لقاحات كوفيد في منع حدوث أي مضاعفات شديدة حال الإصابة بالوباء.

ولأسباب ما تزال غير مفهومة بشكل جيد، تشير البيانات إلى أن لقاح موديرنا وفّر درجة أعلى من الوقاية في ظل انتشار المتحورة دلتا.

وتأتي بعدما أعلن الرئيس الأميركي جو بايدن عن خطة مشددة للتطعيم تتضمن إلزام الشركات التي توظف أكثر من مئة شخص إما بتطعيم الموظفين أو إخضاعهم لفحوص أسبوعية. وقالت مديرة مراكز ضبط الأمراض والوقاية منها روشيل والينسكي للصحافيين الجمعة «كما أظهرنا في دراسة تلو الأخرى، اللقاحات فعالة».

واطلعت الدراسة الأولى على مئات آلاف الحالات في 13 منطقة أمريكية من 4 نيسان/أبريل وحتى 19 حزيران/يونيو، أي الفترة التي سبقت هيمنة المتحورة دلتا، وقارنتها بالفترة ما بين 20 حزيران/يونيو و17 تموز/يوليو. وبين الفترتين، ارتفع احتمال إصابة الشخص الملقّح بكوفيد بدرجة ضئيلة (من 11 مرة أقل عرضة للإصابة مقارنة بغير المحصن إلى خمس مرّات). وبقيت الحماية من تطور الحالة إلى حد يستدعي نقل المريض إلى المستشفى والوفاة أكثر استقرارا، لكنها تراجعت أكثر في أوساط الأشخاص البالغين 65 عاما فما فوق مقارنة بالأصغر سنا.

وتجري مراكز ضبط الأمراض والوقاية منها إلى جانب إدارة الغذاء والدواء تقييما بشأن الحاجة إلى جرعات معززة، ويرجح الجمعة أن المسنين سيكونون أول من يتلقاها فيما تبدأ إدارة بايدن إطلاقها في وقت لاحق هذا الشهر.

وصنّفت إحدى الدراسات، التي قيّمت فعالية اللقاحات من حزيران/يونيو حتى آب/اغسطس في أكثر من 400 مستشفى وقسم طوارئ وعيادة رعاية صحية عاجلة، فعالية اللقاحات بحسب العلامة التجارية.

وكانت الفعالية ضد الحاجة للنقل إلى المستشفى الأعلى بالنسبة لموديرنا (95 في المئة) ومن ثم فايزر (80 في المئة) وأخيرا جونسون آند جونسون (60 في المئة).

وبلغت الفعالية الإجمالية للوقاية من الحاجة للنقل إلى المستشفى 86 في المئة بالنسبة لكافة الفئات العمرية لكن النسبة تراجعت إلى 76 في المئة في أوساط البالغين 75 عاما فما فوق.

ولطالما كان أداء لقاحي فايزر وموديرنا اللذين يستخدمان تقنية «الحمض النووي الريبوزي المرسال» (الرنا) أفضل نوعا ما من جونسون آند جونسون الذي يستند إلى فيروس غدي معدل، على الأرجح لأن الأخير يعطى على جرعة واحدة.

لكن لا يزال من غير الواضح سبب تفوّق موديرنا بعض الشيء على فايزر في مواجهة المتحورة دلتا.

وقد يكون للأمر علاقة بمسألة أن تركيز جرعاته أعلى (100 ميكروغرام مقابل 30) أو الفترة الأطول بين الجرعتين (أربعة أسابيع مقابل ثلاثة) وهو أمر مرتبط باستجابة مناعية أقوى.

ما هي فترة الحماية التي توفرها لقاحات كورونا؟

لندن-«القدس العربي»:

لتلك الأسئلة خطوة ضرورية لتحديد من قد يحتاج إلى جرعة معززة، ولاسيما بين كبار السن والأشخاص من ذوي المناعة الضعيفة. ومن ناحية أخرى، أدت سلالة «دلتا» الأكثر عدوى، والتي تزامن انتشارها مع انخفاض طفيف في فعالية اللقاح، إلى زيادة المخاوف، ودفع الحكومات إلى البدء في طرح جرعة ثالثة من اللقاح.

ومن المقرر أن تستمع إدارة الغذاء والدواء في 17 من أيلول/سبتمبر الجاري، إلى حجج عامة بشأن ما إذا كان يجب المضي قدما في استخدام اللقاحات المعززة من لقاح شركة «فايزر» أم لا، بحسب وكالة «بلومبرغ» للأنباء.

وانصب الكثير من التركيز على مستويات الأجسام المضادة، التي تعمل كواحدة من دفاعات الخط الأمامي لجهاز المناعة. ومن بين النظريات المتعلقة بلقاح شركة «مودرنا» هو أنه ينتج المزيد من تلك الأجسام المضادة لأنه يستخدم جرعة أكبر، ويتم إعطاء الجرعتين على مدار فترة أسبوع أطول من اللقاح الخاص بشركة «فايزر».

ولكن الأجسام المضادة هي مجرد مكون واحد من عناصر المناعة، وليس من الواضح ما إذا كانت هي العنصر الأهم، ولا سيما على المدى الطويل.

ويتساءل بول بيرتون، كبير المسؤولين الطبيين في شركة «مودرنا» قائلا: «هل نعرف مستوى للأجسام المضادة يحمي من مرض كوفيد؟» ويقول: «الإجابة ببساطة هي أننا ما زلنا لا نعرف». ومع ذلك، تُظهر بيانات التجارب الخاصة بشركة «مودرنا» أن الحصول على الجرعة الثالثة بعد ستة أشهر من الحصول على الجرعة الثانية من اللقاح، يرفع مستويات الأجسام المضادة «إلى درجة مطمئنة» فوق المستويات التي شوهدت أثناء التجارب الأولية للمرحلة الثالثة.

وبالإضافة إلى الأجسام المضادة التي تستمر لفترة أقصر، فإن اللقاحات المضادة لمرض «كوفيد» تؤدي أيضا إلى تنشيط ذاكرة طويلة المدى في الجهاز المناعي. وتقول «بلومبرغ»: يبدو أن هذه الذاكرة تزداد وتصير أفضل في صنع أجسام مضادة تقاوم السلالات المتحورة مع مرور الوقت.

ويشار إلى أن تلك الحماية طويلة المدى، والتي تتضمن ما يعرف باسم خلايا «تي» وخلايا الذاكرة «بي» يصعب قياسها في المختبر بالمقارنة مع قياس الأجسام المضادة. ولكن يُعتقد أنها تقوم بدور مهم في الوقاية من الإصابة بأعراض شديدة وضرور نقل الحالة المصابة إلى المستشفى.

وقد أجريت دراسة أمريكية صغيرة شملت مجموعة من المرضى والعاملين في دار لرعاية المسنين ممن حصلوا على جرعتين من لقاح «فايزر» وتوصلت إلى أن مستويات الأجسام المضادة تضاءلت لدى المجموعتين بمرور الوقت، إلا أن المشاركين في الدراسة، وعددهم 120 شخصا ومتوسط أعمارهم 76 عاما، بدأوا بمستوى أقل بكثير من الأجسام المضادة مقارنة بالمستوى الذي بدأ به العاملون الأصغر سنا.

وعلى مدى بضعة أشهر، «انتهى بهم المطاف إلى مرحلة أسوأ» بحسب ما قاله ديفيد كانادي، طبيب الأمراض المعدية وأستاذ الطب في جامعة «كيس ويسترن ريزيرف» في كليفلاند بولاية أوهايو، الذي قاد فريق إعداد الدراسة التي نشرت في نهاية آب/أغسطس الماضي.

وبعد أسبوعين من حصولهم على الجرعة الثانية، تراجع مستوى الأجسام المضادة المعادلة إلى أقل من مستوى الكشف لدى 16 في المئة من سكان دور رعاية المسنين الذين لم يصابوا بمرض «كوفيد» قبل أن يحصلوا على اللقاح.

وبعد مرور ستة أشهر من التطعيم، كانت المستويات منخفضة جدا لدى 70 منهم. وعلى عكس ذلك، وجد البحث أن 16 في المئة فقط من أصل 64 من العاملين على تقديم الرعاية الأصغر سنا، لديهم مثل هذه الأجسام المضادة الضئيلة خلال ستة أشهر.

وقال كانادي إنه «من المؤكد أن الحماية ستنخفض بنسبة معقولة في ظل هذه المستويات من خسارة الأجسام المضادة». لكن من غير المحتمل أن تؤدي هذه الخسارة إلى انعدام الحماية، بحسب «بلومبرغ». (د ب أ)

ومع ظهور متحورات جديدة، زادت الشكوك بتدني مستويات الحماية من الفيروس بعد التطعيم، فالسلالة الجديدة من فيروس كورونا التي ظهرت مؤخراً واسمها «مو» وفق منظمة الصحة العالمية، يمكنها تجنب الأجسام المضادة في الأشخاص الذين تم تلقيحهم أو تعافيهم بشكل أفضل من السلالات السابقة، الأمر الذي يثير الجدوى حول مسألة ضرورة «التطعيم المعزّز».

ونادرا ما تحدث اختراقات التطعيم، ولكن تقارير تحدثت بشكل متكرر عن تسجيل حالات اختراق للتطعيم، ما يعني أن الأشخاص الذين تم تطعيمهم بالكامل يصابون أيضاً بالعدوى. وفي ألمانيا وحدها، تم تسجيل 13.360 حالة اختراق للتطعيم من بين حوالي 48 مليون شخص تم تطعيمهم بالكامل بحلول منتصف آب/أغسطس الماضي.

لهذا قررت بعض الدول منح جميع مواطنيها التطعيم الثالث، أو ما يسمى بـ «الجرعة المنشطة» الثالثة من لقاح فيروس كورونا، عندها فقط سيتم اعتبار الشخص محصناً بالكامل ضد كورونا في المستقبل.

من ناحية أخرى، تريد بعض البلدان الغنية في البداية أن تقتصر الجرعة الثالثة من لقاح كورونا على الأشخاص المعرضين للخطر، مثل كبار السن أو المرضى الذين تقل المناعة لديهم، بسبب أدوية معينة مثل أدوية علاج السرطان.

بالإضافة إلى ذلك، يحصل المرضى الذين يعانون من نقص المناعة وكذلك الأشخاص المسنين الذين يحتاجون إلى الرعاية المنزلية في ألمانيا على الجرعة الثالثة، لأنهم أكثر عرضة لخطر انخفاض الحماية بعد التطعيم.

وبسبب بطء سير حملة التطعيم في جميع أنحاء العالم، دعت منظمة الصحة العالمية إلى وقف التطعيم بجرعة ثالثة حتى يتم تطعيم ما لا يقل عن عشرة في المئة من السكان في كل دولة في العالم ضد فيروس كورونا.

منوعات

غاضب بشدة على معظم ما صدر من إنتاج فني بعد انفجار المرفأ

هنري زغيب: سترجع بيروت لؤلؤة المتوسط ودرّة الشرق

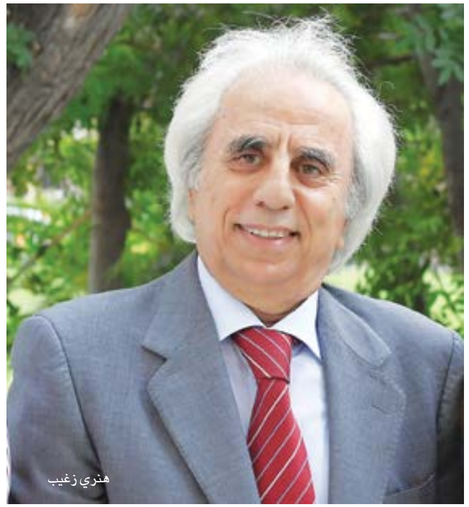
هنري زغيب

بيروت-«القدس العربي»: ناديا الياس

نذر قلمه وكلمته من أجل الرسالة الأدبية والثقافية والفنية والوطنية، وارتبط اسمه مع الكبار أمثال جبران خليل جبران والأخوين الرحباني والسيدة فيروز والياس ابو شبكة وسعيد عقل وسواهم، إنه الشاعر المبدع هنري زغيب الذي لا يتوانى عن وضع النقاط على الحروف في كل عمل وطني أم ثقافي أم أدبي. معه أجرينا في «القدس العربي» جولة أفق في الأعمال الثقافية والفنية بعد انفجار مرفأ بيروت وفي ظل الأزمات المتفاقمة واطلعنا منه على جديد مركز التراث اللبناني في الجامعة اللبنانية الأمريكية الذي هو بإدارته، وجاء الحوار على النحو التالي:

○ في ظل ما نشهده من تدهور دراماتيكي للأوضاع العامة في لبنان هل تنسحب هذه الأوضاع على الحركة الثقافية في لبنان؟

● لا شك بأن ما نمر به اليوم ينسحب حكماً على الوضع الثقافي والفني في لبنان، ذلك أن الكوارث الإنسانية والمادية والاقتصادية تدخل في صميم الحياة اليومية للمثقفين كما سواهم وتالياً ينصرف المثقفون إلى تأمين معيشتهم اليومية، خصوصاً بعد الضائقة التي تحاصرهم في معيشتهم وفي أسرتهم ومدرسة أولادهم وفي تأمين مستلزماتهم البيتية، ما يصرفهم تلقائياً عن العمل الإبداعي الذي كانوا عليه قبل هذه الضائقة الحالية. أما الذي يصدر بين الحين والآخر من نصوص أو مقالات أو مؤلفات فهي في معظمها انفعالية آنية لا تترك مجالاً للتبصّر والتفكير في ما يجري وبالتالي لا يمكن اعتبارها آثاراً تبقى شاهدة على ما يجري.

○ كيف تصف الأعمال الفنية والإصدارات الغنائية في هذه الفترة، وهل برأيكم تحترم وتقدّر قيمة الكلمة واللحن والفكر والأدب؟

● هذا الأمر أزعجني كثيراً خصوصاً بعد انفجار المرفأ حين رحت أتابع أعمالاً غنائية نوّاحة بكّاءة جنائزية، كأن بيروت اختفت أو انهارت أو تدمّرت أو اغتيلت فيما هي لم ينكسر منها إلا بضعة أضلع ولم ينخسف صدرها ولم يتوقف قلبها ولم تسقط في الاندثار. إن واجهة بيروت التي تهدّمت لا تختزل بيروت الوجه الجميل والعروس المتألقة، من هنا غضبي الشديد على ما صدر من معظم الإنتاج الفني بعد انفجار المرفأ. إن بيروت أقوى من أن تسقط برغم كل ما حدث فيها، وبيروت لا يمكن اختصارها بالنفايات في الشوارع بسبب تقصير الدولة، ولا بما يصيب أهلها من مآسٍ بسبب غباء السلطة فيها. إنها مرحلة قاسيةٌ لكنها ستعبر وسترجع بيروت لؤلؤة المتوسط ودرّة الشرق وجميع الأعمال التي صدرت بالبكاء والنواح ستسقط في النسيان هي وأصحابها.

○ هل من عمل تحضره بشأن انفجار مرفأ بيروت؟

● في الذكرى الأولى لانفجار المرفأ، وأنا رئيس تحرير مجلة «مرايا التراث» التي تصدر عن مركز التراث اللبناني في الجامعة اللبنانية الأمريكية أصدرت عدداً خاصاً من المجلة عن انفجار المرفأ وفيه ملف خاص عن الانفجار عالج تأثير الانفجار على الوسط الثقافي من خلال دراستين وضعهما اختصاصيان في ترميم المنطقة المتضررة من واجهة بيروت، إضافة إلى مجموعة لوحات مائيّة وزيتية حول الانفجار حتى أكون شاركت في هذه الكارثة الكبرى من دون أن أكون نوّاحاً بكّاء كمعظم الذين كتبوا عن هذه الكارثة أو غنّوها.

○ دعوتم في إحدى مقالاتكم الصحافية بأن نبني لبنان اللبناني، فأي لبنان تريد، وإلى أي مدى نحن غرباء عن هذا اللبنان الوطني والحضاري والفني والثقافي؟

● حين أدعو في نصوصي إلى اعتناق لبنان اللبناني لا أكون شوفينياً في دعوتي، بل أدعو إلى اعتناق هوية واحدة للبنان لا معزولاً عن محيطه فهو ليس جزيرة نائية بل هو متصّل بمحيطه إنما محافظ على وجهه وهويته المحلية، يمدّ يده إلى دول المحيط والجوار ويخرج إلى العالم متعاوناً ساطع الحضور وهذه هي هويته اللبنانية التي ترفض ميول السياسيين فيه إلى استعارة هويّة أخرى له من خارجه أو من محيطه لانه، منذ أول التاريخ، يحمل اسمه لبنان ولم يتغيّر اسمه على مدى التاريخ .

○ لو قدّر لجبران خليل جبران أن يكون حاضراً في أيامنا هذه، هو الذي دافع عن الإنسان والمهمّشين والمظلومين، ماذا كان قد فعل برأيك وماذا كتب من مقالات؟

● في هذا الزمن الصعب يحضرني جبران في مقولتين له شهيرتين. الأولى «لكم لبنانكم ولي لبناني» والأخرى «لو لم يكن لبنان وطني لاتخذت لبنان وطني». هذا يدّل على أن جبران حين قال مقولته الأولى كان يستقبل من لبنان الدولة ولم يكن يستقبل من لبنان الوطن، ذلك أنه مؤمن بأن دولة لبنان تتقلّص وتتزايد، تنتمي أو تستقلّ، تتغيّر سياسته بتغير العهود، أما لبنان الوطن فهو ذاته بكلّ العصور والعهود وهذا هو لبنان جبران الذي يرفض لبنان السياسيين المتعلبين الدجّالين المتزلّفين إلى أسيادهم في الداخل والخارج. وفي المقولة الثانية يعلن انتماءه إلى لبنان الوطن وتعلّقه به، أن جبران غادر لبنان يوماً لكنّ لبنان لم يغادره ولا أيّ يوم بل بقي في نبضه وذاكرته وعينيه وعلى أهداب ريشته وقلمه في كلّ ما كتب ورسم، وعندما كتب وصيّته في آذار/مارس 1930 أوصى بموجودات محترفه إلى بلدته بشري وأوصى كذلك أن يدفن في أرض بشري تحت ظلال الأرز، وهذا يؤكد انتماءه إلى لبنان وتعلقه بلبنان وايمانه بلبنان اللبناني مع أنه عاش في زمن كان فيه لبنان عثمانيّاً وكان معظم اللبنانيين في الولايات المتحدة يسمّون سوريين، ومع ذلك عندما شهر ايمانه قال : «لاتخذت لبنان وطني».

○ ماذا عن نشاطات مركز التراث اللبناني في الجامعة اللبنانية الأمريكية بعد صدور كتابكم «هذا الرجل من لبنان» في الذكرى التسعين لرحيل جبران خليل جبران؟

● كتابي «هذا الرجل من لبنان» هو حصيلة أربع سنوات من الأبحاث والتحقيقات في سيرة جبران ومسيرته، بدءاً من صياغة عربية كتاب بربرة يونغ «هذا الرجل من لبنان» وفيه إطلالة جديدة على جبران بقلم هذه الشاعرة التي عايشته يوميّاً وعاشت معه في محترفه آخر ست سنوات من حياته. من هنا الجديد الذي يكشفه الكتاب حول شخصية جبران في حالات الرسم والكتابة والمزاج والطبع وتصرفاته مع الآخرين وكان ذلك القسم الأول من كتابي. أما القسم الثاني من الكتاب فمجموع مقالات وتحقيقات عن جبران بعد وفاته بأقلام عارفيه وأصدقائه خصوصاً من رفاقه في «الرابطة القلمية» مع معلومات جديدة حول مأتم جبران في مختلف مراحله من نيويورك حيث توفي إلى بوسطن حيث دفن مؤقتاً إلى رود آيلاند حيث انتقل برّاً ليحبر إلى بيروت في المرحلة الأخيرة وما حدث في بيروت من مأتم رسمي حضره رئيس الجمهورية شارل دبّاس وأركان الحكومة، فإلى الاحتفال التأبيني الذي جرى في التياترو الكبير قبالة كاتدرائية ماجرجس حيث كان الجناز وأخيراً انتقال الجثمان إلى بشري مع وصف دقيق للاحتفالين اللذين أقيما في بلدته الأم بشري. ومن الجديد في هذا القسم الثاني معلومات كشفتها للمرة الأولى بأن جبران لم يطلب الجنسية الأمريكية بل اكتفى ببطاقة الاقامة الدائمة، ولم يدخل إلى أمريكا باسم جبران خليل جبران بل باسم جبران رحمه على اسم أمه كاملة رحمة. وفي الكتاب قسم ثالث أخير يضمّ مجموعة صور ووثائق تصدر في كتابي للمرة الأولى. وهذا الكتاب أصدرته ضمن منشورات المركز التراث اللبناني في الجامعة اللبنانية الأمريكية «LAU».

أما نشاطي الآخر بعد هذا الكتاب فهو سلسلة ندوات إلكترونية أنشأتها بسبب تعذّر المحاضرات الحضورية وقد بلغت حتى اليوم عشرين ندوة بين آخر ما فيها ندوات عن مصطفى فروخ والأخوين رحباني وفؤاد سليمان وميخائيل نعيمة ومارون عبود والأخوة بصبوص في راشانا.

لا تحتاج الثقافة إلى تمويل كي تُنتج

زيكو: نحاول استنهاض الهمم للعمل

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

«زيكو هاوس» بناء يعود لثلاثينيات القرن الماضي، ولا يزال يحتفظ برونق العمارة في ذاك الزمن. مكان دخل سجلات الثقافة والفن والانتخابات والطعام في لبنان. وهو يضج بالحياة بدءاً من طبقته الأرضية، ومن ثم الثانية والثالثة وصولاً إلى السطح. كما لحديقته الخاصة دورها في استقبال من يرغب بجلسة هادئة في حضن بيروت. ربما يكون هذا الصيف هو الأسوأ في بيروت منذ سنة 1982. نُدّرت الكهرباء، وشحّت المياه، وملأ ضجيج المولدات الكهربائية ودخانها كل مكان، مما أدى لتراجع النشاطات الثقافية. وحده مبنى «زيكو هاوس» حافظ على القدر الكبير من البرامج المقررة سلفاً، وبقي يستقبل الجمهور. وهو لن يتخلى عن دوره في استيلاد الأفكار واحتضانها. فمنه انطلقت «زقاق وكهربا وأشكال ألوان».

هنا حوار مع مصطفى يموت صاحب زيكو هاوس:

○ تعاني المساحات الثقافية المقفلة من ندرة الكهرباء، لزيكو هاوس نشاط متواصل فوق السطوح، كيف خطرت لكم الفكرة؟

● نحن مكان ثقافي عام، والقاعة التي تشغلها «وصل» مخصصة للتمارين لمن يرغب من الفرق الغنية. وأحياناً تنظم «وصل» مهرجاناً وتقيم بعض العروض. إلى السطح، يتميز المبنى بحديقة خاصة به يمكنها أن تستوعب نشاطاً فنياً. كما أن الداخل لا يحتاج للتبريد فالسقف يمتاز بارتفاع كبير كما أبنية الثلاثينيات من القرن الماضي. وفيه يمكننا الحفاظ على التباعد. قطعت الموجة الأولى من كورونا ولم يصب أحد بالمرض، لأننا التزمنا جيداً بإجراءات الوقاية.

○ من دون شك للأزمة الاقتصادية وإنقطاع الكهرباء انعكاس على نشاطكم. كيف تجلى؟

● بدأنا النشاط الثقافي في التسعينيات مع فرقة الدُمى التي يتولاها الآن كريم دكروب. تواصلت بالتوافق مع طارق شومان عضو لجنة الصداقة اللبنانية الروسية مع معنيين روس لتأسيس فرقة للدمى. جاء فريق إلى لبنان ووقع الخيار على كريم دكروب الذي كان يدرس الإخراج حينها. كما أختير موسيقيون ومصنّعون للدمى من أجل مزيد من التخصص. ذكرت هذا الحدث لأن ظروفاً صعبة للغاية كانت تحيط بنا حينها ولم توقفنا. في رأيي لا تحتاج الثقافة لتمويل كي تُنتج، تكتفي بلقاء الناس حول عمل جماعي ينقلهم من مكان إلى آخر. إن تعرّق أحدنا خلال عمله الثقافي لندرة الكهرباء، فلا بأس، لقد اختبرنا ظروفاً أكثر صعوبة مما نحن فيه. منها سيارات الإسعاف، والمتاريس والحصارات المتعددة لبيروت بدءاً من سنة 1982. في تلك الحصارات الصعبة غادرنا حاملوا «الباسبورات» الأجنبية كما يفعلون الآن. إنها حياتنا في بيروت ولبنان.

○ تشتهر بإسم زيكو في حين تحمل طُلب منا تغيير اسمائنا ففعلنا، ورحنا إلى مهامنا. مراسم استقبال كبيرة قمنا بها للغزاة. فالقنابل التي خبأناها خلال الحصار تكفلت بهم. لم يجدوا عندنا نهاراً ولا ليلاً هادئاً، وخلال 15 يوماً انسحبوا مهزومين.

○ ومن أين اسم زيكو الذي تلبسك منذ عقود ولا يزال؟

● اسم للاعب كرة قدم برازيلي مشهور. لم نملك ترف الوقت للاختيار كما نفعل حين ننتظر مواليدنا الجدد. أما رفاقي في المجموعة وأكثرهم بات مشهوراً في الموسيقى والفن والأدب، ولم يحتفظ أحدهم بإسمه الحركي.

○ ماذا يقول لك استرجاع تلك المرحلة؟

● شكّلت إنجازاً كبيراً. لم يكن حدثاً بسيطاً في مخيلة من ضرب القنبلة الأولى على الجيش الصهيوني، الذي راح يرجونا أن لا نطلق النار عليه لأنه سيغادر.

○ زيكو الآن أمين لمبادئه الأولى؟

● مبدئياً نعم. ثمة تبدل، حيث أني لم أعد مثابراً على أبيض أو أسود. مفهوم عُرْبش عليه وصوليون كثُر في لبنان وفلسطين. إسرائيل هي العدو، وتوصيفها بنظام الفصل العنصري، حقيقة تتنامى عالمياً خاصة بعد معركة «سيف القدس». الفخر كبير بهذا الشعب الفلسطيني الذي احتفظ بشعلة قضيته رغم كل ما تعرض له من أهل بيته، ومن أشقائه ومن المحتل. وكذلك من الأمم المتحدة التي يعيش موظفوها وبخاصة في الأونروا برفاه هم وعائلاتهم على حساب الشعب الفلسطيني الذي يرزح في المخيمات فقيراً. هذا الشعب اللاجئ في وطنه وخارجه يفتقر لأدنى مقومات الحياة والتعليم والطبابة. لماذا؟

○ متى نال زيكو هاوس شرعيته كمساحة ثقافية اجتماعية أي العلم والخبر؟

● يعود المبنى للعائلة منذ سنة 1935 وفيه نشأت وكبرت. بعد رحيل الأهل وجدت المكان كبيراً جداً فهو يتشكل من طبقات عدّة، وجميعه مخصص للحالة الثقافية والمدنية. بداية كنت استضيف من يرغب بالتمارين لعمل مسرحي أو غيره. وروويداً رويداً بدأت الأفكار تتدفق من خلال النقاش الجماعي. تعرّفت إلى جمعية «غرين لاين» التي قررت مغادرة حرم الجامعة الأمريكية واستقرّت عندنا. ومن هنا جاءت فكرة «بلدي بلدتي بلديتي» التي أطلقناها سنة 1995 مع بول أشقر للمطالبة بالانتخابات البلدية بعد تجديد للبلديات منذ سنة 1963. ومن ثم نشأت الجمعية اللبنانية لمراقبة الانتخابات. وبالتعاون مع كريستين طعمة نشأت في هذا المكان «أشكال ألوان» التي استقلّت وكبُرت. كنا مقراً لولادة الأفكار، ثمّ ندفعها لتصبح جمعية أو تجمُّعاً ومن ثمّ تكبُر. كافة الجمعيات التي نشأت في زيكو هاوس بدأت بغرفة وتوسعت، وبعد الغرفة الثالثة يرحلون إلى مكان مستقل وأكبر.

○ هل تفرحك هذه الولادات الثقافية؟

● بالتأكيد. لا نملك المال. نملك الأفكار التي كانت تتبلور عبر التعاون. كان العمل الثقافي جذّاباً، وليس اللحاق بالجمعيات لتقاضي راتب بالعملة الأجنبية. الفرق بين الماضي والآن أن المجتمع المدني بات هدفاً للإسترزاق. بات الطريق واضحاً. يُكتب التقرير، ويُسعى لتحصيل الدعم. يُصرف القليل على المشروع ويبقى الكثير لمن كتبه. علمت من جمعية ألمانية أن ثالث أكبر دخل في لبنان هو الذي يأتي لحساب المجتمع المدني. لقد تحول من مجتمع مناضل إلى مجتمع استرزاق.

○ وماذا عن مشروعكم الجديد مع مجلس التعاون الألماني؟

● إنه مشروع «أرضي أرضك» بالتعاون مع كلية الزراعة في الجامعة الأمريكية ولد قبل 20 عاماً. أنضمّت إلى المشروع مؤخراً جمعية هدفها تمكين النساء لبنانيات وسوريات، وكذلك جمعية التراث الغذائي

يكفي لقاء الناس حول مشروع

ولا مصاعب تُذكر بعد اجتياح بيروت

وزيكو هاوس. إذاً أربع جمعيات تشغل الطابق الأول في زيكو هاوس. الدعم الوحيد الذي تلقيناه مخصص لترميم المبنى قبل أن تزداد حاله سوءاً. تقاسمنا ترميمه مع مشروع «أرضي أرضك» واستوديو لبن وأنا شخصياً. وهكذا رممنا الجزء الأكبر منه.

○ وماذا عن نشاط «فوود هيريتدج» ومطابخها؟

● لديها حوالي عشرة مطابخ منتشرة في المناطق اللبنانية، ومنتجات قابلة للتصدير. هذا المشروع يسعى للعودة إلى نظام الزراعة القديم. ومشروعنا الراهن عودة الحمير إلى القرى والمناطق الزراعية نظراً لأهميته. من إيجابياته المساعدة في تنظيف الغابات من القش منعاً للحرائق. والمساعدة في الرحلات البيئية لحمل الحاجيات الضرورية، أو نقل أحدهم إن تعرّض لحادث. ونعرف أن حليب الحمار شديد الفائدة وهو الأقرب لحليب الأم.

○ ما هو الممنوع في مؤسسة زيكو هاوس؟

● التحشيش فقط ممنوع. وكل ما هو ممنوع من قبل الدولة اللبنانية.

○ لكنّ «حُلُم» تشغل جزءاً من المبنى ومحظورة رسمياً؟

● دائماً أردد بأني ارضى بأن يُقفل زيكو هاوس من أجل «حُلُم» وأن لا يقفل بسبب التحشيش. ضيوفي في هذا المبنى لهم مني الحماية، تماماً كما القبائل العربية التي كانت تحمي كل من يستجير بها.

○ وكيف تواصلت مع «حُلُم»؟

● تعارفنا خلال التظاهرة الكبرى التي شهدتها بيروت سنة 2003 رفضاً للاحتلال الأمريكي للعراق. كان القرار السير دون أعلام ورايات. وحين أصرّ حزب الله على أعلامه، رفعت «حُلُم» أعلامها، فنزلت كافة الأعلام وبقي العراق هدف الجميع. بعد هذه الواقعة طلبوا مني مكاناً ليتمكنوا من تقديم طلب علم وخبر، فوافقت. إنها قناعاتي بحرية الأفراد بالتعبير والهوية الجنسية.

○ هل تتقاضون أجراً من مَن يشغلون أمكنة في المبنى؟

● ليس الجميع سواسية. نحن شركاء في مشروع «أرضي أرضك» ولا نتقاضى أجراً. ونأمل أن يصبح المشروع مستداماً ومنتجاً قريباً. سياستنا أن نعيش من ضمن ما ينتجه زيكو هاوس دون اعتماد على التمويل. مؤخراً حصلت على منحة 20 ألف دولار من مؤسستي آفاق والمورد الثقافي للعمل على تبويب أرشيف زيكو هاوس، وهو يشغل جزءاً من الطابق الأول. أما المقهى والحديقة فمن ضمن مشروع «أرضي أرضك» تستقبل الناس وهي منتجة. ويشغل النادي العلماني «مدى» بعضاً من الطابق الثالث، فيما المساحة المتبقية تستقبل حالياً معرضاً لناشئين. و«الغذاء التراثي» يشغل قسماً من الطابق الثاني، كما تستأجر المطبخ. شارك «استوديو لبن» في ترميم المبنى، أربعة استوديوهات يمكنها استقبال نزلاء، وقد ندخلها لاحقاً ضمن خدمة «أر بي». ويمكن للمكان استقبال استضافة فنية وفي كافة الأوقات. كما أن التزامنا الدقيق بمقتضيات الوقاية من وباء كورونا تؤكد نجاحنا الباهر، فلا إصابت دخلت ولا أخرى انتقلت من عندنا.

○ هذه المساحة الثقافية الكبيرة تتميز بالرونة؟

● والدليل أنها في عدوان 2006 تحولت إلى خلية إدارية لتوزيع الوجبات والمساعدة على الآلاف. حين قال السيد حسن نصرالله بأنه وحده لا يستطيع الصمود وطلب التعاون، في اليوم التالي بات المكان خلية نحل. ونأسف لأنه تحدث في خطاب النصر عن «أشرف الناس» تعبير شكل واحداً من صدمات الحياة.

○ وبماذا تختم هذه المراجعة الذاتية والعامة مع جريدة «القدس العربي»؟

● أولاً أن القدس عربية عربية عربية. وثانياً أؤكد أن الأمنية الأقوى عندي ومنذ كنت يافعاً أن أركب السيارة وأصل إلى القدس ثم القاهرة. أريد لهذا الحلم أن يتحقق «بدّي أخلص». كافة الطفيليات الملتصقة بالقضية الفلسطينية يجب أن تُزال وأن نسمي الأشياء بأسمائها.

○ هذا في السياسة فماذا في الثقافة؟

● بعد حالة الإحباط التي سادت منذ عام عدنا لإستنهاض الهمم والعمل بنشاط وننتظر النتائج. نحن حيال مشروع زراعي فمن الضروري أن نأكل. وفي «أستوديو لبن» مشروع تفاعلي واسع. والمشروع العلماني يتابع مساره.

○ هل من ضيف أو نشاط استقبله زيكو هاوس وحمل معنى كبيرا لك؟

● لا أنسى استقبالنا للقيادي الفلسطيني مصطفى البرغوثي. واستقبالنا لقيادي من التيار العوني حين كانوا منبوذين من الجميع في تسعينيات القرن الماضي. دائماً «كنا نعمل اللي ما بينعمل». وكانت الدولة تضطر لحمايتنا لأننا لا نخالف القانون. فالجمعية اللبنانية لديمقراطية الانتخابات ولدت هنا وصار رئيسها زياد بارود وزيراً للداخلية.

القدس العربي الاسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 (6 خطوط) +44 ✻ فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
✻ هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
✻ هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 ✻ هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk ✻ www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) ✻ Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco ✻ Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 ✻ Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
Volume 33 - Issue 10383 Sunday 12 September 2021
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10383 الأحد 12 أيلول (سبتمبر) 2021 – 5 صفر 1443 هـ

سواران من كنوز ماري أنطوانيت في مزاد علني في جنيف لأول مرة

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

تعرض دار «كريستيز» للمزادات العلنية، لأول مرة، يوم التاسع من شهر تشرين الثاني/نوفمبر المقبل، في جنيف، سوارين تعود ملكيتهما إلى الملكة ماري أنطوانيت (عقيلة ملك فرسا) وتقدّر دار المزادات أن هناك ما بين مئة وأربعين ومئة وخمسين قيراطاً من الماس على الأساور.

وتقدر قيمة هذه الجواهر بين مليونين وأربعة ملايين دولار أمريكي أي ما يعادل حوالي 1.8 و3.7 مليون يورو، ومع ذلك، يمكنهما تحطيم كلّ التّقديرات، على غرار ما حصل قبل نحو ثلاثة أعوام، في عام 2018 عندما باعت دار «سوذبيز» للمزادات العلنية قلادة من الألماس مزينة بلؤلؤة طبيعية ذات حجم استثنائي، تعود ملكيتها أيضًا لماري أنطوانيت، في مزاد علني في جنيف مقابل مبلغ 36 مليون دولار، في حين أن قيمتها قُدّرت قبل ذلك بين مليون ومليوني دولار.

وتقول ماري سيسيل سيسامولو، اخصائية المجوهرات في دار كريستيز للمزادات العلنية: «هذه الماسات غير عادية ليس فقط لمنشأها ولكن أيضًا لما تم صنعه من 112 ماسة مقطوعة قديمة. وتتراوح أحجامها من قيراط واحد تقريبًا لأصغرها إلى أكثر من أربعة لأكبرها. من الصّعب جدًا قياس حجمها الدقيق لأنها قطع ماس قديمة، وفي ذلك الوقت، كانت القطع أكثر خشونة، بينما يتم قطع الماس اليوم بالليزر، مما يسلط الضوء على سحر هذا الماس القديم، كل قطعة منها فريدة من نوعها».

وفقًا لدار كريستيز، فإنه تم طلب الأساور من عند صانع/تاجر المجوهرات شارل أوغست بويمر، في العاصمة الفرنسية باريس عام 1776 من قبل ماري أنطوانيت، التي أصبحت قبل ذلك بعامين ملكة فرنسا.

وحسب سيسامولو، فإن «السّعر الإجمالي لهذه الأساور في ذلك الوقت كان 250 ألف جنيه، وهو مبلغ كبير في وقته. وقد تم دفع ثمنها بالأحجار الكريمة وأيضًا بفضل وديعة دفعها الملك لويس السادس عشر للملكة».

وإذا كان قد تم قطع رأسها خلال الثورة الفرنسية، فإنّ مجوهراتها ظلت على قيد الحياة. فقبل محاولتها الفرار من فرنسا مع لويس السادس عشر وأطفالها، أرسلت ماري أنطوانيت مجوهراتها إلى بروكسل، حيث تم نقلها بعد ذلك إلى أقاربها في النمسا، موطن الملكة الأصلي. تم قتل لويس السادس عشر وماري أنطوانيت في فارين عام 1793 وتوفي ابنهما لويس السابع عشر في الأسر. وتم إطلاق سراح ابنتهما الفرنسية ماري تيريز الناجية الوحيدة من الثورة الفرنسية في عام 1795. عند وصولها إلى فيينا، أعطى إمبراطور النمسا مجوهرات والدتها، والتي تم حفظها بعناية. بعد أن لم يكن لديها أطفال، قامت ماري تيريز الفرنسية، الملقبة بمدام رويال بدورها بتسليم الأساور إلى ابنة أختها، دوقة بارما المدينة الإيطالية.

وأكدت ماري سيسيل سيسامولو أنه «يمكن بالتالي إرجاع هذه المجوهرات إلى ماري أنطوانيت. هذه هي المرة الأولى التي نراها في بيع عام» على أمل أن هذه الأساور، التي تمثل جزءًا من تاريخ فرنسا وأوروبا، لم يتم تفكيكها من قبل المشتري المستقبلي.

هل قصر الأعمار وطولها حظوظ أم هي آجال محددة لن تتأخر ولا تتقدم؟

نواكشوط ـ «القدس العربي»: عبد الله مولود

هل أعمارنا حظوظ ننالها فتطول وتقصر؟ أم أن البركة تحل في قصيرها فيطول وتنزع من طويلها فيقصر؟

تلكم إشكالية قديمة لم يزل الإنسان يخوض معارك استكشافها وحل غامضها.

وقد تتالت عقود طويلة والجهود العلمية متواصلة لمعرفة أسرار العمر وأسباب الشيخوخة ولماذا تتعاقب الطفولة والمراهقة والشباب والشيخوخة بصورة متشابهة ومنتظمة لا تتخلف.

وتظل الجزيئات النشطة كيميائيا وما تتعرض له بسببها الخلايا من شيخوخة ودمار، هي المعاول المؤدية لتأكسد الخلايا وشيخوختها فتنقل صاحبها من مرحلة عمرية لأخرى.

وقد طرحت إشاعة تروج هذه الأيام ضمن محاربة لقاحات كوفيد مفادها أن الملقحين لن يعيشوا أكثر من سنتين مقبلتين، وأشعلت جدلا بين من يعتقد في هذه الإشاعة ومن يرفضها ويرى أن الأعمار بيد الله.

وللدين الإسلامي موقفه من قضية الأعمار وطولها وقصرها؛ فالموت والأجل من قضاء الله وقدره الذي كتبه في اللوح المحفوظ عنده سبحانه قبل أن يخلق الخلائق بخمسين ألف سنة، فلا يلحقه تغيير ولا تبديل؛ فقد كتبه سبحانه بعلمه الذي لا يخطئ، ومشيئته التي لا تتخلف .

لكن العلماء حسب موقع «الإسلام: سؤال وجواب» يؤكدون أن ذلك لا يعني أن الموت والأجل غير خاضعين لقانون السببية الذي خلقه الله في هذا الكون، بل أَمْرُ الموت كسائر ما يقدَّر في هذه الدنيا مبنيٌّ على الأسباب المادية المكتوبة أيضا في اللوح المحفوظ . ويسود اعتقاد واسع اليوم أنه بفضل الطب الحديث والتغذية الأحسن، بات الإنسان يعيش عمرا أطول مما عاش آباؤه وأسلافه منذ فجر التاريخ.

وتؤكد دراسات حول الأعمار «أن متوسط الأعمار زاد خلال العقود القليلة الماضية، بشكل ملحوظ في مختلف بقاع العالم، فبينما بلغ متوسط عمر مواليد عام 1960 وهو أول عام بدأت فيه الأمم المتحدة تسجيل البيانات دوليا 52.5 عاما، فقد بلغ متوسط العمر اليوم 72 عاما».

والنتيجة الطبيعية التي توصلت إليها معظم الدراسات هي أن منجزات الطب الحديث وجهود الصحة العامة أثمرت في جعل الإنسان يعيش أطول من أي وقت مضى، حتى أننا ربما نكون قد بلغنا غاية ما يمكننا من آفاق لإطالة العمر.

لكن يظل متوسط العمر، مع ذلك، مجرد وصف إحصائي نابع من التقارير، فهو لم يرتفع لأننا نعيش أعمارا أطول بكثير مما عاشها الأقدمون، بل ارتفع لزيادة نسبة المعمرين بيننا عن ذي قبل.

فلحساب متوسط العمر، لنفترض أن طفلين أحدهما مات قبل بلوغ عامه الأول، والآخر عاش للسبعين، فمتوسط العمر بينهما 35 عاما.

ومع ذلك فالحساب الذي يستند إليه متوسط العمر صحيح، وقد يطلعنا على أمور تتعلق بظروف معيشة الطفلين، لكنه لا يعطينا صورة كاملة، ويكون قاصرا حين ينسحب على حقب كاملة، أو مناطق بعينها، شهدت معدلات مرتفعة من وفيات الأطفال.

وعلى مدار التاريخ، عانى البشر من معدلات مرتفعة لوفيات الأطفال، وهو أمر لم يتغير حتى يومنا هذا في عديد من البلدان.

وفي عام 2016 نشرت غاتسانيغا نتائج دراستها لأكثر من ألفي هيكل عظمي روماني قديم وجميعها لأشخاص كانوا يعملون بأيديهم ودفنوا في مقابر عامة.

وكان متوسط العمر عند الوفاة في الثلاثين، ولم يكن ذلك نتيجة متوسط إحصائي بل أثبت الفحص الطبي للعظام ذلك العمر، وكثير منها ظهرت عليه آثار إصابات جراء العمل الشاق وأمراض عادة ما ترتبط بعمر أكبر كالتهاب المفاصل.

وكانت احتمالات إصابة الرجال كثيرة جراء العمل الشاق أو الخدمة العسكرية، ومع ذلك ثبُت قيام النساء بأعمال شاقة شملت العمل في الحقول، ولم تكن حياتهن أسهل.

ولكن حتى لو لم تتغير أعمار البشر بشكل كبير عبر العصور، فإن هذا لا يقلل من الجهود الهائلة التي بذلت خلال العقود الأخيرة والتي وسعت القاعدة السكانية لمتوسط طول العمر، فضلا عن توفير صحة أفضل لعدد أكثر من البشر.